مركز البحوث العربية
للدراسات العربية والأفريقية
والتوثيق

لجنة توثيق تاريخ الحركة
الشيوعية المصرية
حتى ١٩٦٥

من تاريخ الحركة الشيوعية فى مصر



الجزء الثالث

جنيفيف سيداروس
رزق مكارى
سعاد زهير
عبد العال البسطاويسى

حلمى ياسين
رشاد الملاح
سعيد مصطفى
فوزى حبشى
محمد سيد أحمد

خالد حمزة
رمسيس لبيب
شريف حتاتة
محروس سليمان حنا

تقديم
د. عاصم الدسوقى

المحتويات

تصدير

د. عاصم الدسوقى

وهذا الجزء الثالث من شهادات أعضاء الحركة الشيوعية فى مصر، يضم مجموعة شهادات ينتمى أصحابها لفصائل مختلفة فى تيار الحركة الشيوعية. وذلك تطبيقًا للقاعدة التى أقرتها لجنة توثيق الحركة، حتى لا يختص الجزء الواحد بفصيل واحد.

ولقد سجل أصحاب هذه الشهادات نشاطهم التنظيمى على مدى مراحل النضال متضمنا الظروف التى صاحبت الانضمام للحركة، وبعض المراجعات لجوانب من النشاط هنا وهناك، وبعض وجهات النظر حول طبيعة الانقسامات داخل الحركة، وحقيقة الأزمة. ووضع البروليتاريا والمثقفين. وانتهاء بالموقف من حل الحزب الشيوعى المصرى فى ١٩٦٤، وهى وجهات نظر سوف يجد القارئ فى متابعتها متعة محببة.

ومن ناحية أخرى فإن هذه الشهادات تضع يد القارئ على حقائق تبدو غائبة فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية، وتكاد تكون مجهولة لدارسيها. ومن هنا تأتى أهمية الشهادات بشكل عام. ذلك أن الشهادات أصبحت تدخل فى باب التاريخ الشفهى Oral History الذى يعتبر أحد مصادر التاريخ المعترف بها فى دوائر بحوث التاريخ ومراكزه، وخاصة عندما يتعذر الاطلاع على المصادر الرسمية، إذ تتضمن قدراً من الانطباعات الخاصة لصاحبها ووصفا للجو المحيط اجتماعياً وثقافياً.

على أن تعدد وجهات نظر أصحاب الشهادات حول مسائل محددة قد تبدو محسومة، يثبت أن الحقيقة متعددة المصادر، ولا يمكن لأحد أن يحتكرها. كما تصبح مهمة الباحث فى التاريخ

للوصول إلى الحقيقة الحقيقية، أمراً من الصعوبة بمكان، وهذا التعدد من ناحية أخرى، يبرهن بدرجة واضحة على أن دائرة العلوم الاجتماعية ما تزال فى نطاق الفلسفة أكثر من العلم .. أى فى نطاق محاولة التوصل إلى إجابات متفق عليها لمسائل معينة.

وهذا التعدد الصحى فى الآراء لا يمكن ضمانه إلا بتوفير أكبر قدر من الشهادات وعلى هذا فإن لجنة توثيق الحركة الشيوعية، ما تزال فى انتظار شهادات رفاق النضال الذين لم يتقدموا بها حتى نكون أمام الباحثين فى المستقبل عن الماضى وحقائقه.

شهادة

جنيف سيداروس

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : جنيفيف سيداروس بقطر- راسم الشهرة فايزة. وكانت تحدث أشيا، مضحكة بسبب صعوبة الاسم، مثل أن العساكر بي القسم حينما كنت محتجزة كانوا يتكلمون عن شخص اسمه حنفي بقطر.

محل وتاريخ الميلاد : ١٢ أغسطس ١٩٢٥ – القاهرة وعشت طفولتي في الفجالة.

بيانات عائلية :

تعلمت في مدرسة الأمريكان بجوار منزلي، ثم ذهبت بعد ذلك إلى مدرسة الأمريكان بالأزبكية كان مدرسونا أجانب ولا يكفون عن الإشادة بالحضارة الغربية، وكان من الممكن أن يؤثر هذا علىّ لولا جوانب أخرى جذبتني إلى الناحية الوطنية. فمثلاً والدتي رغم أنها كانت غير متعلمة إلا أنها كانت وطنية جداً وحكت لي عن ثورة ١٩١٩ ولم يكن لدينا راديو وقتها فكانت أمي تصعد إلى الجيران لتستمع إلى نشرة الأخبار. كذلك كان أخي مثقفاً جداً ويحضر إلى المنزل الكثير من الكتب التي كنت أقرأ فيها أيضاً. كما كنت أستعير الكثير من الكتب من مكتبة المدرسة التي كان بها مجموعة كبيرة من الكتب غير الموجودة بأي مدرسة أخرى. وأيضاً كان هناك رجل بجوار سور المدرسة يؤجر لنا الكتاب بخمسة مليمات. وكل تلك كانت رسائل تثقيف هامة جداً. وبعد ذلك اشتركت في دار الكتب حيث أعطاني توفيق الحكيم حق استعارة ثلاثة كتب بدلاً من كتابين في المرة الواحدة. وحينما دخلت كلية الآداب (قسم اللغة الانجليزية) تزيد عندي الميل للكتابة في الصحف، ويبدو أن هذا وضع العين علىّ من جانب القوى الوطنية في الجامعة، فأدخلني صلاح التهامي في مجموعة أسمها "شكسبير جروب" لمناقشة الكتب والأفلام والأعمال الأدبية، وطبعاً كان هدفه من هذا التقاط العناصر التي يمكن توجيهها إلى السياسة.

أثناء هذا وجدت زملاء يوزعون مجلة "الفجر الجديد" فاشتركت معهم في توزيعها، خاصة أن سلامة موسى كان يمت بقرابة لوالدي وكان والدي يشتري الكثير من المجلات الثقافية وكتبت "للفجر الجديد" مقالة بتوقيع "ج.س". ولم يعرفوا وقتها أنني التي أرسلت هذه المقالة.

* أجرت الحوار حنان رمضان – مركز البحوث العربية.

وتدريجياً بدأت أتجه إلى السياسة حيث ازداد نشاطي في "رابطة فتيات الجامعة والمعاهد" مع لطيفة الزيات وعنايات أدهم. ومن الطريف أنني وجدت نفسي عملياً مشتركة في أنشطة كل التنظيمات الماركسية دون أن أدري.

وفي أحد الأيام طلب مني صلاح التهامي أن أذهب معه لمقابلة ضابط جيش في حديقة الأورمان هو أحمد حمروش، وفي المقابلة قلت لحمروش: "أنتم بكم قلوب؟ أنتم مصريون؟ تحاصروا الجامعة وتكبتوا الطلبة اللي عايزين يعبروا عن شعورهم الوطني؟" فضحك وقال لي: نحن لا نفعل ذلك وستعرفين ذلك بنفسك وقابلته بعد ذلك في نادي قسم اللغة الإنجليزية حيث أكد لي: نحن حركة، ونحن ندرس. فقلت له: أنا امرأة متدينة جداً. فقال لي : لا شأن لنا بالدين. وبدأت أقرأ معهم عن تطور المجتمع وبعض الكتب الاقتصادية. وهو ما جعل أفكاري تتبلور جداً.

وفي أثناء ذلك كانت إنجي أفلاطون تلتنط الفتيات هي الأخرى من رابطة فتيات الجامعات والمعاهد، وفي فيلمها أظهر بين الفتيات في أول اجتماع لتأسيس الرابطة فقالت لي حينما رأت معي كتاب برنارد شو "دليل المرأة الذكية إلى الاشتراكية": برنارد شو ليس كافياً. وطلبت مني مقابلتها في بيتها في شارع شمبليون. وهناك قلت لها: هل سنقرأ فقط بينما توجد حركة. كنت مشهورة بطيبتي وسذاجتي فقالت لي: عرفني بهذه الحركة. فعرفتها بأحمد حمروش، وكانت هي من اسكرا وهو من الحركة المصرية. وكان هذا اللقاء من خطوات توحيد المنظمتين.

أيضاً كانت هناك دار الأبحاث العلمية التي كانت تقدم محاضرة كل أسبوع، وو جدتهم يحللون تحليلات غريبة عليّ. وذهبت إلى سلامة موسى فقال لي : احضري ندواتنا في جمعية الشبان المسيحيين وبعدها سيكون لك القدرة على التحليل.

في هذا الوقت كنا نجتمع مع إنجي أفلاطون في رابطة خريجي الجامعة وكان مسئولها عبد الرحمن الشرقاوي. كما كانت تجرى لنا مدارس كادر. وفي أحد هذه اللقاءات هاجمنا البوليس ونحن مجتمعون في شقة خاصة بعلي الشلقاني، وكان ذلك سنة ١٩٤٧. بعد أن تخرجت لطيفة الزيات من الجامعة وجدتني دون أن أشعر ألعب دوراً في الجامعة لأنني كنت أقود الهتافات بسبب تمتعي بصوت عالٍ جداً. وكنت أهتف: يسقط الجزارون، يسقط صدقي الجلاد.

والطلاب يرددون الهتاف ورائى. وعندما قبض علينا كان معنا أسعد حليم وزوجته اسما حليم ومحام اسمه فتحى محمود وعصمت التى كانت زوجة لأحد ضباط الجيش. وصدرت الصحف لتقول عن القبض على خلية شباب فى الساعة لثالثة فجراً وأن البوليس وجد بالشقة ثلاثة أو أربعة آلاف كتاب. وقد أفرج عنا فى نفس اليوم. وذهبت فى اليوم التالى إلى الجامعة فوجدت البنات غاضبات ولا يردن الحديث معى فقلت لهن: نحن قبض علينا الساعة الرابعة عصراً -وليس الثالثة صباحاً كما جاء بالصحف- وأفرج عنا فى الساعة السادسة. فلما لم يجد ذلك ذهبت لصحيفة الأهرام فى شارع مظلوم وطلبت من عصمت الذهاب للمصرى كما ذهبت للبلاغ وأعطيتهم تكذيباً وحينما دخلت صحيفة الأهرام طلبت مقابلة رئيس التحرير - وكان وقتذاك أنطون الجميل - فوجدت صالة واسعة جداً مليئة بالمحررين. توقفت فى منتصف الصالة وقلت أريد أن أحدث أنطون الجميل. قالوا: من أنت؟ قلت لهم أنا التى قبض عليها فى قضية شيوعية. فإذ بالصالة يرن عليها الصمت والكل يتطلع بشغف لهذه لظاهرة الغريبة على لمجتمع المصرى. قلت : أنتم كتبتم أشياء تمس سمعتنا وأشياء ليست صحيحة فإما أن تنشروا تكذيباً وفى نفس المكان وإلا سوف أرفع عليكم قضية فنشروا التكذيب. واقتنعت زميلاتى بالجامعة بأنها ليست تصرفا لا أخلاقيا.

ومن نتائج هذه المسألة أن أبو سيف يوسف -وكنت تعرفت عليه من جريدة البلاغ حيث كنت أكتب مقالات فيه وأبدأ عمل أرشيف للبلاغ - عرفنى بريمون دويك الذى كان يسكن فى شقة مفروشة بجوار صحيفة البلاغ. وطلبوا منى مقابلة أحمد رشدى صالح. وحينما ذهبت إليه بادرنى بالسؤال: ماذا وجدوا معكم؟ فلما أجبته، عقب بأن هذه نشرة داخلية ومعنى هذا أنك لست داخل التنظيم. وخصوصاً وأنا أطلب أن أكون داخل التنظيم وذهبت لأحمد حمروش وحكيت له ما حدث من أحمد رشدى صالح فظل يضحك كثيراً. المهم أنه حدثت وحدة بين اسكرا والحركة المصرية وتكونت حدتو وقبلوا كل الناس فى عضويتها، وهكذا دخلت التنظيم متأخرة. وكان ذلك فى ثانى سنة لى بالجامعة حيث كنت أعيد السنة الأولى بسبب رسوبى فى الجغرافيا رغم محاولات أساتذتى لاستثنائى بسبب تفوقى فى للغة الإنجليزية التى حصلت على الجائزة الثانية فيها فى الثانوية العامة وعلى نطاق القطر كله ولكنهم فشلوا فى ذلك.

بعد ذلك حدثت الانشقاقات، حيث أسس شهدى عطية التكتل الثورى. ولكن أعجبنى

خط عادل (عبد المعبود الجبيلى). وفى هذا الوقت ظهرت م ش م بفكرة القاعدة المشتركة والمؤتمر، فانضممت إليهم وكانوا من الخبث حيث وضعونى فى خلية أغلبيتها لهم وكنت العادلية الوحيدة فيها. وفى الحقيقة لم يكن لى دور تنظيمى كبير داخل الحركات الشيوعية وكان كل دورى هو النشاط الجماهيرى والمشاركة فى تحرير مجلة سرية اسمها "صوت الطالب". وكنت داخل م ش م كثيرة الاعتراضات على كل ما لا يعجبنى. وكان اسمى الحركى "جلال".

كانت م ش م قد رفعت شعار "عمال فقط ولا شأن لنا بأى تنظيم آخر". ومنعتنا من الاشتراك فى أية تظاهرات. حتى قبض علىّ فى أول قضية عام ١٩٤٩، وأرسلونا إلى سجن مصر. وصدرت إلينا أوامر من التنظيم بألا نتحدث مع أى أحد من تجاه آخر، وكانت معى فاطمة زكى ومن الاتجاه الآخر ماجدة زوجة كمال عبد الحليم، وكنا كلنا مع ذلك نتبادل الحديث.

وقبل ذلك كنت هربت لمدة شهر عند سعدية عثمان التى فصلت من م ش م بسبب كثرة اعتراضاتها، وكانت زوجة للدكتور عزت عبد الغفور، ورغم ذلك كانت تخبئنا عندها. كنت أصبغ شعرى وألبس ملاءة لف.

وفى السجن كان معى ثريا أدهم وسعاد الطويل. وكنا ممنوعات من الحديث مع ماجدة التى كانت تذهب وتجىء أمامنا مثل الأسد الجريح ومن الجرائم التى حوسبت عنها تنظيمياً وطولبت بتقديم نقد ذاتى - حيث كانت الأخبار تنتقل يومياً إلى سجن الرجال -أننى قدمت صابونة إلى مارى بابا دوبلو فاتهمت بالتعاون مع الأعداء، وحدث مرة أن دخلت اسما حليم علينا الزنزانة وقالت إن هناك اتجاهاً بالإفراج عن السجناء السياسيين، فقلت لها: حقيقى؟! فاتهمت بجريمة القبول بتحليلات الأعداء.

أما الجريمة الكبيرة فى نظر م ش م فهى أننى كنت سأمثل أمام المحكمة العسكرية، وكان المحامى الخاص بى هو المحامى الوفدى رياض شمس، وكان من المفروض نظر القضية يوم ٢٨ ديسمبر وطلب منى المحامى أن أسمح له بتأجيل القضية لأن الانتخابات البرلمانية بعد ذلك بستة ايام وأن الوفد سيعود للحكم. وحينئذ يأتى لى بالبراءة ولكن التنظيم أمرنى برفض رجاء المحامى وأن أمثل أمام المحكمة وألتزم الصمت التزاماً بشعار المقاطعة وصدر الحكم علىّ بعامين.

وبالنسبة لحادثة القبض علىّ فهى طريفة فعلاً. فقد كلفت بحمل كتب ونشرات إلى

المخزن العام للتنظيم، وأن أنقل تقريراً بخط يد آخر بخط يدى وأسلمه لثريا أدهم. إلا أنه قبض علىّ فى الشارع، فرميت الكتب والمنشورات وصرخت: حرمى! فتجمع الناس لإنقاذى، وبصعوبة شديدة استطاع الرجل إخراج كارنيه المباحث وطلب ممن معه جمع النشرات والكتب من فوق الأرض وأخذونى فى السيارة، وكان التقرير الذى بخط يدى فى شنطة يدى فنمت عليها كأنى متعبة وفتحتها خلسة ووضعت الورق فى فمى، فتنبه الرجل وأخرجه من فمى إلا أننى اختطفته مرة أخرى ورميته من النافذة، فأوقف السيارة واستعاد الورقة مرة ثانية، وعند العرض على ضابط قسم الأزبكية هجمت على الورق ومزقته إرباً، وبالفعل قضيت على الدليل الذى بخط يدى ونشرت هذه التفاصيل فى الجرائد اليومية. ولذلك فقد كان الحكم علىّ بعامين حكماً شديداً.

وفى السجن تقرر عمل إضراب عن الطعام ضد هذا الحكم. وبعد ثلاثة أيام من الإضراب لم تحتمل صحة ثريا إبراهيم ذلك فقرروا أن تفطر. وفى اليوم السابع أخبرتنى الطبيبة أننى سيحدث لى هبوط فى القلب فأنهيت الإضراب بعد ذلك بأربعة أيام. وكان معظم المضربات من م ش م التى قررت فصلى وأنا فى السجن ومحكوم على بعامين بسبب نفس الأسباب التافهة كالصابونة والتعاون مع الأعداء، وفك الإضراب.

كانت والدتى على علاقة طيبة بمأمورة السجن التى سمحت لها بأن تدخل إلىّ الشاى والطعام والسخان بالإضافة إلى الكتب. وذات يوم أخبرتنى أمى فى الزيارة من وراء السلك أن شقيقى توصل إلى واسطة لتخفيف الحكم فخيرتنى بين وقف التنفيذ أو التخفيف إلى سنة فأخذت الحل الأخير لأننى كنت قد قاربت على السنة فى السجن، وخشيت إن تم إيقاف التنفيذ أن يظل هذا السيف مصلطاً علىّ لمدة ٣ سنوات يمكن خلالها تنفيذ الحكم إن قبض علىّ بنفس التهمة، كما خشيت من اتهامات م ش م لى بالخيانة ومن ثم مقاطعة الجميع لىّ لأن هذه المقاطعة كانت قاتلة.

وبعد وقت قصير أخبرتنى السجانة بأننى سوف يفرج عنى فى عيد ميلاد الملكة نازلى وكنت قد أمضيت بالسجن عشرة شهور. وظللت لمدة سنة تحت المراقبة، حيث كنت أذهب إلى القسم مرة كل أسبوع لإثبات وجودى. وفى هذه الفترة تقابلت مع عزت عبد الصبور وسعدية وكثيرين آخرين كانوا معنا فى م ش م قبل القبض علىّ وعلمت أن المنظمة قد فصلت ٧٠ عضواً من خيرة كوادر الحركة، وكانوا قد طردوا أيضاً فاطمة زكى.

دورى ومسئولياتى فى م ش م

طلبوا منى أن أجند عمالاً، وقالوا : اذهبى أمام المصنع. فقلت لهم: بنت تقف أمام باب مصنع لابد أن يقال عنها إنها تعاكس الرجال. ولو حدث ونجحت فى تجنيد أحد العمال كيف سأعرف أنه أفضل العناصر؟ وماذا يمنعه من التعامل معى كبنت فقط!.

وحدث فى هذه الفترة أننى كنت مسئولة عن عامل مهم جداً فى ورشة السكك الحديدية، ثم حولوا مسئوليته إلى فتاة أجنبية، ولما كان يسكن فى حى شعبى فقد اعترضت زوجته على ذلك بشدة وطلبت أن أعود أنا مسئولته.

وقبل م ش م كان لى نشاط فى مجلة "الجماهير" التى تصدرها حدتو، وأعطونى مسئولية صفحة المرأة واخترت لها مانشيت "المرأة نصف المجتمع". ومن الذين أحب ذكرهم فى هذا النشاط ثريا شاكر وكذلك فاطمة زكى. وقد نشرنا موضوعات عن الغلاء، وأسعار الخضار وهكذا. أما صفيه فاضل فكانت واحدة من الثلاث اللاتى ذهبن إلى باريس وأسسن رابطة فتيات الجامعة والمعاهد، واقترحت علينا أن نهتم بإضافة موضوعات نسائية مثل التفصيل وغيره. ومن ضمن ما نشرته فى الجماهير أول مقابلة تجرى مع السفير السوفيتى وفى مقر السفارة، ونشر الحديث تحت عنوان "لا سلام مع استعمار ولا حرية دون استقلال". كما كنت أنشر موضوعات حماسية مثل "إلى فتاة الشرق الأبية".. والتوقيع كان أسماء مستعارة. وطلبت منى المجلة أن أتابع نشاط الجمعيات النسائية فذهبت إلى زوجة أحمد حسين فى منزلها عند كوبرى عباس وكان وقتها عائداً من أمريكا ويروج لدعايتها. وكانت إجاباتها جميلة جداً إلا أن أعضاء فى "مصر الفتاة" قابلوا رئيس التحرير وحذروه من نشر الموضوع، فوافقهم، ثم بعد يومين وجدوا قنبلة على سلم المجلة.

وحدث أن وقعت مواجهة بينى وبين هدى شعراوى حينما أتت "مس ريد" رئيسة الاتحاد النسائى الرجعى، فسألت الأخيرة عن رأيها فى حق الانتخاب للمرأة فردت بأن الاتحاد لا يتدخل فى السياسة الداخلية للدولة. وانتقدت هدى شعراوى بأن حركتها ارستقراطية لأنها جعلت رسم الاشتراك ١٢ جنيها فى السنة وهو أكبر من مقدرة النساء الشعبيات.

كما اشتركت فى تحرير مجلة نصف سرية هى "صوت الطالب" مع طالب اسمه محمد جمال الدين لكنهم طردوه من الجامعة بسبب السياسة والهروب من البوليس. وكنت أشترك فى عمل

الريبورتاجات فى الجماهير مع حسين كاظم.

المهم بعد أن خرجت من السجن عام ١٩٥٠ أسسنا -نحن مجموعة المفصولين من م ش م- تنظيماً جديداً. وكنت قد انتقلت إلى الاسكندرية، واشتركت فى حركة السلام هناك. كما نشطت فى التجنيد مع عمال "مصنع نحاس". كنت أجمع الأموال وأرسلها إلى م ش م رغم أنى منصولة منه، ولم أكن أدرى أنهم حلوا التنظيم. وحينما علمت بذلك وجهت المجندين الجدد إلى تنظيمنا الجديد لا ذكر اسمه. وفى حركة السلام كان معنا سعد الساعى وسعد حماد وسعد عبد المتعال والمحامى فوزى حمزة، وكنت ضمن الهيئة العليا لمدينة الإسكندرية التى تقوم بالتعبئة القومية أثناء حرب ١٩٥٦. وقد اشتركت مرة فى مظاهرة كبيرة بالإسكندرية لا أذكر مناسبتها واستدعانى رئيس المباحث. وكان ذلك بعد انتهاء حرب ١٩٥٦ وقال لى إنه أخرج ملفى ويريد أن يكمله، وسألنى عن زوجى وماذا يعمل. وكنت قد تزوجت سنة ١٩٥١ وأنجبت طفلاً ثم توءمين سنة ٥٤، ٥٥ وقد جاء زوجى فوزى أبو شنب إلى الإسكندرية ثم تركنى فيها لأكمل نشاطى فى حركة السلام. وهو كان قد أسس تنظيماً مهماً لا أذكر اسمه. ولعل نشاطى فى الإسكندرية وفتح ملفى مرة أخرى من أسباب اعتقالى سنة ١٩٥٩.

وقبل أن أعود من الإسكندرية إلى القاهرة تقابلت مع سعد رحمى وطلبت منه دخول التنظيم. وأظن أنه حزب العمال والفلاحين. وبالفعل قبلت فوراً.

دورى فى التنظيم

لم يكن عددنا فى الإسكندرية كبيراً. أما فى القاهرة فقد كنت أتحرك من وراء زوجى الذى اختار "البزنس" فى النسيج وخلافه، رغم أنه كان فى الماضى محترفاً ثورياً. أما أنا فلم أحترف أبداً.

رأيى فى الاحتراف الثورى

رأيى أنه أسلوب خطأ لأن الإنسان يفقد ارتباطه بالحياة والناس بمجرد الاحتراف كما أنه يخضع لسياسة التنظيم. وكان أحد العمال المحترفين قد قال لى مرة: كيف أعيش بثلاثة جنيهات؟ فقلت له اذهب لثريا ادهم -مسئولتى- فقالت له ليس لدينا سوى هذا.

موقف م ش م من قضية فلسطين

حقيقة تؤرقني مواقف م ش م من هذه القضية، كما أنني لم أتعرف على مواقف أو تحليلات أخرى وقتها. كانوا يقولون لنا إن العمال الذين سيأتون من أوربا إلى فلسطين متقدمون وسيفيدون الشرق الأوسط البائس. وحدث أن قامت مظاهرة للشابات المسلمات فسرنا معهن، هن كن يهتفن "لا لتقسيم فلسطين". ونحن نهتف "يسقط الاستعمار" ولا نهتف ضد التقسيم.

وكانت تلك المظاهرة من أنجح المظاهرات الشعبية الخاصة بالقضية الفلسطينية إذ انضم إلينا جموع وفيرة من الأحياء الشعبية.

وصور هذه المظاهرة تظهر في فيلم إنجي أفلاطون وأظهر في لقطة منها.

علاقة التنظيمات المختلفة بالطبقة العاملة

في م ش م كنا نرفع شعار "١٠٠٪ عمال". وحدث مرة أن جاء إلينا كوريل ليشرح خط القوات الديمقراطية وبناء تنظيمات منفصلة للنساء والعمال والطلبة. وبالنسبة للفلاحين فقد طلبوا مني في م ش م أن أعد بحثاً عن الإقطاع في القرية المصرية، ولا أعرف ماذا فعلت به القيادة بعد ذلك. وعموماً هو كان مجرد بحث ولم يكن احتكاكاً عملياً بالفلاحين.

تجربة القبض عليّ في ١٩٥٩

كان لدي ثلاثة أطفال أكبرهم عمره ٤ سنوات وحينما ذهبت المباحث إلى المدرسة ليدلوهم على بيتي رفض من يعرفونه أن يدلوهم عليه. ولكنهم على أي حال استطاعوا الوصول. وطلبت منهم الذهاب لأخي لأترك عنده الأولاد. وهذه كانت من أصعب لحظات حياتي. وأحضر لي أخي طعاماً ولحافاً. وحاول الضابط وضع الحديد في يدي رغم أنه ممنوع قانوناً فرفضت هذا وأصررت فرضخ، حيث كنت أبعد الأطفال عني وهم يبكون. وبعد التحقيق رحلت إلى المباحث وفي يوم كنا مجموعة كبيرة من النساء في عربة السجن في طريقنا للتحقيق فأخذنا نهتف هتافات وطنية ما جعل المارة يتجمهرون ليروا ما حقيقة الحكاية. وبدأت تجربة سجن طويلة في القناطر عمرها خمس سنوات بدون أية زيارة أو طعام من الخارج. وبدون كتاب أو ورقة أو قلم. وبالطبع كنا نتحايل على كل هذا.

كان معى فاطمة زكى، ثريا أدهم، سعاد الطويل، ثريا شاكر، وجاءت أسما حليم وهى حامل، وإجلال السحيمى وتعرفت فى السجن على ثريا إبراهيم وزينب وعاملة اسمها سيدة وسميرة الصاوى، كما جاءت إلينا محسنة توفيق ونوال الحلاوى وأمينة أبو النصر. ورفض بعضهن الاعتراف بعضويتى فى الحزب. وتمت عمليات مقاطعة فى المعيشة والطعام، ورفضتها أنا وثريا ابراهيم. لولا أن جاءت إلينا إنجى وقالت لهن أنا أعرفها، وإلا كان من الممكن أن أظل منبوذة طوال فترة الاعتقال.

وكانت لنا تجربة فى الإضراب عن الطعام، كنت مريضة بقرحة فى الإثنى عشر وقالت لى طبيبة السجن لا تضربى حتى لا يحدث لك نزيف فقلت ليحدث ما يحدث ودخلت الإضراب. ولم تدخل ثريا أدهم الإضراب لأن صحتها لا تسمح. وحتى سميرة الصاوى التى كانت بعيدة عن التنظيمات دخلت الإضراب. وفى اليوم الثالث من الإضراب تم نقل ثريا شاكر وسميرة الصاوى وأنا إلى المستشفى. وبدأت أنزف فى اليوم الثالث عشر، فجن جنون الطبيبة حتى أنه فى الأيام الثلاثة الأخيرة من الإضراب ظلت أبواب السجن مفتوحة والأطباء يروحون ويجيئون لأن الحالة كانت حرجة. استمر الإضراب ستة عشر يوماً وكنت أنزف وشعرت أن جسمى كله مسمم. ولا أنسى أبداً موقف الطبيبة التى كانت على خط ساخن مع المباحث. كنا نعيش على الماء فقط بدون أدوية أو جلوكوز. وبعد انتهاء الإضراب بشهرين تم الإفراج عنا.

جاءوا فى اليوم الثالث عشر يساوموننا لفك الإضراب فرفضنا وقلنا لا نقبل بأقل من الإفراج. ولم ننه الإضراب إلا فى اليوم السادس عشر عندما أبلغونا بأنه سيتم الإفراج عنا قريبا .

أعتقد أن الرجال أضربوا معنا. وأحب هنا أن أذكر أن السجينات العاديات كن متعاطفات معنا جداً ويرجوننا أن نفك الإضراب ويأتين إلينا بماء أرز وعصير وغيره ولكننا كنا نرفض. كما أذكر جهود سيزا نبراوى مع منظمات حقوق الإنسان التى جاء وفد منها لزيارتنا فأدخلونا غرفة فى نهاية المستشفى وصفحوها بالصفيح لكى لا تسمع هتافاتنا. ولكن السجانة التى كانت متعاطفة معنا قالت لنا: بمجرد أن يأتوا سنفتح لكن، وظللنا نهتف ولكنهم احتالوا على ذلك بأن رفعوا صوت الموسيقى ليغطى على هتافاتنا. ورفضت الإدارة أن يقابلنا وفد حقوق الإنسان.

وفى مرة أخرى جاءت سيزا نبراوى لزيارة غرفة الموسيقى التى كانت أمام عنبرنا. فتكلمت معنا وأعطتنا "كافيار". وقالت بياتريس جبراوى -وهى زوجة صادق بقطر الطبيب بالمستشفى- لماذا تفعلوا ذلك بالناس؟ وكان هذا الطبيب متعاطفاً معنا وله وعى تلقائى وإنسانى بالسياسة، وكان له دور فى القضية الفلسطينية. كما أنه هو الذى أقنع مجلس الكنائس العالمى بالتبرع "بالأنسولين" الذى دخل مصر ولم يكن بها ذرة من "الأنسولين".

ومن حوادث الاعتقال أن الضابط إسماعيل همت المعروف بفظاعته قد زارنا مرة فى العنبر، وحينما وجد أن به شباكين أمر بإغلاق أحدهما فأتوا بصفيح وسمروا الشباك الخلفى.

حوادث التعذيب

من حوادث التعذيب أن ميكروفون السجن أذاع خطاباً لعبد الناصر ينفى فيه وجود معتقلين. فحكت لنا ثريا شاكر أن الرجال المعتقلين أخذوا حفائهم مرة وتوجهوا إلى مأمور السجن الذى أفرج عنهم. وقررنا أن نفعل الشيء نفسه فتقدمنا ٢٦ معتقلة باتجاه مكتب المأمور، فلما رآنا قادمات إليه بهذا المنظر خرج على الباب. فقلنا له أفرج عنا لأن عبد الناصر يقول هذا. وكان هذا المأمور يمت بصلة قرابة لإجلال السحيمى، قال لنا: عدن وسآتى إليكن فى العنبر.

قلنا له لا نحن نريد الإفراج. فأتى بالعسكر الذين وقفوا صفين أمامنا، وأمر بإغلاق كل أبواب الزنازين وإعادة السجينات من الورش. ولما أعطى إشارة البدء بدأ الضرب والسحل على الأرض، وكانت أسما حليم حاملاً. وجروا عايدة بدر من شعرها بينما هى لا تكف عن الهتاف.

وكانت الدكتورة "إيدا" متعاطفة معنا جداً، وهى كانت صديقة لزوجة أخى وكان يرسل إلينا من خلالها النقود والشاى والكتب.

هل قضيتن جميعاً مدة الخمس سنوات كاملة؟

لا خرجت زينب وسيدة مبكراً. كذلك كانت ايفون حبشى تخرج وتجيء. كما كانت هناك قضية أرواد مترى لكنها لم تكن معنا فى العنبر وأسما أخذت بعد الولادة غرفة خاصة. وزينات الصباغ كان عندها طفل.

هل كانوا يضغطون عليكن بالأطفال؟

نحن كنا نهرّب أولادنا لزيارتنا. تكتب الزيارة باسم مسجونة أخرى ونذهب إلى المستشفى لرؤيتهم. ولا أنسى أبداً كيف أن أحد أولادى صرخ فى وجهى ولم يقبل أن يأتى إلىّ. حاولوا كثيراً معنا بالتلويح بالإفراج عنا بشرط أن نكتب استنكاراً، أو حتى إقراراً بأننا لن نعاود نشاطنا إن أفرج عنا.. ولكننا رفضنا.

موقفي وموقف التنظيم من اليهود والقضية الفلسطينية

بالنسبة لليهود القادمين إلى فلسطين سبق وشرحت لك الموقف الخطأ الذى نقلوه إلينا فى م ش م عن أولئك المتقدمين الذين سوف يرفعون مستوى الشرق المتأخر. أما اليهود الذين فى داخل الحركة الشيوعية فقد كانت علاقتنا بهم جيدة، وبالذات من فى المستويات القاعدية وليس القيادات حتى أننى اختبأت فترة عند عائلة يهودية. ونادراً ما رأيت أوديت حزان وزوجها سيدنى سلمونى. فقد كنت فى القاعدة ولا شأن لى بالقيادات. وكان اليهود متواجدين فى الحركة بنسبة كبيرة.

الموقف من أحزاب ما قبل ١٩٥٢

كنت أكتب فى صحيفة "البلاغ" الوفدية، وكانت علاقتى بهم جيدة. وكان الوفد فى نظرنا حزباً يمثل تجمع الشعب كله. كما أننى كتبت بعض الموضوعات لجريدة "السياسة" لسان حال الأحرار الدستوريين.

والموقف من سلطة يوليو وتنظيماتها المختلفة

عندما قامت الثورة أسميناها انقلاباً لأن الثورة يجب أن يقوم بها الشعب. وزاد من تشككى مبادرة قادة الثورة بإبلاغ السفير الأمريكى بنية القيام بها. وعن نفسى لم أدخل أياً من تنظيمات يوليو، وحتى هم لم يحاولوا معى، رغم أنهم حاولوا إدخال عناصر كثيرة منا إلى هيئة التحرير.

رأيى ورأى التنظيم فى قوانين الإصلاح الزراعى وتأميم قناة السويس

هذه الإجراءات كانت السبب الذى جعلنا نناصر الثورة، وخاصة فى عام ١٩٥٦ بعد أن كنت متشككة جداً فى اتفاقية الجلاء مع بريطانيا.

موقفك من أحداث كفر الدوار

غضبت جداً، خصوصاً أن ابن عمتى كان يعمل هناك، وأخبرنى كيف كان العمال يجبرون على الانبطاح فى العراء، وكيف تم إعدام خميس والبقرى، وقد أثار هذا سخطاً شديداً على الحاكم الذى رفض مقابلة العمال وأصر على الإعدام.

الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين عام ١٩٥٤

الذى رأيته فى فترة الجامعة أنهم كانوا دائماً يكسرون الحركة الوطنية، حتى أن أحدهم أخرج لى مسدساً وأنا أقود مظاهرة، وأمسك سعد رحمى بالسلاح وأبعده عنى وفى اعتقادى أنهم كانوا جماعة دورها غير وطنى.

الموقف من انتخابات مجلس الأمة سنة ١٩٥٧

أشيد بسيدة جاءت إلى فى البيت لأوقع على استمارة ليكون لى حق الانتخاب، وأنا رغم تحررى وأننى أعمل لكننى كنت لا أكلف خاطرى أن أعمل خطوة كهذه، ولذا أنصح بعمل هذه الخطوة لتسجيل أكبر عدد من النساء فى جداول الانتخاب.

الموقف من الأحلاف العسكرية

كان لدى وعى جيد بها وكنت ضدها جميعاً.

وبالنسبة للوحدة بين مصر وسوريا

طبعاً كنا نوافق على الوحدة مع أى دولة عربية، ولكننا كنا نشك فى أن هذه الوحدة قد قامت على أساس سليم يجعلها تستمر.

وبالنسبة لقرارات التأميم

هى من الأشياء التى أدخلتنا فى الحياة.

شخصيات تستحق إلقاء الضوء عليها

أريد أولاً أن ألقى الضوء على نشاطنا فى الحركة النسائية. كانت عنايات أدهم -فيما أظن- التى أقنعتنا بدخول "رابطة فتيات الجامعة والمعاهد". ولكن بعد حل الرابطة تم التفكير فى بناء تنظيم نسائى جديد. فذهبنا إلى سيدة قبطية اسمها "ماتيلدا جريس" لتكون عنواناً للتنظيم وعقدنا اجتماعاً كبيراً فى صالة بيتها فى شارع رمسيس. وكانت السيدة مرحبة جداً بتأسيس التنظيم النسائى. ولكن أخطأنا حينما وضعنا فى أسماء مجلس الإدارة بعض المشتغلات بالسياسة مثل انجى أفلاطون وجاءت السيدة ثائرة جداً بعد العرض على الداخلية، وقالت لنا لماذا لم تقل لى أن هؤلاء لهم اتجاه سياسى؟ وهو ما أودى بجهودنا لعمل تنظيم نسائى مع "ماتيلدا جريس" إلى الفشل.

والشىء نفسه حدث حينما حاولنا إنشاء مركز فى روض الفرج لمحو الأمية وتعليم الخياطة وخلافه. كما أن الدكتور شريف حناتة كان سيفتتح عيادة. ولكن هذه الأسماء المعروفة للأمن -مثل انجى أفلاطون أيضاً- أعاقت المركز.

وأحب أن أحدثك عن عصمت حيث طلبوا منها مرة أن تشترك فى استقبال النقراشى العائد من عرض القضية المصرية على مجلس الأمن عام ١٩٤٧ وقد أخذت عصمت حصاناً من أحد الضباط وركبته فى الميدان وكان منظرها لطيفاً. وزوجها كان ضابط جيش اسمه صلاح. وكتب عيسى متولى عموداً فى الاهرام يشيد فيه باشتراك النساء فى المظاهرات.

أما عن دور الأهل

أصبح للأهالى علاقات مع بعضهم البعض. وفى هذه الفترة كان هناك دور بارز لخالتى أم محمد عثمان التى كانت تعد طعاماً فى كل عيد أو مناسبة وترسله للمساجين. وقد تعرفت عليها بعد الخروج من المعتقل. وقيل لى إن الأمهات قد تم القبض عليهن بعد تجمهرهن فى مناسبة ما، وتم وضع حوالى ٤٠ سيدة فى غرفة ضيقة حتى كدن أن يختنقن. وأعتقد أن هذه هى المرة الوحيدة التى قبض فيها على أم محمد عثمان.

نبذة عن والدة الشهيد محمد عثمان

إنها والدة الشهيد محمد عثمان الذى قبض عليه ثم اختفت آثاره ولم يعثر عليه حتى الآن. سمعت عنها وأنا فى المعتقل .. نوال الحملاوى التى قبض عليها بعدنا أبلغتنا أول أخبارها

أن خالتى أم محمد بحثت عن ابنها فى كل السجون والمعتقلات والمستشفيات فلم تعثر له على أثر وهي فى ضائقة مالية لا تستطيع أن تدبر مصاريف الدراسة لابنها سيد (كان ابنها الاخر حسن عثمان معتقلا).

وسمعت عنها أيضاً من ثريا شاكر بل عرفنا أنها كانت تحضر مع أولاد ثريا حين كانت تحاول أن تراهم سرا. كانت تبيت عندهم ثم تحضر معهم إلى سجن القناطر.

وصممت على التعرف عليها بعد خروجى. وحين دخلت عليها كانت تغسل على طشت غسيل.

ومنذ ذلك اليوم أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتى. كانت تزورنى كثيراً فتركب المواصلات العامة وهى سيدة سمينة.

وكانت القاسم المشترك حفلاتنا التى كان يؤمها جيل السبعينيات.

ولايمكن أن أنسى يوم أن ذهبت إلى النيابة لتستمع لأول مرة عن قصة اغتيال ابنها فى القضية التى رفعها فوزى حبشى ضد المباحث. كنا نحتفل بإحدى المناسبات وشككنا فى قدرتها على الحضور فى ذلك اليوم ولكنها فعلت رغم الالام النفسية التى كانت تعانيها.

فى كل عيد كانت خالتى أم محمد، رغم فقرها، تذهب مع جيل السبعينيات ومع من بعدهم مثل عماد أبو غازى.

وفى بيتها تمت احتفالات وحدة الحزب وكانت هى التى قامت بمفردها بعمل كل الطعام.

كانت عضوة بالحزب وفى يوم كانت موكلة بتوزيع المنشورات وركبت أحد الأتوبيسات وفى وسط الزحام رفعت يدها بالمنشورات على فتحة الأتوبيس العليا فطارت المنشورات فى كل مكان.

* أيضاً أحب أن أذكر سعدية عثمان التى كانت طالبة فى كلية العلوم وقت أن كانت هذه الكلية ممتلئة بالتقدميين والتقدميات مثل فاطمة زكى وحورية مصطفى وسعاد كامل. زرتها فى بيت والدها فى السيدة زينب قبل انتقالهم إلى جاردن سيتى. كان والدها من النوع الرجعى جداً والذى اراد حرمانها من الخروج والتعليم لكنها خاضت مع والدها معركة كبيرة وفتحت الطريق لأخواتها البنات للتعليم وتولى مناصب كبيرة فيما بعد.

ومن مواقفها أيضا بعد انتهاء علاقتنا مع م ش م، أنها كانت تقيم مع زوجها فى بيت

والدته، وكان لديها طفلة واحدة فى هذا الوقت. وقال عزت نؤسس تنظيمًا جديداً. وكان أهله قد أنشوا له عيادة ليعمل فيها بوصفه كطبيب أسنان ولكنه قال لأهله إنه مسافر لإنجلترا. بينما هو استأجر شقة صغيرة فى الجيزة. ووقفت سعدية مع زوجها الذى أصبح بدون عمل، وكانوا يرسلون لأهل عزت خطابات تبدو كأنها صادرة من انجلترا. وقد طردت سعدية من م ش م لأنها كانت تتجادل وتختلف مع أوديت حزان كثيرة فأعطوا زوجها عزت أمراً بأن يطلقها. ويجوز أن من الأمور التى أخذوها على عزت أنه لم يطلقها. كانت سعدية مثالاً للطهر والإخلاص والتفانى والحيوية. ولم يكن ممكناً لسعدية أن تستمر طويلاً فى م ش م لأنها صاحبة رأى، أما أنا فقد اضطررت أن أقول أشياء مخالفة لضميرى وأن أكتب اعترافات منتظمة. أما هى فلا تريد وغير مقتنعة. وبعد تجربة م ش م عاصرتنا سعدية فى التنظيم الجديد الذى شكلناه من المطرودين وذلك قبل إتمام الوحدة. وبعد تجربة م.ش.م أقسمت ألا أقول شيئًا أيا غير مقتنعة به مهما هددونى بتهمة خيانة المبادئ.

أيضاً أذكر حورية مصطفى زوجة عبد العظيم أنيس الذى كان يقبض عليه كثيراً، فكانت تربى الأولاد وترعاهم. كما كانت انسانة لها شخصيتها وآراؤها. وقد كانت من العادلين. وهناك سعاد أنيس شقيقة د. عبد العظيم أنيس التى كان لها نشاطها المحلوظ

كذلك أحب أن أكلمك عن سميرة الصاوى وهى "ست بلدى" غير متعلمة، فوجئت أن زوجها أحمد طه يعمل بالسياسة ويقبض عليه كل فترة، نكان لابد أن تقف مع زوجها. وذات يوم ذهبت للمصيلحى مدير المباحث وربطت حبل غسيل فى مكتبه ونشرت عليه ملابس ابنها، وقالت له: ليس لى بيت، أنت مشردنى ومشرد عيالى، ورغم كل التناقضات والصراعات نقد كنا نحب بعضنا جداً. وفيما بعد السجن بسنين سألتها: كنت أعلمك اللغة الإنجليزية فلماذا انقطعت عنها؟ قالت لى لأنهم قالوا لى: إنك ستصبحين ذيلاً لها. وإذا كانت نسا، كثيرات قد خرجن من الحركة قبلها -هى وعايدة بدر- قد بقيتا فيه معنا لآخر لحظة.

عايدة بدر كانت أيضا "ست بلدى" من بنها كانت متزوجة ولها ابن. وكانت تناصر أخاها وتحمل له المنشورات. وعندما قبضوا عليها قضت الخمس سنوات من أول لآخر يوم. أما سيدة العاملة فقد خرجت مبكراً ولا نعلم عنها شيئاً.

وبالنسبة لحل الحزب

كان شيئاً مفزعاً. وطبعاً لم أوافق على الحل، ولكنى أعتقد أننى لم أكن عضوة فى تنظيم وقتها. فقد تركونا أنا وثريا فى السجن فى موقف غامض. لا وقف ولا طرد ولا .....

رأيى فى الانقسامية وعدم التواصل

القيادات هى السبب. ففى اعتقادى أن القيادات المخلصة كان لابد أن تشجع الصراع الفكرى وتبادل النشرات الداخلية. لكننى أعتقد أن القيادات كانت تحب الزعامة. فلم يكن هناك تنظيم يسمح بتبادل الرأى والرأى الآخر.

ما موقفك وموقف التنظيم من الحركة الشيوعية العالمية؟

كانت هناك علامات استفهام كبيرة لم يلتفت لها أحد. أولها كيف قام الاتحاد السوفيتى بعقد معاهدة مع هتلر قبل الحرب العالمية الثانية؟ إذا كانوا حقاً يحاربون الفاشية فكيف فعلوا ذلك؟

علامة الاستفهام الثانية أن الاتحاد السوفيتى كان ثانى دولة تعترف بإسرائيل بعد دقائق من إعلانها. ورغم أننى لم أكن أعرف القضية الفلسطينية جيداً فى ذلك إلا أننى اندهشت جداً من موقف الاتحاد السوفيتى من تقسيم فلسطين.

شهادة

محمد حلمي ياسين

البيانات الشخصية

الاســـــــم : محمد حلمي يسن

محل وتاريخ الميلاد : ٥ ابريل ١٩١٩ قرية أبو صير الملق مركز الوسطى- بنى سويف من عائلة شبة إقطعية

المؤهــــلات : شهادة البكالوريا عام ١٩٣٦ وهى الشهادة القديمة لإتمام الدراسة الثانوية خمس سنوات بعد الشهادة الابتدائية.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : وفترات السجن والاعتقال:

فى أوائل الأربعينيات كان عمرى ٢٢ سنة، التقيت بالشيوعيين، كنت وفدياً بحكم انتمائى العائلى، وعملت مع الشيوعيين سنوات عديدة، وبنشاط كبير دون أن أكون عضوا منظما فى خلية، الأمر الذى تحقق فى الشهور الأخيرة عام ١٩٤٦.

بيانات عائلية :

فترات السجن والاعتقال : دخلت السجن أول مرة فى ٣٠ أكتوبر ١٩٥٠ فى عهد الملك فاروق وكنت محترفا ثوريا من شهر مارس ١٩٤٩، وبعد خمسين يوماً، حوالى ٢٠ ديسمبر، أفرج عنى بكفالة والتحقت بعمل فى شركة لبيع لسيارات وماكينات النظافة، وكانت وقتها حاجة جديدة، واستمريت فى هذا العمل حتى صباح يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢، يوم حريق القاهرة، وفى ظهر ذلك اليوم وضحت معالم المؤامرة المدبرة على الكفاح المسلح الذى بدأ فى القنال، وفى المساء غادرت المنزل ونجوت من الاعتقال حتى منتصف مايو ١٩٥٢ قبض على فى الشارع وأودعت فى معسكر الهايكستب لمدة ثمانين يوما حتى أفرجت عنى الثورة فى ٢٨ يوليو ١٩٥٢ وصدر لى توجيه بالسفر إلى الإسكندرية، اعتبارا من أول أغسطس، وهناك عملت مدرسا خاصا بمعونة الزملاء، ثم انتقلت إلى المحلة الكبرى حيث عملت ممرضاً فى عيادة خاصة حتى يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٥، واعتقلت ضمن حملة على الوفديين والإخوان واليساريين والعمال النقابيين بمناسبة زيارة الصاغ/ صلاح سالم للمدينة، ولم تعرف حقيقة شخصيتى إلا مساء اليوم التالى، وأمضيت عشرة شهور فى سجن القناطر، حيث كان مخصصا للشيوعيين

---

* أجرى الحوار كل من أ. رمسيس لبيب، أ. تجانى عبد المجيد عضوا لجنة التوثيق.

وأعيدت محاكمتي في القضية ذاتها وحكم على بالبراءة وأطلق سراحي في يوم ١٩٥٦.

وظللت حرا إلى أن تم القبض علينا أول يناير ١٩٥٩ وحوكمت أمام مجلس عسكري عال، ودافعت عن عضوية الحزب الشيوعي وحكم على بعشر سنوات، وأفرج عنا جميعاً معتقلين ومسجونين عام ١٩٦٤ من كان معتقلا ومن كان محكوما عليه بسنتين سجن أو بعشر مثل حالتي.

ثم قبض على في عهد السادات مرتين ١٩٧١، كنت عضوا في قسم الزيتون في الاتحاد الاشتراكي، وهذا القسم كان معروفا بنشاطه الشديد ولوجود أعضاء التنظيم الطليعي في ذلك الوقت، ولم أكن عضوا في التنظيم الطليعي، وكان القسم مرتبطا بسامي شرف، وقمنا بعمل نشرات ضد السادات ومؤتمرا واتهمونا بعد ذلك بأننا قلنا إن السادات خائن، وبناء عليه قبض علينا جميعا.

ونحن في التحقيق كان موقفي مميز جدا لأنني رجل متمرس وكانت لي تجارب سابقة وكنت أفهم جيداً كيف تكون الإجابات.

وبعد قضاء فترة عشر أيام أفرج عني، ثم أعيد اعتقالي بأمر المدعي الاشتراكي وصدر قرار اتهام ولم أكن واحدي فيه حتى أفرج عني.

رحلة الانضمام للحركة الشيوعية

أرجو العذرة من القارئ لأنه سيفاجأ بسرد طويل عن أيام الطفولة والشباب وحكايات عن عنصري الأمة، وبالنسبة لي فإن أحدا لن يفهم طريقتي في العمل والحياة دون أن يعرف كيف عشت أيام الطفولة والشباب صاحبة الفضل الأول في أن أصل للماركسية وأنا أحمل قدرا كبيرا من المعرفة والاستنارة .

أنا من عائلة سياسية هي عائلة ياسين، من عائلات بني سويف، في ذلك الوقت كانت من أقوى عائلات الإقليم، بمعنى أنها كانت من العائلات التي كانت لها كلمة مسموعة في الإقليم.

وسوف أعطيك حادثة بسيطة-في إحدى التشريفات الملكية التي كانت تتم في عيد ميلاد الملك وعيد جلوسه على العرش، كان الأعيان وكل رجال الدولة يمرون ويقبلون يده، فذهب ولد

بني سويف رأخذوا معهم ولدا من العائلة عمره ١٦ سنة- كبير التشريفات الملكية عندما رآه انزعج جدا رقال: لا يمكن أن يدخل معكم إلى مولانا، ويكل بساطة والدى قال له: إذن بنى سويف كلها لن تدخل التشريفة تفضلوا يا رجل لنعود إلى بلدنا.

نى هذا الموقف، ما إن بدا وفد بنى سويف ينفذ هذا الكلام، حتى تصرف كبير التشريفات وسمح بدخول الولد الصغير معهم في التشريفة، وهذا مثل يبين لك التجهية والاعتزاز بالنفس.

طبعا في ذلك الوقت كانت العائلات الإقطاعية وشبه الإقطاعية تحكم- بمعنى أن لها نفوذاً كبيرا جدا- كان عندنا ونحن فرع من العائلة الكبيرة التى تملك أربعة آلاف فدان وخرج من العائلة حسن باسين الذى كان زعيماً للطلبة فى ثورة ١٩١٩ وكان شخصا محبوبا جدا ومقربا من سعد زغلول أولا ومصطفى النحاس ثانيا إلى أن مات.

ووالدي كان رئيس لجنة الوفد في القرية وكان طبيعيًا جدا أن تصلنا صحيفتا الجهاد وكوكب الشرق، وكنت مكلفا من والدى طوال الإجازة الصيفية أن أستلم البريد من ساعى البريد الطواف الذى يصل للقرية ظهرا ومعه الصحف والخطابات، ووالدى يقول لى افتح الصحيفة واقرأ للناس الموجودين إذا كان هناك خطب للنحاس أو مكرم عبيد، وكان سنى أحد عشر عاما، كنت أقرأ الصحف وأقرأ الخطب السياسية والدفاعات أمام المحاكم فى القضايا السياسية المتتالية والكثيرة.

وبعد حصولى على الشهادة الإبتدائية سنة ١٩٣٠ التحقت بمدرسة الجيزة الثانوية وفصلت من المدرسة بدون أن أعمل شيئا وأنا فى أولى ثانوى، وأضرب التلاميذ وخربوا المدرسة، ورغم أن المدرسين أخرجوا كل صغار السن مثلى قبل أن يحدث التخريب، وصلنى خطاب بقرار الفصل كشرط ودفع غرامة ٢٠ جنيهًا لإعادة القيد، وكان ذلك مبلغًا كبيراً فى ذلك الوقت.

تبين بعد ذلك أن سبب الفصل والغرامة هو وجود خطاب من حسن يسين لوزير المعارف فى ذلك الوقت بشأن التحاقى بالمدرسة وكان الخطاب هو استمارة الالتحاق.

وبعد ذلك التحقت بالمدرسة الخديوية، وفى صيف سنة ١٩٣١ خلال الإجازة الصيفية تظاهرت قريتنا أبو صير ضد مرشح الحكومة وخرجت القرية كلها رجالا ونساءً، وكان والدى

وباقى أفراد العائلة الرجال هم القيادة، وأيضاً خرجت نساء العائلة من القرية وعلى رأسهم والدتى وشقيقاتها، وأغلقوا الطريق لمنع المرور، مفتعلين حادث غرق طفل، وحدث اشتباك مع رجال الأمن، واعتقل نحو مائة من النساء والرجال، ومن بينهم والدى ووالدتى، وأفرج عن النساء، وحكم على الرجال وسجن والدى شهرين مع عشرين آخرين.

أثناء المدرسة الخديوية كان نشاطنا وفديا، وكنا قد اقتربنا من سنتى ٣٥-٣٦ وظهر فى هذا الجو الإخوان المسلمون، وحسن البنا كان يخطب فى بيت فى الحلمية، وكان هناك أيضا أحمد حسين مؤسس "مصر الفتاة" وأنشأ فرقة القمصان الخضراء، وكان مركزه فى تقاطع الفلكى وشارع محمد محمود.

وكانوا جميعا يتكلمون فى السياسة، لكن زعيمنا كان مصطفى النحاس، كان شيئا طبيعيا أن نذهب إليهم فى بيت الأمة ويأتون إلينا. ونجلس و معهم مصطفى النحاس ومكرم عبيد ويوم الجمعة يأتى النحاس لزيارة حسن ياسين ويكون كل شباب العائلة فى انتظاره ويسأل النحاس باشا كل واحد باسمه عن أحواله وعن صحته.

ولكى تدرك كيف كانت الزعامة الوفدية ترتبط بقاعدتها من اللجان، أذكر لك حادثة عندما حضرت لجنة الوفد فى قريتنا بكاملها إلى بيت الأمة لإعلان تأييدها، استقبلنا مكرم عبيد، وبعد مصافحته لأعضاء اللجنة جميعاً، فوجئنا به يسأل عن شخص غائب هو أمين صندوق اللجنة الحاج تغيان، وأنا أتذكر طبعا كل رجال الوفد، ومصر الفتاة. أول منشور سرى وزعته كان لمصر الفتاة فى أوائل عام ١٩٣٦ وأنا فى البكالوريا، وكنا نعمل محاضرات، وأتذكر مثلا أنى عملت محاضرة عن مغزى أن لطيفة النادى أنها تعد أول مصرية تقود طائرة من أوروبا إلى مصر فى منتصف الثلاثينيات، وما يطرحه ذلك من إمكانيات للمرأة ومستقبلها.

وبالنسبة لى مهمة جداً الفترة التى عشتها أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات، أولا لأنها كانت فترة غنية جدا بالسياسية وأحداثها، ثانيا لانحدارى من عائلة لها نفوذ. بعد ذلك بسنوات أصبحت شيوعيا أقرأ عن السلطة والحكم، وبدأت أتذكر معنى هذه الأشياء، معنى أن ضابط النقطة يأتى للبلد ويسكن مجانا فى ديوان من دواوين العائلة وكل أكله ومصروفاته وعائلته وضيوفه، ويتم عمل عربة مليئة بالسمن واللحم والبيض، ومعنى ذلك أن أى فلاح من

القرية يتجاسر ولا ينفذ ما يطلب منه، أجد والدي يقول للضابط هذا الولد قليل الأدب خله عندك ربيه وبأخذه للنقطة ويضربه علقة ولا أحد يستطيع أن يتكلم عن الذى فعله أيضا هذا الضابط، لكن هذا يعنى أن الذى فعله جدى نعله أبى مع أن أبى لم يكن عمدة أو شيخ بلد، فقط أخوه كان نائب عمدة وهو لم يترل منصبا ولكنه كان يحكم.

كان فى العائلة خلافات وظهر شيء غريب جدا فى العائلة، الأجيال الكبيرة يتشاجرون مع بعض ويضربون رصاص بالشبابيك ويسممون المواشى ويخلعون الزراعة ولكن نحن الأولاد الصغار جميعا وسننا صغيرة فى ذلك الوقت، إحدى عشر عاما، اجتمعنا وقررنا أنه لا شأن لنا بهؤلاء الكبير المجانين، نحن تلاميذ ونأتى إلى القرية فى أجازة الصف، نحن سنستمر أصدقاء وأحباء ولا شأن لنا بالكبار، وكان شيئا عاديا أن يدخل أحد الكبار إلى منزله ويجدنا - نحن الصغار- من أبناء الأعداء جالسين فيدللنا ويطمئن على أننا قد تناولنا الطعام والحلو.

ليس هذا فحسب، بل فى عهود الأحرار الدستوريين وصدقى، كانت العمودية تنتقل من عائلاتنا إلى عائلة عبد الحافظ، وكان والدى يرسلنى لإحضار أوراق خاصة من العمدة، أوراق خاصة بملكية الأرض، وكنت أتلقى تحذيرات كثيرة من نساء المنزل ألا أتناول شيئا أو أشرب شيئا خوفا من أن يسمونى، كان يحدث عكس هذا تماما عندما أصل إلى منزل العمدة الذى يصر على أن أتناول الطعام وأن أدخل عند نسائهم ليرونى.

شاهدت أيضا نوعًا غريبًا من العلاقات عندما تأتى سيدة اسمها غالية، زعيمة عصابة هى وأولادها وتسكن فى عزبة بعيدة عن القرية، وهى تأتى لزيارتنا وتتناول العشاء، والهدف من الزيارة طلب الإذن أن تمر هى وأولادها دون أن يعترضهم الغفر، وفى المقابل لا يسرقون من قريتنا.

لاحظ هنا العلاقة المزدوجة والمعروفة للجميع بين السلطات الرسمية والخارجين عن القانون.

وهكذا كانت طفولتنا مليئة بالأحداث والتجارب، مثلا فى وقت الانتخابات كنا نجلس الأسرة كلها السيدات والأولاد فى انتظار عودة الموكب الانتخابى من القرى الأخرى، وفجأة نسمع أصوات الرصاص فى الظلام ونحن لا نعرف ماذا حدث إلا بعد فترة عندما يصل المشتركون فى الموكب، ورأينا أيضا كيف ينزل الناس إلى الترعة الكبيرة بملابسهم عندما

ينقلون صناديق الإنتخاب من القرية إلى مكان يبعد عنها، ويغلقون الكبرى، وكذلك عندما يذهب الفلاحون ويقولون لهم تنتخبوا مين؟ يكون الرد: الوفد.

وهكذا كانت طفولتنا غنية بشكل كبير، زادها غنًا أننى حضرت أول مرة إلى القاهرة سنة ١٩٢٨ كان عمرى ثمانية سنوات وأبى كان يحمى عائلة مسيحية (عائلة مرقس) وهى عائلة غنية جدا، أحد أبنائها أسلم (عريان برسوم) وكان وكيل شركة سنجر بالجيزة، وعندما أسلم أسمى نفسه لطفى ولم يكن أمامه من ملجأ بحيمة من القرية عند حضوره سوى منزلنا. وبعد أن يقضى الإجازة هو وزوجته وأطفاله يعود إلى القاهرة، وقتها بكيت، وقلت أسافر معه، فقال له والدى خذه معاك أدخله المدرسة، وحضرت أنا وخالى الصغير، سنه تسع سنوات، إلى القاهرة، وأدخلنا مدرسة وادى النيل فى السيدة زينب، هذا الرجل كان مسيحيا وأنا بعد أن قارب سنى على الثمانين، أعلن أن أية صفات طيبة فى شخصيتى لا توجد منها صفة لا تمتد إلى هذا الرجل أو إلى هذه الفترة بالذات.

فلم يكن تجرى أى تفرقة بيننا نحن الاثنين وبين أولاده الثلاثة فى المصروف أو فى الأكل أو فى النوم، وإستمرينا معه حتى حصلت على الإبتدائية سنة ١٩٣٠ وكان عمرى أحد عشر عاما، وبعد ذلك جاء أصغر أعمامى من البلد توظف هنا فى القاهرة، وطبعا كان طبيعيا أن أسكن معه، وانتقلت للسكن معه، ولكن فى نفس المنزل فى السيدة زينب.

وحتى وفاة عمى لطفى، وبعد أن أصبحت رجلا كان يبكى عندما يرانى، يقول: هذا ابنى محمد حلمى ياسين، ويقدمنى على أننى ابنه الذى رباه، وهو الخواجة عريان برسوم، وكنت أرى والدى يمد حمايته على أسرة مرقس ولا يقبل أن ينزل بها أى ضرر ويقضى لهم مصالحهم

فى أولى ثانوى، ونحن فى المدرسة الخديوية، رأينا كيف كانت المدارس زمان، ناظر المدرسة عبد السلام الكردانى قال: كل الطلبة الذين من خارج القاهرة وغير مقيمين مع أهاليهم يخرجون من الطابور ويقفون صفا، وأخذوا أسمائنا، وبعد قليل نادى علينا مدرس ومعه سيارة، وذهبنا إلى بيتنا فى شارع السد البرانى، قرع الباب وقال: هذه شقة فلان الفلانى؟ أنا مدرس من الخديوية وبدأ يسأل أين ينام محمد حلمى، أين يأكل؟ والشقة فيها كام تلميذ؟ وهذا الكلام كان يحدث من ٦٨ سنة فى مصر. وسألهم: هل لكم شكوى؟ هل لكم ملاحظة؟ هل يشكو الطالب من شيء فى المدرسة؟ ونزل المدرس بيتنا، وهكذا لكل لتلاميذ. هكذا كانت

علاقة المدرسة بطلابها.

كان أبي كريما جدا وكان يضرب المثل بكرمه وكان يحمى أية امرأة فى القرية مظلومة من زوجها، وكان شيئاً عادياً فى بيتنا أن تأتى أية امرأة من الفلاحين وتدخل عند جدتى وتشكو ما فعله زوجها معها من أخذ بعض ممتلكاتها أو بيع شىء يخصها بدون موافقتها. ولم يكن والدى يسمح بأن تعود هذه السيدة إلى زوجها إلا بعد أن تستعيد منه ما أخذه منها.

إن كل هذه الأحداث والإنطباعات، تترك أثرها فى نفسية الإنسان، ولازلت أذكر أول مرة قرأ فيها البيان الشيوعى عام ١٩٤٦ أو أوائل ١٩٤٧ كنت أتذكر لحظتها وقائع عشتها فى صباى بين كبار الملاك والعائلات، تذكرت الكلام الذى يقال عن الإنطاعيين فى أوروبا، أقول: هذا الكلام عشته فى قريتى أو شبيه به، مثلا: يدخل الرجل من الأعيان وله عشيقة فلاحة متزوجة، يدخل إليها وزوجها فى البيت وبعد ربع ساعة تجد زوجها يحمل فأسه ومقطفه ويخرج تاركا الضيف مع زوجته

أخذت البكالوريا ١٩٣٦ وكانت أمنيتى أن أدخل كلية الحقوق لأصبح محاميا. فذهبت إلى حسن ياسين أطلب مساعدته فى دخولى الحقوق، فقال لى : إنت مجنون؟ إنت رجل الآن سنك ١٧ سنة ولا تعرف أن أباك قد بدد الثروة ولم يعد عندكم شيء، لو لم تشتغل، أمك وإخوتك لن يجدوا طعاما، ولا بد أن تعمل لتطعمهم، أنا سأجد لك عملا، وفعلا أخذنى وألحقنى فى العمل فى وزارة الصحة مساعد معمل كيماوى بمرتب خمسة جنيهات، وكان والدى مازال حيا، ولكن الثروة انتهت وعندما توفى والدى عام ١٩٤١ ظللنا نعيش على آثار وبقايا الثروة نحو خمس سنوات، فكان الفدان الواحد من الأرض مباعا لشخص ومرهونا لشخص ومؤجرا لشخص، وجرى كل من هؤلاء ليحفظ حقه فى الارض ولم يكن لدينا أية مستندات سوى العقد الموجود مع الفلاح، وفى المحكمة كنا نحصل على الباقى فى العقد لكى يحكم القاضى بالموافقة على صحة العقد ونفاذه، كنت أعول أخوتى، وكان عملا جيداً والحمد لله، كنا أحد عشر مساعدا للمعمل وكلنا لأول مرة حاصلين على البكالوريا ونعمل كمساعدين للكيمائيين خريجى كلية العلوم أو الحاصلين على الدكتوراه فى الكيمياء. ووقتها كان كل رؤساء المصالح إنجليز، وكان مديرى إنجليزيا اسمه ويليام شورت. وبعد الغاء الامتيازات، جاء أول مدير مصرى وكان مدير معمل بلدية الإسكندرية الدكتور مصطفى صبرى، جمع الإثنى عشر كيمائيا

وقال لهم : أريد مساعدا يكون شخصاً جيداً ومضمونًا وقالوا بالإجماع : إذن خذ الأخ ياسين، هذا هو يصلح لك! كان الدكتور صبرى عالما كبيرا تعلمت منه الكثير حتى توفى أثناء العمل.

فى سنة ١٩٤٢ ، وقت الحرب، كنت ولديا وكان لى موقف لا أعرف سببه، أنى كنت معاديًا لهتلر والألمان فى وقت كان غالبية المصريين فرحين بهتلر وبالهزائم التى أنزلها بالإنجليز، وأنا أهاجم هتلر والألمان، وكنت مواليا للإنجليز والحلفاء والروس دون سبب علمى، ولا تأصيل ولا اشتراكية، مسألة عاطفية هكذا. فجاء لى أحد أقاربى قال أنت عقلك كبير تعالى معى يوجد جماعة يقولون محاضرات جيدة فى شارع عدلى كان وقتها شارع المناخ. ذهبنا وقتها إلى جماعة تسمى نفسها "جماعة الدراسات GROUPE ETUDES" وكان فيها خليط من أنصاف الأجانب والمصريين الذين كانوا فى هذه الجمعية وقتها يعدون على الأصابع، وعندما كثر عدد المصريين فى الهيئة وأصبحنا عشرة أو أحد عشر، قالوا : نعمل لجنة للمصريين، فعملنا "جماعة الشباب للثقافة الشعبية" بنفس المقر، ونجتمع مرة فى الأسبوع وكان معنا فى المجموعة يوسف درويش وصادق سعد يوسف ومحمد إسماعيل وريمون دويك وعبد العزيز فهمى ورشدى صالح ودكتور سالم قريبى وأنا، ثم انتقلنا لمرحلة أخرى، أن نذهب نعطى دروسا للفلاحين والعمال، فذهبنا إلى ميت عقبة، كنا ننزل عند كوبرى الزمالك القديم ونمشى حتى نصل إلى ميت عقبة لنعطى فصول محو أمية والتعليم بمعناه الحضارى المسيس. فكنا نركز على التاريخ وحركة الشعب، ثم ذهبنا بعد ذلك لمقر أمام الترسانة فى بولاق وكان يوسف درويش يسكن هناك وهناك أيضاً كنا نطبق نفس ما فعلناه فى ميت عقبة.

وبدأنا تنظيم المحاضرات فى مقر الجمعية (جمعية الشباب) وأذكر أن بول حاكو أحد زعماء مؤسسى الحركة الشيوعية كتب محاضرة عن كهربة خزان أسوان وكتب المحاضرة بالفرنسية وأعد نماذج للتوربينات التى سوف تولد الكهربة وترجمت المحاضرة بالعربية، وأنا الذى ألقيتها ، قلنا المحاضرة أعدها فلان وسيلقيها عليكم الزميل حلمى، وهناك حصلت أسئلة كان هو يرد ويترجم، كانت مرحلة عندما أستذكرها الآن أشعر كيف كانت المجموعة تحلم بمستقبل مصر واحتياجاتها.

ظلت الأمور تسير بهذا الشكل أواخر ١٩٤٤ أو ١٩٤٥ ، حتى ظهرت الفجر الجديد، أنا تحمست لها وكنت أوزعها وكتبت فيها بأسماء مستعارة (حمادة وأحيانا محبى) وكنت أذهب

إلى المحلة وأتردد عليها حتى عرفوا أنني أكتب لهم من وقت لآخر باسم مستعار.

في الفجر الجديد بدأ المرء يسمع كلاما عن الاشتراكية كلاما عن الاتحاد السوفيتي، وصدرت في نفس الفترة مجموعة كتب مهمة، مثل كتاب أبو سيف، حول الفلسفة الماركسية، رد على العقاد، كل هذا ولم أكن أعرف أن هناك تنظيما يضم مثقفين وعمالاً في الفجر الجديد، وفي شبرا الخيمة، كنت أتابع أسماء محمود العسكري-محمد يوسف المدرك وغيرهم من القيادات العمالية.

في هذه الفترة حدث شيء مهم جدا، سألني الزميل ريمون سؤالا محدداً جدا: هل قرأت تاريخ مصر؟ قلت: طبعا نعم. قال لي: ماذا قرأت؟ قلت له: قرأت كذا وكذا وكلها كتب مدرسية، وقال لي: أليس عيبا أن تتصدى وتقول إنك تريد أن تخدم مصر وشعبها بدون أن تكون درست تاريخ مصر بشكل جدي.

قلت له: وماذا يعني ذلك؟ قال: هناك سلسلة كتب عبد الرحمن الرافعي، وكانت ستة أو سبعة أجزاء في ذلك الوقت، وبعد أن قرأتها جميعا بدأت أعيد قراءتها مرة أخرى، وطلب مني أن أضع عيني على حركة الشعب وليس على حركة الملوك والحكام، وأدرس ماذا كان يفعل الشعب والناس البسطاء ليقاوموا الظلم وأعمل ملخصا. لهذا قرأت كتب الرافعي بهذا الشكل مرتين، وقرأت «دمار مصر» لروزشتين، وكتاب بنت "التاريخ السري للاحتلال البريطاني" وعندما إنتهيت من قراءة هذه الكتب، قال لي أنت الآن تستطيع أن تتكلم مع أي أحد وإن لديك الآن من المعرفة القدر الذي يسمح لك بذلك.

بدأت فعلا بتوجيه من المجموعة نجمع توقيعات وحلوني أشغال مثلا عندما وصل رميل للعلمين، قلنا للزملاء اليهود المصريين، لابد من إجراءات تأمينهم لأنه لو وصل هتلر سيتم إعدامهم. ولابد من تأمينهم وأنا أخذت ريمون وذهبت إلى قريتنا وعرفته بالناس وله صور جميلة هناك -ياليتني أستطيع أن أحضرها لكم- مرتديا الملابس البلدية جالسا على الأرض يقص شعره وكنا نقول: هذا الأستاذ إبراهيم دويك.

وفي تلك الفترة، كلفت بجمع توقيعات لإلغاء الأحكام العرفية وجمعت بالمئات توقيعات للمطالبة بإجراء انتخابات جديدة بعد انتهاء الحرب.

تشكيل رابطة الفئة التي أنتمي إليها: واشتركت مع آخرين بنشاط تشكيل "رابطة

مساعدى المعمل" ، وأسهمت بنشاط كبير فى تأسيسها، ولكن لم أكن أنا مؤسسها، وإنما لعبت دورا أساسيا، ولكنى بدأت أشعر أن هؤلاء شيوعيين وأنا بقيت مثلهم لدرجة أننا فى يوليو ١٩٤٦ عندما حدث حملة ١١ يوليو ١٩٤٦ وتم القبض على معظم الزملاء الذين أعرفهم جئت من البلد وكنت مسافراً أخذت النقود التى جمعتها لزواج أختى الوحيدة وقسمتها نصفين: نصف لجهاز أختى والنصف الأخر أخذته لزوجة ريمون، وقلت لها : خذى هذه الفلوس لدفع أتعاب المحامى للدفاع عن الزملاء المقبوض عليهم.

فى سبتمبر قالت لى: تعرف كازينو سفير فى مصر الجديدة؟ اذهب إلى هناك ستجد شخصاً تعرفه، نفوجئت أن الذى كان فى مقابلتى صادق سعد وأخذنى إلى أحد المقاهى الموجودة على حافة الصحراء وكانت مشهورة فى وقتها، وقال لى : موقفك الذى اتخذته بعد اعتقالنا كان موقف جيد، لذلك أنت ستكون مرشحًا، قلت له : بل أنا عضو، معلوماتك غير دقيقة وأنا فعلت كذا وكذا، قال لي: هل قرأت اللائحة؟ هل قرأت الخط السياسى؟ قلت :لا، قال الشرطى تكون عضواً أن تقرأ اللائحة والخط السياسى وتوافق عليهما، وإذا لم توافق لا تصبح عضوا، وأنا سأقابلك الجمعة القادمة وآتى لك باللائحة، وهكذا بعد ست سنوات عمل معهم فى مختلف الأنشطة أصبحت عضوا فى تنظيم الطليعة الشعبية للتحرر (طليعة العمال)، وكانت المنظمة قد غيرت أسمائها طبعا دون إنقسام أو إتحاد مع تنظيم آخر وأسمت نفسها الطليعة الشعبية للتحرر، ثم طليعة العمال ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى، هذه المنظمة لم تنقسم أبدا، وأنا من جهتى لم التحق بأى تنظيم غيرها وكان المؤتمر التأسيسى لحزب العمال والفلاحين مؤتمرا منتخبا بطريقة ديمقراطية، وبالنسبة لى كان ثانى مؤتمر أحضره.

فكرتي عن النشاط التنظيمي لطليعة العمال

حلمى: المجموعة التى كانت موجودة أو أنصاف الأجانب منهم جزء تمصر تماما واعتنق الدين الإسلامى ويتكلمون العربية جيدا مثل: صادق سعد وريمون دويك ويوسف درويش، وهؤلاء أصبحوا لا يختلفون عن أي واحد ونجحوا جدا فى العمل مع العمال، أما الجزء نصف الأجنبى الذى كان اسمه "الممر" أى مرحلة انتقالية لمن يريد أن يكون فى خدمة الشعب المصرى، فقد عاد معظمهم بعد انتهاء الحرب كل إلى وطنه الأصلى.

وبمجرد انضمامنا إلى مجموعة الزملاء هؤلاء بدأنا ننتظم فى خلية ونقرأ كتب الماركسية وكان أولها البيان الشيوعى، ثم كتاب ترجمة د. راشد البراوى عن الاقتصاد السياسى لليوبيتيف، وأسس اللينية، وكانت المجموعة تعمل منذ البداية لغرس مبادىء الماركسية لعدد من المصريين عمالا ومثقفين ليس فقط عن طريق القراءة النظرية فحسب، ولكن بممارسة نشاط عملى فى مختلف القطاعات كانت هناك مجموعتان أساسيتان: واحدة قطاع العمال فى شبرا الخيمة والإسكندرية وبورسعيد ويتزعمها محمود العسكرى والمدرك، وواحدة فى وسط المثقفين وعلى رأسها رشدى صالح وصادق سعد وأبوسيف يوسف ومعهم يوسف درويش.

المؤتمرات التى حضرتها

أنا لم أحضر مؤتمرا عاما غير المؤتمر التأسيسى لإعلان حزب العمال والفلاحين الشيوعى لكن حضرت مؤتمرا لمنطقة القاهرة عقد فى شارع الشيخ ريحان فى دور أرضى وحضره خمسة عشر شخصا منتخبين، منهم الأسماء المعروفة: محمد إسماعيل وطه سعد وغيرهم وانتخبنا لجنة قيادية لقاهرة، وبعد أن إنتخبت اللجنة بشهر استدعانى رشدى صالح، وكان يسكن فى المنيل وكان هو المسئول السياسى فى ذلك الوقت. وقال لى: تقرر ضمك لجنة القاهرة، واعترضت وقلت له: هناك فلان وفلان أكفأ منى، قال لى: أنت حضرت معهم اجتماع المؤتمر، ولكننا نعرف إمكانيات الجميع وحجم نشاطهم وأنا أذكر جيدا أن الاجتماع الذى حضرناه كانت المناقشة فيه حرة جدا وكانت مستريحة جدا جدا وكل إنسان كان يعبر عن نفسه وتفكيره، أنا عترضت فى البداية ولكنى بعد ذلك نفذت القرار.

ولم يكن هناك مؤتمر فى ١٩٤٩ وما أحب أن أشير إليه هو أن "المنظمة" بعد المؤتمر أو الاجتماع التأسيسى الذى أعلن قيامها فى ١٩٤٧ قد قامت على أساس وثائق أهمها الخط السياسى (وكان يسمى بالرسالة لسياسة)، وكان تعبير الرسالة السياسة مرادفا للاستراتيجية، ولشرح هذه لاستراتيجية أصدرت المنظمة كتيبات صغيرة تشرح بتوسع القضايا الأساسية فى الاستراتيجية.

وكان كل كتيب يختص بقضية رئيسية مثل: القضية الوطنية والطبقة العاملة والسياسية والمسألة الفلاحية ومحاضرة فى مبادىء التنظيم، صدرت تحت عنوان: "من نحن وماذا نمثل"؟ وغير ذلك من الموضوعات.

تطوري التنظيمي

دخلت لجنة القاهرة، كنت مسئول تنظيم بالقاهرة، ثم ظللت هكذا حتى الأحكام العرفية حتى عام ١٩٤٨، إختفى رشدي صالح بالإسكندرية وأبو سيف في القاهرة وأنا كنت لا أزال موظفا، وفي أوائل مارس ١٩٤٩ وعندما بدأ واضحا أن الأحكام العرفية ستمتد عاما آخر طلبوا مني في التنظيم أن أكون محترفا ثوريا. وقلت لهم: أنا جاهز فورا، ومن الغد للتنفيذ، وفعلا قدمت استقالة وقلت للناس في المصلحة إني وجدت عملا بمرتب كبير في إحدى الشركات، وكان هذا بعد ١٢ سنة كاملة في الوظيفة الحكومية بمرتب جيد ومركز أدبي جيد.

وطلب مني أن أسكن لوحدي بعيدا عن العائلة وإستأجرت غرفة في السطوح بأحد المنازل في باب الشعرية، كان دخلي قبل الاحتراف يصل إلى ١٨ جنيهًا شهريا في ذلك الوقت تقرر لي ثلاثة جنيهات لإيجار الغرفة وستة جنيهات للمعيشة والمواصلات.

ظللت هكذا، وبعد فترة قبض على يوسف درويش وزميل لنا من الإسكندرية، وأبلغني أبو سيف بأنني سأدخل اللجنة المركزية لأن اللجنة المركزية يعاد تشكيلها من جديد، ونحن النظام كان عندنا بطليعة العمال أن القيادي الذي يتم القبض عليه يجمد مركزه في اللجنة المركزية أو المنطقة حتى نهاية خروجه من السجن ويتحدد من استرداده موقعه القيادي أو عدمه على ضوء سلوكه ومواقفه في فترة الاعتقال أو المحاكمة.

وأذكر واقعة مشهورة عندما كان الزملاء في الطور، أرسل صادق سعد -وكان المسئول السياسي قبل اعتقاله- يقول نحن نكلفكم أن تعملوا كذا وكذا، يرد عليه رشدي صالح وأبو سيف قائلين: ليس من حقك أن تكلفنا بشيء، وأن كل ما تستطيعه هو أن تطلب منا ما تريد. أنت مثلك الـ ٣٠ أو ٤٠ زميلا الآخرين الموجودين معك في المعتقل.

دخلت اللجنة المركزية في نهاية ١٩٤٨ واستمريت فيها عدا فترة السجن، وانتخبت في المؤتمر التأسيسي لحزب العمال والفلاحين عضوا في اللجنة المركزية ودخلت اللجنة المركزية للحزب ٨ يناير ضمن مجموعة ممثلي ع.ف ثم عند تصغير اللجنة المركزية من أكثر من ثلاثين إلى ١٤ عضواً فقط، واستمريت عضوا في اللجنة المركزية إلى أن تم حل الحزب.

خلال عملي مع عائلات المعتقلين في الفترة الأولى من الاحتراف، كنت مسئولا عن عائلات المعتقلين وهذه المسئولية أعطتني خبرة من واقع احتكاكي بزوجات العمال المعتقلين ومشاكلهم

وكان يسود هناك مرض عند الشيوعيين هو الاتهامات البوليسية، فيذهب النساء مثلا إلى المحافظة ليحصلوا على تصريح زيارة المعتقلين فيحدث أن وحد صول يجد إمرأة منهم قريبته أو معرفة فيجلسها بجانبه ويأتى لها بشاى، يأتى النساء وتعلن: إنتبه فلانة دى تعمل مع المباحث لأنه عندما ذهبنا لنحصل على تصاريح بالزيارة، واحد صول عمل كذا وكذا.

وقد رتبت جيدا من خلال مسئولياتى عن العائلات فى فترة الأحكام العرفية، هذا إلى جانب العمل التنظيمى والسياسى فى مختلف المجالات. ونحن أبدعنا جدا فى العمل الحزبى فى السنة الأولى من الأحكام العرفية.

وأتذكر أننا عملنا حصر فوجدنا أننا قد أصدرنا فى السنة ٢٤ منشورا، وأذكر جيدا أن مجموع النسخ التى طبعت ووزعت من هذه المنشورات ٦٠ ألف نسخة، وهذه أمور أتذكرها، لماذا فعلنا هذا الحصر؟ لأنه فى عام ١٩٤٩ عملنا حركة تحرير الشعب (حتش) وقلنا لابد لنا أن نقول ماذا فعلنا وماذا حققنا وسجلنا هذه الأشياء للتاريخ وتمت الوحدة.

الشكل الذى تمت به الوحدة

تمت الوحدة بين التنظيمين بدون مؤتمر، ولكن كانت هناك مناقشات بين القيادات ووثائق مشتركة تمت الموافقة عليها بوسائل تنظيمية. حدتو كانت أسست لترحيد الشيوعيين، ونحن كان لنا موقف من حدتو بأنها منظمة معادية ومخترقة. وعلى أساس هذا رفضت أيضا حركة تحرير الشعب الدخول فى اللجنة التى اشترك فيها مع حدتو ست منظمات أخرى، فكان طبيعيا أن المنظمتين اللتين رفضتا الاشتراك فى لجنة الوحدة التى شكلتها حدتو ولنفس الأسباب تقريبا، وكان من الطبيعى أن يتحدوا مع بعضهم البعض.

حركة تحرير الشعب التى اتحدنا معها كانت جماعة من المثقفين عندهم عامل متميز اسمه سيد أمين - الله يرحمه - وكان عامل نسيج، وكان من بينهم أيضا المهندس حسين طلعت.

تمت مناقشات فى البداية ثم مناقشات وثائق، كل طرف كان له ملاحظات تم تصنيفها، ثم تمت الوحدة بعد الاتفاق عليها، وعلى أساس المساواة فى المراكز القيادية، وأذكر أن عدد طليعة العمال فى ذلك الوقت كان مائة شخص وكانوا هم ستين تقريبا. نحن لم نعمل مؤتمراً ولكن كان عندنا شكل آخر كنا نسمية كونفرس، وعقدناه وأقر الوحدة.

فى عام ١٩٤٩ وضح أن الحكومة تستعد لمد الأحكام العرفية سنة أخرى من ١٥ مايو ١٩٤٩ ونحن قلنا- التنظيميين - تتوحد لمواجهة الموجة الجديدة التى ستصاحب مد الأحكام العرفية، جماعة حتش كانوا كلهم مجموعة مثقفين ليسوا أهلاً للعمل وخبرتهم التنظيمية محدودة للغاية وكذا وتطبيقهم المبادىء التنظيمية، ولكن كان منهم عناصر نشطة مثل حسين طلعت وسيد أمين.

استمرار الوحدة وعدم حدوث انقسامات

لم يحدث أى انقسام فى التنظيم الجديد، ولكن ناس منهم تركوا العمل من غير أسباب، اتفقنا معهم - كطلبهم - على تغيير الاسم وأصبحنا بعد الوحدة الديمقراطية الشعبية ورمز لها د.ش.

وفى سنة ١٩٥٠ كانت هناك انتخابات وخاضها الوفد بقوة، كان لنا اتصالات بالطليعة الوفدية، ورشح مصطفى موسى زعيم الطليعة الوفدية فى دائرة باب الشعرية أمام سيد جلال الرجل القوى الذى كان من رجال الملك فاروق وساندته بقوة أخبار اليوم التى كانت تقول عن مصطفى موسى جايبين تلميذ أبوه وأمه مازالا يصرفان عليه.

ولكن نجح مصطفى موسى باكتساح ورسب سيد جلال رجل الملك ومازلت أذكر فى ليلة ظهور النتائج شعار "الحكم للوفد وحده" أى حكومة وفدية وليست ائتلافية، كما كانت تروج دوائر القصر وصحافته (أخبار اليوم) طوال الشهور السابقة، ونجحت تجربة هذه الانتخابات وبلورت الجناح اليسارى للطليعة الوفدية، ونحن كنا أصحاب فضل فى هذا وجنينا ثمرة عمل الزملاء عدة سنوات فى الصحافة الوفدية، ومع عناصر من الطليعة الوفدية عمل أبو سيف ورشدى صالح ومحمد إسماعيل فى صوت الأمة، وكان أبو سيف يعمل فى جريدة البلاغ اليومية ورعون دويك فى النداء الأسبوعية، كان لنا نشاط آخر فى الطليعة الوفدية، لكن كنا شيئا مستقلا وكانت الطليعة الوفدية تصدر مجلة اسمها "رابطة الشباب" يكتب فيها زملاؤنا بأسمائهم، وكانوا معروفين بأنهم شيوعيون متحالفون مع الوفديين، ولكن ليسوا جزءاً منهم.

سوف أعطيك مثلا بسيطا جدا عن أسلوب عملنا مع الوفد، كنت عضوا فى لجنة بالخليفة بحكم سكنى، وكان رئيس اللجنة المرحوم أنور مرزوق ضمن الطليعة الوفدية، أنا أعددت كتاباً

أسمه «الوفد والعدالة الاجتماعية» وصدر باسم أنور مرزوق لأنه كان رئيس اللجنة. مثل آخر عن مفاجآت نى العمل مع الوفديين، فقد دعينا إلى مؤتمر جماهيرى فى طنطا، لكن المؤتمر فشل بعدما فجر شبان وفديون قنابل وكانوا بصحبة سيف الغزالى وتسبب الانفجار فى قلب سيارة بلوك النظام، وكان فى المظاهرة وفود من المنيا ومن الإسكندرية ومن كل الأنحاء، وكانت مشكلة أين يذهب الناس، وليس هناك أى ملجأ. وقد أقفلت البيوت والمتاجر أبوابها بعد تفجير القنابل.

علاقة التنظيم بالطبقة العاملة

التنظيم عندنا كان يتميز بشىء، إنه كان وثيق الصلة بالعمال وعلى أسس نضالية فى أوساط المثقفين. كانت هناك الفجر الجديد "دار القرن العشرين للنشر" التى نشرت كتبهم الماركسية حول الفلسفة الماركسية ردا على العقاد لأبوسيف، وكتاب المادية الجدلية لمحمد إسماعيل، وفى أوساط العمال، نحن نجحنا فى إرسال المرحوم يوسف المدرك إلى المؤتمر التأسيسى لمؤتمر الاتحاد الديمقراطى العالمى فى باريس ممثلا لمائة وثلاث نقابات مصرية.

ولكى تدرك النفوذ الأدبى لزملائنا القياديين لشبرا الخيمة، فان نساء شبرا الخيمة كنّ يشتكين أزواجهن إلى محمود العسكرى عندما يسىء أزواجهن معاملتهن.

كان عندنا سيطرة شبه كاملة فى شبرا الخيمة ضد الإخوان وضد حدتو، لامؤاخذة، أنا الآن ضد أى توازع انقسامية قديمة، ولكن أنا هنا أسرد التاريخ والواقع، زملاؤنا كانوا يقولون لشخص يريدون سبه: "بنت حدتو" وكان الزملاء العمال محمود العسكرى ويوسف المدرك وطه سعد عثمان وطه فودة وأحمد سالم وعبد المقصود الوزير ومحمد عبد الغفار وعبد الحليم عمارة وغيرهم، كانوا هم قيادة شبرا الخيمة وكانوا يتحكمون فى لجان المصانع.

وكان لنا فى الإسكندرية عمال قياديون من أمثال محمد مدبولى، وكان لنا فى المنيا وسط عمال الحليج. وفى بورسعيد كان للمدرك علاقة قوية بعمال الرباط الذين رفضوا تقديم أية خدمات للباخرة الهولاندية "نولندام" المحملة بمهمات لتعزيز القوات الهولاندية التى كانت تحتل إندونيسيا.

الكلام الذى يقال عن الانحراف الاقتصادي إنه كان الاهتمام بالمطالب العمالية وتحسين

الظروف المعيشية بعيدا عن تسييس الطبقة العاملة وربطها بالفكر الماركسي أتت من أنه كان فعلا هناك ثقل للعمال كبيرا جدا، لكن أنا لم أشعر أبدا بأية محاولة لعدم تلقين الماركسية، وأنا شخصيا شاركت في التدريس بمدارس كادر للتثقيف، استمرت مرة طوال الصيف بالإسكندرية وكان أعضاؤها كلهم من العمال. ولكن النفوذ القوي لمحمود العسكري والمدرك وطه سعد جعلهم يبرزون كقدة حقيقيين وجماهيريين وذوي فعالية مؤثرة وكبيرة ليس فقط في شبرا الخيمة، ولكن كان لديهم أيضًا ارتباطات عمالية ونقابية في معظم أنحاء مصر.

يشهد بذلك سفر المدرك إلى باريس مفوضا من أكثر من مائة نقابة. وأيضا تأسيس لجنة العمال لتحرر القومي أول منظمة سياسية علنية للطبقة العاملة ببرنامج سياسي.

هذا النفوذ الجماهيري الكبير والذي كان لا شك مصدر إزعاج للسلطات العاملة في الحقل السياسي، كان أكثر تأثيرا وبروزا من دور الفجر الجديد التي كان يصدرها جناح المثقفين وعلى رأسهم رشدي صالح وصادق سعد وأبو سيف يوسف. وفي بعض القطاعات العمالية كانوا يطلقون على زملائنا اسم العسكريين نسبة إلى محمود العسكري ونفوذه الطاغي، أما بالنسبة للفلاحين، فقد كانت هناك أماكن محدودة في المنيا بين عمال الحليج وأيضا في القرى المحيطة بشبرا الخيمة.

بالنسبة للفلاحين: كان النشاط محدوداً جداً وكانت هناك دراسات عن الواقع المصري وتاريخ مصر.

تصورنا للثورة الاشتراكية في المرحلة القادمة

كان تحليلنا أن المرحلة هي مرحلة استكمال مهام الثورة الديمقراطية، ثم الثورة الاشتراكية.

ظروف ترك رشدي صالح للتنظيم

رشدي شخص جيد جدا. لكن هو قال جملة واحدة: أنا مت في السجن.

رشدي صالح وهو هارب من الاعتقال سنة ١٩٤٨ كتب كتاب الأدب الشعبي وأخذ عليه جائزة كلية الآداب-جامعة الإسكندرية، وأنا الذي سجلت الخطاب في بريد العتبة باسم عميد كلية الآداب، بينما رشدي كان في الإسكندرية، وظهرت النتيجة ولم يحضر استلام الجائزة إلا

بعد سنوات.

رشدى صالح دخل السجن فى قضية مع يوسف درويش وفؤاد عبد المنعم شحتو وحكم على كل منهم ٣ سنوات وقال رشدى إنه غير قادر وقال : أنا مت فى السجن. وهذا حدث بعد المحاكمة وصدور الحكم.

دور المحترفين فى التنظيم

كان هناك أبو سيف محترفا، ورشدى صالح محترفا وأنا كنت محترفا ويوسف درويش كان محترفا وكان هناك عدد من عمال شبرا لا أذكر الأسماء، ولكن الحزب كان من أنصار كثرة المحترفين طبقا للاحتياجات.

الموقف من التنظيمات الأخرى

لم نكن نشعر بها، كنا نواجه حدتو، وكانت موجودة ولها عمل، وحتى لما حدثت انقسامات فيها كان هناك عمل، هذه هى الحقيقة. لكن عندما رأيت أعضاء الراية فى أول مرة فى السجن لاحظت أن لهم طقوسًا معينة تتركز حول تقديس زعامة الرفيق خالد وقرارات القيادة، وكانت لهم تعبيرات كلها عبارة عن عبادة النصوص.

وفى الهايكستب كان أعضاء المصرى الموجودون فى المعتقل عشرة من ٢٥٠ وكان يقودهم المرحوم حسين الغمرى الذى عمل بعد ذلك رئيس الشركة القومية للتوزيع. وتوفى يحدث فى يوم من الأيام أن جاء عبد الستار الطويلة وقال : يا زملاء تعالوا، وجمعنا جميعا قائلا: هناك نص حصلت عليه يبين لنا حقيقة أحمد حسين وهل هو فاشستى أم وطنى وكانت هذه قضية خلافية بين المنظمات، وأخذ عبد الستار يقرأ أمام الجميع النص الذى زعم أنه حصل عليه والذى يفند أى احتمال بأن أحمد حسين ليس فاشستيًا، وكلما تقدم عبد الستار فى القراءة يمتقع وجه حسين الغمرى، وبغاية اللطف يجلس على حافة السرير المقبل ويقول: يا رفيق عبد الستار ممكن أعرف هذا النص لمن؟ فيجيب عبد الستار: تسأل لمن؟ كيف لا تعرف أنه خاص بعبد الستار الطويلة؟ فإذا بالشخص الممتقع الوجه المنهار يهجم على عبد الستار الطويلة ويخنقه ويشتمه، وهذا يبين لك نوع العقلية.

وأنا أذكر عندما جاء لنا طاهر عبد الحكيم فى معتقل الهايكستب كان أول واحد بدخل المعتقل من تنظيم النواة وكان معه زميل آخر. كنا قريبين من بعضنا، ولكن لست متذكراً حكاية ومحاولة الوحدة مع طليعة الشعب الديمقراطية التى هى نواة الحزب الشيوعى المصرى.

وبالنسبة للموقف من مجموعة فوزى جرجس ابتداءً من النواة حتى طليعة الشعب الديمقراطية ثم طليعة الشعب الشيوعية

الشيء الوحيد الذى عملناه ١٩٥٠ هو التنسيق ولكن لم نتحد إلا مع حركة تحرير الشعب ثم وحدة ٨ يناير سنة ١٩٥٨ مع تأسيس الحزب الشيوعى المصرى.

رأيي فى وحدة ٨ يناير

أنا من الناس الذين ساعدوا على الوحدة. لماذا؟ لأن هذا راجع لطبيعتى وتكوينى وعرفتم أنتم الآن عنها فكرة، ولماذا أنا هكذا؟ مثلا دخلت سجن القناطر عندما تم القبض على وأنا هارب بالحكم على ثلاثة سنوات، وطبقا للنظام وقتها أعلنت بالحكم وعارضته، وسقطت العقوبة وأعيدت محاكمتى،وظللت فى سجن القناطر عشرة شهور، وفيها حدث الآتى: وصلت السجن ووجدت زملاءنا فى السجن: نسيم يوسف وسامى عجيب وأحمد رضا ولمعى المطيعى، قالوا لى: أنت معاملة حرف (ب)، حرف (أ) كان له حق السرير وليس هناك غير حجرتين فيهم ناس (ب) بناموا على الأرض واحدة للحزب المصرى وواحدة لحدتو، ورأينا أن تسكن انفرادى كى نستطيع أن نجتمع عندك، قلت لهم سوف أسكن فى غرفة حدتو، وكان فى الغرفة عشرة أشخاص، أذكر لك بعض أسماء: محمد على عامر - مبارك عبده فضل - حمدى عبد الجواد - عطية الصيرفى - شكرى عبد الوهاب - فؤاد عبد الحليم، يعنى "عتاولة" حدتو فى ذلك الوقت، وبمجرد دخولى الغرفة قلت لهم: يا جماعة اعتبرونى ضيف عندكم، قالوا أهلا وسهلا، قلت لهم: لكن سوف أقول لكم شيئا لا تعتبرونى موجودا وتكلموا بكل حريتكم وافعلوا أى شيء، لن تخرج كلمة واحدة - تقال فى هذه الغرفة - عن طريقى، وسوف تثبت الأيام ذلك وهذا ما حدث فعلا، كانت تحدث مشاجرات واشتباكات بالأيدى بين محمد على عامر وشكرى عبد الوهاب وعطية الصيرفى، ولكنى لم أنقل لزملائى كلمة واحدة مما ظهر أمامى. ويوجد منهم الآن أحياء أطال الله عمرهم يشهدون على هذه الواقعة.

ولذلك أنا كنت مقتنعاً بالوحدة رغم أنى كنت أعرف أن حدتو فيها ناس سيئون، لكن نحن لابد أن نؤيد الوحدة وفترة وجودى العشرة شهور فى القناطر عمقت عندى قضية الوحدة.

مداخلة من فجاتي عبد المجيد

توجد مسائل تمت على مرحلتين من قبل ثلاث تنظيمات هى لطليعة الشعبية لفخرى لبيب والنجم الأحمر وت ث ورفضت الحركة الديمقراطية حدتو أن تدخل الوحدة لأن النواة مازالت خارجها. المهم نحن عندما خرجنا من المعتقل كونا طليعة الشعب الديمقراطية عن طريق ما يسمى "وش" وعلى نفس الوضع للمجموعة التى كانت عندكم - أن إبراهيم فتحى قال لا توجد لدينا أية قضايا خلافية مع طليعة الشعب الديمقراطية، ومن ثم فنحن مع بعض.

المهم أنا أذكر أننى كنت مكلفاً بالاتصال بالزميل عدلى جرجس الله يرحمه وعادل فهمى وكان هناك تنسيق بين رفاق النواة سنة ١٩٤٩ .

أريد أن أقول شيئا إن التحفظ الذى كان موجوداً والذى كان من جانب الحدتويين ومن جانب طليعة العمال، لم يكن موجوداً لدينا.

أنا أذكر فى الطليعة الشيوعية، التكليف كان على ضوء التنسيق وعلى أساس أنتم لم تكونوا فكرتكم بعد فى الوحدة، وبعد أن عقدتم المؤتمر وقررتم فيه إعلان حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى وأنتم عندما نظرتم للساحة كنتم من أقرب الناس لنا ومن النواة والطليعة الشيوعية، وتم التنسيق فعلا وأنا أذكر أن التنسيق قيادى وتمت الإجابة من رفاق العمال والفلاحين على الآتى: الموافقة على لائحة الشيوعيين.

نحن متفقون على طبيعة الثورة المقبلة، ثورة ديمقراطية شعبية ولا توجد مرحلتان هى مرحلة واحدة.

حلمى : أنا لا أذكر هذا على الإطلاق.

س : العداء الذى بدأ منذ المرحلة الأولى منذ أن كانت المجاميع صغيرة، ثم أخذت الشكل الأخير الذى تطور إلى حزب العمال والفلاحين وعداء للحركة الديمقراطية وأنتم تعلمون تماما أن الموحد هو تجميع للوحدة كيف قبلتم هذه الوحدة وتغاضيتم تماما عن مفاهيم الديمقراطية؟

حلمى: رأيى أنه من المؤكد أننا دخلنا بضغط غير معقول من كل الأحزاب الشقيقة عامر عبد الله من الحزب العراقى وغيره جاءوا هنا ومارسوا ضغطاً فوق ما يتصوره عقلك إنه لا بد تدخل الوحدة وقال نحن نعرف هؤلاء جميعا أكثر مما تعرفونهم، ونحن دخلنا الوحدة بضغوط

شديدة كنا نخاف أن لا نفعل ذلك فيعترف الآخرون بالحزب الذى قام ونصبح نحن خارج الأممية ولعلك عندنا الأممية فى هذه الأمور كانت مقدسة، كانوا يقولون لماذا أنتم خائفون، نقول لهم : فلان جاسوس، يقول كل هذا نعرفه أنتم خارجهم لم تستطيعوا كشفه ونحن وراؤكم سنوضحهم.

ورأيى أن حدتو دخلت الوحدة مرغمة ونحن دخلنا معهم وليس لدينا نية الانقسام.

حقيقى نحن دخلنا على أساس بناء حزب موحد جديد، لكن عندما دخلت حدتو فوجئت أنها ليست أغلبية وهى كانت تعتقد أنها أغلبية، لكن نحن والآخرين كنا أغلبية، بدأوا هم يشعرون أنهم أقلية، فعندما جاءت أول مشكلة، كمال عبد الحليم الذى كان فى رأيى مبيتا النية على الانقسام منذ دخوله، وانتهز فرصة حكاية المحترفين الذين كان منهم الأستاذ المؤرخ الإسلامى محمد عمارة وهو من الذين كان حولهم خلاف كبير، كنا معترضين على أساس أن هناك أناسا منهم لا يصلحون محترفين.

نعم نريد محترفين فقط، لكن فى أضيق نطاق ممكن، وكانت هذه أول نقطة فجرت الموقف وجعلتهم يشعرون أن هذا الحزب ليس ملكهم، وبدأوا يخفون أجهزة فنية ولا يقدمون الكوادر المتضمنة في القوائم كلها، نذهب مثلا لنتسلم قسما من الأقسام، فنكتشف أنه لا يوجد أحد أشياء كهذه، ثم جاء بعد ذلك الانقسام.

موقف التنظيم من اليهود والأجانب

موقف التنظيم معروف، فلا تفرق حكاية يهودى أو غير يهودى، لكننا كان لدينا موقف ناصل عندما بدأنا تكوين لجنة مركزية للحزب الجديد، طلب عدم دخول اليهود إلى اللجنة المركزية للعمال والفلاحين، كنا ثلاثة عشر شخصا عضوا، صوت اثنا عشر منهم مع عدم الدخول باستثناء شخص واحد أصر على أن يستمر وكان هذا الزميل هو صفوت ياسين. ونحن جميعا صوتنا خضوعا لضغوط ممثلى الأممية.

المعارك السياسية التى شاركت فيها

أولاً شاركت في معارك كثيرة، وكنت ما زلت فى فترة الترشيح، جمعت مئات التوقيعات ولأكثر من مناسبة، مثلاً إلغاء الأحكام العرفية، الدعوة لإجراء الانتخابات الجديدة للبرلمان،

وكنت عنصرا نشطا وفعالا فى تأسيس رابطة مساعدى المعمل، وعملت فى إطار لجنة الوفد بالخليفة، وفى انتخابات ١٩٥٧ كنت مرشحًا فى الدائرة ١٩ فى اسبتبة والجلادين، وهناك برنامج مطبوع باسمى، وبعد اعتراض الاتحاد الاشتراكى كنت نـاسـا مشتركًا فى كل السرادقات الانتخابية، ومن أبرز الأحداث التى حدثت فى دائرة أحمد شهيب فى مصر الجديدة عندما قام أحد رجال الدين المعروفون ليتكلم، فجاء كلامه موضوعيا ضد أحمد شهيب، على سبيل المثال يقول : إن الناس تقول إنه يسب الدين وإنه لو عرف كيف يستخدم السلاح ما فقد يد، وأدى ذلك إلى تفريغ السرادق من الحاضرين، فما كان من عادل فهمي الذى كان يتحمل مسئولية إدارة المعركة إلا آن طلب من شهيب أن يعطينى للكلام، وقمت واستطعت أن أفجر حماس الناس لشهيب، سوف أعطيك نموذجًا خطبة قلتها فى روض الفرج فى انتخابات ١٩٥٧، كنا جالسين على النيل نزيد أحد المرشحين، قلت للناس الجالسين، وأمامنا النيل وأمامنا عمارات خمسة أدوار وستة، هل أنت كمواطن تستطيع أن تضع فاترينة لزيادة دخلك مثلاً؟ ستأتى البلدية وتأخذ الفاترينة وترميك وتضربك، ولكن الجانب الآخر مالك العمارة يستطيع أن يبنى عدة أدوار فوق عمارته ولا أحد يقول له إنت فين (لماذا تفعل ذلك) هذا الكلام كان فى ١٩٥٧، وقلت للناس هذا يعرفنا من تخدم الحكومة؟ هل هى فى خدمتنا نحن الفقراء، أم هى فى خدمة الأغنياء؟ بعد ذلك امتلأ السيران على آخره، بعد أن كان خاليا، وهذه القصة تعنى أن الناس تريد كلاما تفهمه ويمس حياتها وليس كلاما عقائديا.

فى معركة القناة كنت قريبًا جداً، لنا زميل من الشرقية اسمه عبد العزيز عطيه، وكان معنا الدكتور محمد عجلان، لم أحارب أو أحمل سلاحًا، رغم أنى تطوعت فور حدوث العدوان، وكنت أعمل فى شركة الألبان بالأميرية ومازلت أذكر الطابور الذى خرج من الشركة فى أول أيام العدوان، خرجنا كمتطوعين وذهبنا إلى ساحة التدريب، وكنت أول واحد فى الطابور، كنا نشكل قاعدة للفدائيين الذين يعملون فى داخل منطقة الاحتلال.

دورى فى سنة ١٩٥٦

كنت كعضو فى التنظيم أقوم بتوزيع منشورات وأشترك فى مظاهرات، يعنى مثلا فى مظاهرة ١٩٤٦ الكبرى كنت مشتركًا فيها، كنت أعمل فى معامل الصحة وهى قريبة من الجمعة الأمريكية وميدان التحرير والمعسكرات الإنجليزية فى قصر النيل التى كانت قائمة فى ذلك الوقت (مكانها الحالى الجامعة العربية).

موقف التنظيم وموقفى من تنظيمات سلطة يوليو :

من بداية الثورة وحتى خروجى من السجن فى مايو ١٩٥٦ لم يكن ممكنا أن أنضم لأى تنظيم أو خلاف، ولكن ما إن عملت فى شركة الألبان بالأميرية والتابعة إداريا لقسم الزيتون فى الاتحاد الاشتراكى، لتحقت بالاتحاد الاشتراكى فى ١٩٦٦، وانتخبت فى لجنة الوحدة. ثم عضواً فى لجنة القسم فى الزيتون والذى كان قسمًا من أنشط الأقسام فى القاهرة، وكان يحظى برعاية خاصة من عبد المجيد فريد أمين القاهرة فى ذلك الوقت.

أنا أتذكر منذ أول وهلة كنا كتنظيم نعلن أن الديمقراطية هى المحك الأساسى الذى سيبين أن هؤلاء الناس جادون ويريدون عمل شيئًا أولا، وعندما بدأت حكاية كفر الدوار (أى بعد إعدام خمس والبقرى) أخذنا موقفا معارضا من نظام يوليو ١٩٥٢.

كنا نقول عنها ديكتاتورية عسكرية حتى جاءت صفقة الأسلحة التشيكية، كنا التنظيم الوحيد الذى أعلن بصراحة تامة وأعلى صوت تأييده لموقف عبد الناصر لباندونج. وأنا عندما دخلت سجن القناطر فى يوليو ١٩٥٥ فوجئت بالسجن كله، وبكل تنظيماته، معادين بل حتى زملاؤنا فى سجن القناطر عندما وصلهم تقرير باندونج الذى أصدره الحزب، قالوا إن هذا التقرير مدسوس على الحزب، وعندما دخلت السجن ظللت أشرح لكل الناس وأتكلم وأستعيد فقرات من التقرير إلى أن تحول السجن كله إلى أن الحكومة وطنية ومعادية للاستعمار، (فى هذه الفترة بالذات كانت قيادات التنظيمات كلها موجودة فى السجن ولكن لم يكن موجوداً من قيادة طليعة العمال غيرى فقط).

موقفى من تنظيمات الثورة
(هيئة التحرير- الاتحاد القومى-الاتحاد الاشتراكى)

فى الحقيقة أنا عن نفسى ظروفى فى وقتها لم أكن أستطيع الدخول ولم تحدث هذا إلا بعد ابتداء من ١٩٥٥/١٩٥٦ قبل حبسة ١٩٥٩ كنت من أنصار الدخول للعمل فيها.

كنت عضوا منتخبًا بلجنة قسم الزيتون طبعًا ابتداء من ١٩٦٦ وهناك حادثة مشهورة. ذهب نبيل نجم أمين القسم وكان عضو مجلس الأمة وأمين الزيتون، تقدم إلى شعراوى جمعه أمين التنظيم فى الاتحاد الاشتراكى بقائمة بأربعة أشخاص متفرغين بطلب تفرغهم، واعترض

شعراوى بالنسبة لى. وبعد أن دفع نبيل عنى وشرح الجهود التى أقوم بها ومدى التزامى. سأله شعراوى منذ متى تعرف حلمى ياسين؟ فقال له : إنه يعمل معنا من سنة ١٩٦٥ وإنه ممتاز ومؤيد للثورة، فرد شعراوى نحن نعرفه منذ ١٩٥٢، دع حلمى ياسين لنا ولا شأن لك به. ورفض الموافقة على تفرغى ومازلت أذكر الجلسة التى دعينا إليها وجاء نبيل نجم ليبلغ لجنة القسم بأسماء المتفرغين الذى وافق عليهم قال : ياجماعة دى أمانة كان حدث كذا وكذا وقال أنتم تعرفون مكانة حلمى، وأنتم تقدرونه ونحن جميعًا نقدره ونقدر الدور الذى يلعبه وأنا حاولت مع شعراوى وقال : لا شأن لكم بحلمى ياسين.

موقفى وموقف التنظيم من هبه مارس ١٩٥٤

كنت هاربًا فى المحلة فى ذلك الوقت، يعنى مختبيًا وكنت أعمل بصلة وثيقة مع الوفديين.

أما التنظيم فكان له نفس موقف الحركة الشيوعية - تأيد قرارات مارس وعودة الجيش لثكناته.

وقد قامت المنظمة بدور من أهم الأدوار الرئيسية، فتحركت مع كل القوى السياسية التى كانت تنادى بحكم دستورى وبرلمان وأحزاب، وكان مسرح تحرك الأعضاء فى القاهرة والإسكندرية وشبرا الخيمة. فى القاهرة كانت القيادات العمالية ممثلة فى قيادات نقابات عمال النسيج وعلى رأسها نقابة الظاهر (عبد الجواد القطان وزملاؤه) وكان يعمل بتنسيق موحد مع ياسين مصطفى، ومصطفى حسنين (نقابة عمال الأحذية) ومع إبراهيم على الحضرى (نقابة البوتاجاز) وكان هناك اتصال بالعناصر الديمقراطية فى الوفد وخاصة بالمنتمين منهم إلى الطليعة الوفدية، ونجح العمال فى عمل حشد يطالب بعودة الجيش إلى ثكناته وإقامة حكم نيابى، ورفضوا كل العروض المغرية التى قدمها لهم مكتب العمال فى هيئة التحرير (الطحاوى وطعيمه) وسافر القطان وياسين مصطفى إلى الإسكندرية واتصلوا بأعضاء ط ع فى نقابات النسيج وعمال النقل بالإسكندرية وهناك كان تنسيق بين إبراهيم طلعت وبين الزملاء العمال الذين كتبوا بيانا نشرته بالكامل جريدة المصرى فى اليوم التالى بتوقيع القيادات العمالية، وفى شبرا الخيمة كان توجيه المنظمة لأعضاء الطليعة مقاومة الإضراب الذى رتبت له هيئة التحرير واستمرت المصانع تعمل ولكن عند الظهر تحرك عمال من شبرا الخيمة باتجاه ميدان

التحرير الذى كان مليئا بمظاهرات متطاحنة بعضها مع هيئة التحرير وبعضها ضد هيئة التحرير. وفى نهاية اليوم تمكنت الحكومة من قمع المعارضة، وكان لذلك أسباب شتى. وفى مذكرات محمد نجيب يقرر أنه كان يتوقع أن تلقى طليعة العمال بثقلها مع القوى السياسية المطالبة بالدستور ... الخ ولكنها لم تفعل أنظر كتاب: «مذكرات محمد نجيب: كنت رئيسا لمصر ص ٢٥٨ » يقول محمد نجيب : طليعة العمال، كان التنظيم الوحيد الذى كان يمكن أن يلعب دوراً، ولكنه لم يفعل» (كلمة دور هنا تتعلق بأحداث مارس ١٩٥٤ وما ذكره محمد نجيب عن طليعة العمال يرجع إلى أن المنظمة لم تكن متحمسة للتنسيق معه، لأن ارتباطه باليمين كان أقوى.

الموقف من الأحلاف وتمصير الشركات ووحدة مصر وسوريا

تأييد الوحدة المصرية والسورية بشرط أن ما يطبق على سوريا لابد وأن يختلف عما يطبق على مصر وأن سوريا فيها أحزاب قوية، وكنا نشعر بأن الحزب الشيوعى هناك سيضرب.

الموقف من التاميم

كانت هناك مواقف مختلفة بعض الشئ: فالزملاء فى السجن كانوا يسمونها رأسمالية الدولة الاحتكارية، وعندما أعتقل أبو سيف وجاء الواحات فتحت المناقشات وتوحد الموقف.

الموقف من الاتحاد السوفييتى

أنا كنت مسئول خلية بالسيدة زينب وكان معى سائق يعمل فى أتوبيس ياسين صاحب مصانع الزجاج المعروف، عم محمد هذا كان رجلا كبيراً فى السن وسائقًا وكان يحب محمود العسكرى والمدرك ويعرف أنهم اشتراكيون، أنا أشرح الموقف وأقول الاتحاد السوفييتى كان يفعل، وإذا بالعامل يقول غاضبًا :- كان اسمى الحركى عزمى-

ما هذا الذى تقوله يا عزمى (اسمى الحركى) ملعون أبو الاتحاد السوفييتى، مالنا وماله، وموقف انفعالى وعاطفي بكيت لأن هناك عاملاً مصريًا يسب الاتحاد السوفييتى.

وهنا يعطيك فكرة كم كنا عاطفين واعتقد أن هذه المسألة جعلتنا كشيوعيين لا نرى كثيراً من السلبيات فى ممارسات ومواقف الأحزاب الاشتراكية.

الصراعات التنظيمية في حزب ٨ يناير الكبير

كان هناك نوع من العلاقات. وطبيعي كان للحزب المصرى أخطاء فظيعة، فى الحياة العمة مثلا، وعندما رحلت من سجن القناطر إلى سجن الاستئنف جاءتنى كمية كبيرة من الأكل، وذهبت وسملتها من المسئول، أصبحت مشكلة خطيرة، هم يعيدون هذا الأكل، وجاء المسئول يقول جميع الحجرات يكون فيها أكل كثير جدا وكانت والدتى دائما تحضر طعامًا يكفى غرفتين أو ثلاثة وكانت لهم أخطاء كثيرة سبق أن أشرت إليها.

موقف التنظيم وموقفى من الحل والأسباب التى أدَّت للحل

طبعًا هناك أسباب كثيرة وأشياء كثيرة جدا كلها فى رأيى ليست إلا إرهاصات، وكلام، وأحب أقول إنه بعد هذه السنوات جميعاً إن ثلاثة أرباع الكلام غير حقيقى وأن الناس كانوا يتفاوضون مع عبد الناصر، وكانت هناك اتصالات ممكن تكون حالة اتصالات بشخص أو اثنين وليس من باب عمل انقسام أو تنظيم. ولكن بعض الناس كانوا يبحثون عن حل لوحدهم للخروج من المعتقل.

نحن خرجنا من المعتقلات يوم ١٠ مايو ١٩٦٤ وعندما حوكمنا فى الإسكندرية صيف عام ١٩٥٩ قلنا نحن أعضاء الحزب الشيوعى، تسعة أشخاص اعترفوا بعضوية الحزب، وأنا على رأسهم كنا نفهم جيداً أننا جميعاً الـ ٦٤ شخصا سنخرج من السجن فى يوم واحد سواء منهم الذى أخذ براءة أو الذى حكم عليه بعقوبة عشر أو خمس سنوات أو سنتين. كلنا سنخرج فى يوم واحد لأنها قضية سياسية، وهذا ما حدث فعلا، ففى ظرف أسبوعين أو ثلاثة، كل المعتقلين والمحكوم عليهم كلهم خرجوا، الذي كان محكومًا عليه والذى أنكر والذى كان يدافع عن الحزب الشيوعى وأبو سيف وزملاؤه الذى أعلن أنه سكرتير الحركة، كلنا خرجنا فى نفس اليوم لتدعم التحولات التي حدثت على يد عبد الناصر في معركته ضد الاستعمار. فى أثناء هذه التطورات طبعاً كان هناك كثير من القصص مثلا ونحن فى المحكمة، زميلنا حسين طلعت كان المدعى العسكرى قال لعائلته لا شأن لنا بما يجرى فى المحكمة وتعال إنكر وأشهد أمه وكانت موجودة، وعندما ذكرت لوالده ما حدث قال لها : قولى لحسين لو حدث منك هذا سأضربك بالنار ابنى لا يفعل ذلك.

كيفية الحل

أنا رأيي الآن طبعًا أن حل الحزب الشيوعي كان خطأ، أنا كنت في السكرتارية المركزية قمة الحزب كان الحزب مهلهلا جدا، كل أسرارنا وكل معلوماتنا موجودة على المناهي في الشارع، وفعلا لم يكن هناك التنظيم الذي تربينا عليه في الأحزاب الشيوعية. وبالتالي لم يكن هناك حزب من الناحية العملية والفعلية.

وكان الأفضل أن نقفل المسألة. طبعًا بعد كل هذه السنوات أقول لك لا. هذا الحزب الشيوعي المهلهل والمريض لو كان استمر لم يكن ليسمح بوجود الحالة التي نعمل بها الآن، حالة الشيوعيين المصريين الآن والتي هي في غاية السوء.

الأجيال الجديدة من الشيوعيين لم يتعلموا من الخبرات الماضية. نحن الجيل القديم، أولاد الكلب في نظرهم ولكن نحن عملنا أشياء سيئة، ولكن عملنا أيضًا أشياء طيبة، خذوها واتركوا الأشياء السيئة وتعلموا من الذي مضى باسم جيل السبعينيات، نبدأ من فراغ منقطع الصلة بالماضي.

التهديد الوحيد الذي حدث أثناء الحل وهذه قصة مشهورة، هو عندما ذهب ميشيل كامل إلى أبو سيف يوسف في البيت في شبرا وقال له: ياسيف إنك لابد أن توافق على حل الحزب وإلا ستدخل المعتقل، ورد سيف عليه بأن هذا كلام خطير وكيف تقول هذا الكلام، إن كل إنسان حر في عقيدته، وأنهى ميشيل المقابلة بتهديد قال : أنا لم آت بكلام أنا أتيت برسالة إما الحل أو الاعتقال. هذا هو التهديد الوحيد الذي حدث، ولم ألحظ أو أحس بأي أثر في سلوك وموقف أبو سيف ولا باقي الزملاء عندما أبلغوا بما حدث، وطبعًا لم ينجح هذا التهديد وبعد فترة طويلة حدث الحل.

عرفت أن بعض زملائنا قال : إنني والزميل حسين طلعت نزلنا في شبرا وجمعنا الناس وقلنا لهم إما تحلوا الحزب أو تدخلوا السجن، هذا كلام لم يحدث إطلاقا وأنا أتحدى أن يواجهني أي إنسان بأنني طلبت منه حل الحزب، أنا عن نفسي وافقت على الحل، ولكن لم أحضر اجتماعًا واحدا ودعوت فيه لحل الحزب غير اجتماع المستوى الذي أنا منه والذي صوتُّ فيه، وكل واحد ملتزم برأيه، هكذا تتابعت الأحداث.

ما قيل عن إعادة تنظيم الحزب ثانية

نحن عندما جئنا لحكاية الحل كان هناك كلام عام، نحن نتقابل ونتناقش ونرى ماذا سيحدث في الدنيا . هذا كلام عام، لكن إن الناس جلست وتناقشت وفكرت في شكل من التنظيم أيا كان هذا لم يحدث- إنما هو هذا الذي حدث وحتى هذه اللحظة - أنا وأبو سيف مثلا أصدقاء . عمر وأولاده أولادي وزوجاتنا أصدقاء ، وأحباء . ونتكلم كل يوم بالتليفون وإن كنت مريضًا يأت لي بالدكتور، هذه عشرة عمر، هناك أكثر من شخص قالوا نعمل شيئًا مجموعة صغيرة جداً ، أفراد يعني لكن لم يحدث اجتماع واحد بعد حل الحزب.

وبالمناسبة لاتوجد صلة بين مقتل لويس وحل الحزب كما قيل

كنا أمام باب العنبر أنا وسيف وآخرين ولويس، لا أذكر الآخرين وضرب النار جاء ناحية السور وأصيب لويس وهو واقف في وسطنا . وللعلم لم يكن موضوع الحل مطروحًا حتى في مناقشات جانبية ، وطرح الموضوع بعد خروجنا من المعتقل بعدة شهور. أنا في اعتقادي الشخصي أن المقصود قتل أبو سيف يوسف، ولم يكن موضوع الحل مطروحًا حتى يكون هناك مؤيدون ومعارضون.

لا أعتقد بأي حال بأن هناك صلة بين مقتل لويس وحل الحزب أعتقد أن كانت هذه الرصاصة موجهة لابوسيف أو ربما تكون موجهة للتجمع كله، وكان يمكن أن تصيب أي إنسان. وقصة أن لويس قتل لأنه عارض حل الحزب، أنا أسمعها لأول مرة وهي حدوتة تضاف إلى التشتيتات، كيف كان لويس معارضا لشئ لم يطرح ولم يناقش حتى في الكواليس؟

أسباب أزمة الحركة حتى ١٩٦٥

أنا أرى أن سبب الأزمة الأساسي هو العزلة الجماهيرية واللخبطة بين الاتجاهات اليمينية حينا واليسارية حينا آخر، ورأيي الآن أننا كنا عاطفيين جدا ، أنا حكيت لك حكاية العامل الذي شتم الاتحاد السوفييتي وبكيت، كنا نأخذ الشيوعية ببعدها العاطفي والرومانسي. والبعض كان يعتقد أن السلطة على بعد خطوات منا غداً نأخذها، لم نكن نفهم ولا نشعر أن هذه المسألة فيها نضال شاق لسنوات طويلة لنستطيع أن نبلغ هذا ، مع ذلك كله، نحن نجحن

فى زرع الاشتراكية فى ضمير الشعب المصرى فى المثقفين والعمال، هذه حقيقة نحن غرسنا الاشتراكية فى ضمير الشعب المصرى وعلمنا الناس ماذا تعنى الاشتراكية.

الشهادات التى سبق أن أدليت بها

نعم نخرى أخذ أشيا، وأبو سيف أخذ أشياء.

شهادة

خالد حمزة أحمد

البيانات الشخصية

الاســــــــــــم : خالد حمزة أحمد أبو اليسر

محل وتاريخ الميلاد : ١٩٢٤/٧/٩ - بولاق أبو العلا - القاهرة

بيانات عائلية :

نشأت يتيما، توفيت والدتي سنه ١٩٣٧، احتضنتني جدتي لأمي في قرية بأسيوط، ثم زوجة عمي وابنة عمي عندما تركت الصعيد لأتعلم في بولاق أبو العلا. كانت شخصية والدي مسيطرة على الأسرة كلها، ولم يكن لي أية حرية شخصية، لا أذكر ملامح كثيرة من طفولتي، أدركت التعليم الأولي بمدرسة سليمان باشا الفرنساوي ببولاق أبو العلا ثم مدرسة مكارم الأخلاق الابتدائية بجزيرة بدران كانت المدرسة متنفساً للنشاط الممنوع في البيت، كونت مع اثنين من الطلبة تحت قيادتي فرقة لحماية الطلبة الضعفاء وأعجبتنا اللعبة فضربنا معظم الطلبة.

حصلت على الابتدائية سنه ١٩٤٦ دور ثان وانتقلت إلى مدرسة خليل أغا الثانوية بشارع الجيش (فاروق سابقاً). استمر الكبت في البيت يقابله التهريج ومشاغبة المدرسين، كان في فصلي سنة أولى ثانوي اثنان من اليهود أحدهما يدعى عبد الله والثاني لا أذكر اسمه، كنا واثنان آخران نحرص على الجلوس على ترابيزة واحدة في مطعم المدرسة ومن معه يعطي الآخرين وكنا ننتهز فرصة الإضراب لنذهب نحن الخمسة إلى السينما وأحيانا نتناول الطعام في بيت عبد الله بالظاهر، ورسبت وأعدت السنة بينما انتقل الأصدقاء الأربعة إلى السنة الثانية ثانوي واستمرت صداقتنا، فتحت في مدرسة الظاهر بالشرابية فصول ثانوي، وتقرر نقل بعض الطلبة إليها، كانت فرصة للناظر أن يتخلص مني فانتقلت إلى هناك سنة ثانية ثانوي، تباعدت اللقاءات بيني وبين أصدقاء خليل أغا ولا أتذكر الآن عنهم شيئا. تحول التهريج إلى تمرد وكان مشرف المدرسة يتحاشاني، لم أكن تلميذا مواظباً كنت أساعد زعيم المدرسة على عمل الإضراب، وبعد نجاح الإضراب والخروج من المدرسة أنسلخ للسينما أو القهوة، في يوم ذكرى الشهداء، لا أذكر الآن تاريخه بالضبط، تقاعس زعيم المدرسة وأخذه الناظر إلى حجرته وكاد الإضراب أن يفشل، على الفور صعدت إلى سلم مطعم المدرسة حيث كانت تبدأ

الإضرابات دائماً و خطبت فى الطلبة متهماً زعيم المدرسة بالضعف أمام الناظر ومتهما الناظر بإفساد الحركة الوطنية. وكان بالمدرسة بعض الوفديين ا لتفوا حولى وساعدونى وخرجنا من المدرسة إلى الشارع حيث اعترضنا بعض العساكر بالعصا وكنت محمولا على الأعناق فأنزلنى الطلبة طلبا للسلامة، ولكننى استمررت فى الهتاف حتى ثبت الطلبة وحملونى مرة ثانية ولم يعترضنا العسكر وكنا نواة مظاهرة كبيرة بعد ذلك بأن ذهبنا إلى مدرسة مصر ثم خليل أغا ثم ركبنا الترام إلى الجامعة.

كنت أسبب إزعاجاً لوالدى، وكانت قد فتحت مدرسة ثانوية عسكرية لأول مرة، فقدم أوراقى إليها ونجحت فى جميع الاختبارات بما فيها الهيئة، وفى طابور أول يوم فى المدرسة، استعرض الطابور حيدر باشا وزير الحربية وكان يركز عينه فى عينى الطالب وجاء دورى فركزت عينى فى عينيه فأطال النظر ثم أشار إلىّ بعصاه، أن أخرج من الطابور وهكذا عدت إلى مدرسة الظاهر واحتفى بى الوفديون وجعلونى زعيما للمدرسة.

الطالب أنور أبو العلا زميلى فى الفصل، كان عضوا بتنظيم "دال شين" قرر تجنيدى وكان يسكن معى فى بولاق أبو العلا. أعطانى كتاب "نحن النساء المصريات" للزميلة إنجى أفلاطون، أعجبنى الكتاب جداً خاصة أننى قارنت بين ما تطالب به المؤلفة وبين واقع المرأة فى عائلاتنا وحينا بولاق ثم أعطانى قصيدة من أب مصرى إلى الرئيس ترومان ثم طلب منى أن أشترى كتاب "من هنا نبدأ" لخالد محمد خالد ثم أخبرنى أن هناك مجلة سرية تصله بالبريد وسألنى هل تحب أن تقرأها دون أن يراك أحد فأجبت بإيجاب فأعطانى إياها وأعجبت بجرأتها ووعدنى بإعطائى إياها كلما وصلت إليه وعرفنى أن الشيوعيين يصدرونها وشرح لى بعض المفاهيم العامة وكان يقوم بتوجيهى. وكان ذلك أثناء وزارة الوفد الأخيرة فى الحكم حيث كانت هناك حركة طلابية نشطة كنت أنا أحد قادتها، وفجأة أخبرنى أنه عضو فى تنظيم شيوعى اسمه "طليعة العمال" وأنه سيترك هذا التنظيم، انزعجت وتساءلت، لماذا تترك الشيوعيين وهذه مبادؤهم قال لن أترك الشيوعيين سألتحق بتنظيم شيوعى آخر اسمه (الحزب الشيوعى المصرى) ولأول مرة علمت أن هناك تنظيمين شيوعيين وأخبرنى أنه سيصحبنى معه فتحيرت ولم أستطع تحديد موقفى، علمت بعد ذلك أن مسئوله فى طليعة العمال الزميل ألبير الضبع، طلب منه مقابلتى ليشرح لى الموقف، وعلى أنا أن أختار بين البقاء فى طليعة العمال

أو الذهاب مع أنور إلى الحزب الشيوعى المصرى. وفى الاجتماع الثلاثى طلب ألبير من أنور أن يعرض أسباب انتقاله فذكر سببين هما عدم انتظام صدور الجلة ورداءة طباعتها ، رأقر ألبير بالسببين وقال هذا يدعو للاستمرار ولعمل على التغلب على ظروف السرية وقلة الإمكانيات وأن هذه ظروف عارضة ويمكن تغييرها أو تلافيها. وقال له أن المهم والأولى بالمناقشة سياسة التنظيم وأسلوب عمله وصحة توجيهاته من عدمها وإن انتهت المناقشات بوجود أخطاء فى السياسة أو التنظيم، فالحل هو العمل على تصحيحها لا هجرة التنظم وأذكر أنه لم يكن لأنور انتقادات سياسية أو تنظيمية فقررت البقاء فى التنظيم. وأحب أن أسجل أن علاقتى بأنور بعد ذلك كانت ودية وكنت أتعامل معه على أنه صاحب فضل، فهو الذى عرفنى بالشيوعيين وعملنا سوياً فى أعمال جماهيرية إلى أن ترك العمل لسياسى وتوفى بعدها بسنوات، علمت فيما بعد أن خروجه من التنظيم كان متزامنا مع خروج أخيه الزميل محمد أبو العلا وزوجته الزميلة إنجى أفلاطون.

أدركت أننى طوال الشهور الماضية كنت مرشحاً للعضوية شهوراً قتربت من السنة وزعت خلالها منشورات فى دكك الطلبة فى الفصول عدة مرات ومرتين فى حجرة المدرسين. ضبطنى أحدهم فى المرة الأولى وطلب منى عدم تكررها ، لكنى فعلت المرة الثانية وكذلك وزعت منشورات فى حى بولاق فى مناطق الورش وعلى عتبات البيوت وكنت عضواً نشطاً فى إضرابات المدارس بمنطقة الظاهر فطالبت بأحقيتى بالعضوية وحصلت عليها بعد ٣ أشهر من بدء اتصالى بأنور.

كانت التوجيهات أن أشارك فى تأسيس لجنة أنصار السلام فى بولاق أبو العلا وأن أعاون فى توزيع مجلة الكاتب وفى المقر الرئيسى للجنة التحضيرية لأنصار السلام (مكتب يوسف حلمى) تقابلت مع عدد قليل من أبناء الحى منهم رفعت صالح وأنشأنا لجنة أنصار السلام فى بولاق واتسعت وانتخبت سكرتيراً للجنة وبعد عدة اجتماعات انضم إلينا الزميل الصاوى وكان صاحب محل خردوات وسجاير بالسبتية هو وزوجته وكان رأيه المعلن أنه لا يجوز أن تكون واجهة اللجنة تلميذ صغير السن وأنه هو بسنه وخبرته (٣٥ سنة فى هذا الوقت) أولى بالسكرتارية وتمسكت أنا بالسكرتارية وانتهت المناقشات عبر عدة اجتماعات انحسر فيها نشاط اللجنة إلى تقسيم اللجنة إلى ثلاث لجان توليت إحداها وتولى الثانيتين رفعت صالح

(علمت بعد ذلك بانتمائه إلى الراية)، والصاوى (وعلمت بعد ذلك بانتمائه إلى حدتو) وكان هذا التقسيم خصما من نشاط اللجنة وجماهيريتها.

فى فترة ازدهار لجنة أنصار السلام ابتكرنا أسلوباً جديداً لنشر أفكار السلام أنور وأنا وشاركنا رفعت صالح، كنت أقوم أنا وأنور بكتابة مسرحيات ذات فصل واحد أغلبها يضم شخصيات إله الحرب وصحافة السلام وعامل وفلاح كانت لمسرحيات ضعيفة فنياً أقرب إلى الخطب منها إلى الحوار الدرامى وكنا نقوم بالبروفات فى منزل أحد أعضاء اللجنة واشتركت أنا ورفعت صالح فى التمثيل وكان مكان العرض الحدائق العامة، حديقة النزهة خلف حديقة الأندلس وحديقة لأورمان القريبة من الجامعة، نذهب إلى مكان العرض فى الجمع والإجازات ونعمل حلقة ونصفق بأيدينا فى إيقاع موحد فيجتمع حولنا الناس فنبدأ العرض وكان لا يزيد عن ٢٠ دقيقة بعدها نسرع بالانصراف إلى حديقة أخرى وأذكر أننا كنا نقابل بقبول حسن وكان أعضاء اللجنة غير المشتركين فى التمثيل يظلون يناقشون الناس وينشرون مبادىء السلام وكنا نركز على أن السلام لا يعنى استسلام الشعوب المقهورة وأن الكفاح المسلح ضد الاستعمار هو عمل من أعمال السلام، وكان زملاؤنا بعد انتهاء مناقشاتهم يتبعوننا إلى مكان العرض القادم، اكتشفنا بعد عدة عروض أن البوليس السياسى ينتظرنا فتوقفنا، عرفت من خلال عملى فى أنصار السلام أن الشيوعيين مقسمين إلى عدة تنظيمات وأن الجهد المبذول من أجل السيطرة على لجنة أنصار السلام الموجودة بالفعل أكبر من الجهد المبذول لتوسيعها.

صدرت توجيهات من التنظيم بتشكيل لجان وطنية فى الأحياء والمدارس والتركيز على ضرورة انتزاع الحريات السياسية وتشمل حرية التنظيم الجماهيرى والتعبير وبناء جبهة داخلية قوية لمساندة أعمال الفدائيين ضد قوات الاحتلال الإنجليزى فى القنال وكان رأينا أنه بدون جبهة داخلية جماهيرية، فالعمل الفدائى سيظل محصوراً ومهدداً فتكونت اللجنة الوطنية فى بولاق أبو العلا وقمنا بكتابة الشعارات على الحوائط وأذكر فى ذلك الوقت أن كان هناك تنسيق بين طليعة العمال والنجم الأحمر فى العمل الجماهيرى والسرى (المظاهرات والكتابة على الحوائط وتوزيع منشورات) أذكر أعمالاً مشتركة مع الزميل عامل النسيج أحمد الجندى وكان من سكان بولاق وكان عضواً بالنجم الأحمر.

يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ الساعة الرابعة عصراً علمت بأن القاهرة تحترق فنزلت إلى شارع

فؤاد والتقيت صدفة بالزميل عبد الحميد الأزهرى عضو طليعة العمال وكان من أصل أندونيسى وحاولنا التصدى لمن يحرقون وكان ذلك مستحيلاً. عند عودتى فى المساء سمعت من راديو فى الشارع بإعلان الأحكام العرفية فلم أذهب إلى المنزل وقضيت الليلة عند أحد أقاربى وهو بجوار بيت والدى وقام عمى بإرسالى إلى بيت أحد أصدقائه المزارعين فى محافظة البحيرة واختبأت هناك شهرين عدت بعدها للقاهرة حيث التقيت بالزميل إدوار الضبع (عادل الضبع فيما بعد) ولامنى على عدم اتصالى بالتنظيم طول هذه الفترة وأوضح لى أننا حينما نهرب لا نترك العمل السياسى وأن علىّ أن أدبر مكان للاختفاء داخل القاهرة حتى يتسنى لى القيام بواجباتى السياسية وطلب منى التعاون مع زميل لا أذكر اسمه فى عمل جهاز فنى بدائى وفعلنا وطبعنا منشورين نندد بالأحكام العرفية ونطالب بالإفراج عن الفدائيين وعن المعتقلين وإلغاء الرقابة على الصحف وأذكر أنه قبل حركة ٢٣ يوليو انقطع اتصالى بالتنظيم، وفى يوم ٢٥ يوليو وكان يوم جمعة كتبت منشوراً وطبعته ووزعته على القهاوى فى بولاق أبو العلا وكان مضمونه تأييد حركة الجيش بشرط إطلاق الحريات السياسية والإفراج عن المعتقلين وتنشيط العمل الفدائى فى القنال وإلغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحف وكنت قد اتصلت ببعض العناصر من اللجنة الوطنية ببولاق واتفقت معهم على عمل مؤتمر سياسى بعد صلاة الجمعة فى جامع السلطان أبو العلا وأذكر من هذه العناصر الزميل عباس عبد الحميد عضو النجم الأحمر والزميل فتحى المطبعجى عضو حدتو وخطبت فى المؤتمر فى اتجاه ما كتبته فى المنشور، شعرت وأنا أخطب والجامع كله ملتف ويسمع بحماس أن ضابط مباحث قسم بولاق يقترب منى ليقبض على تنفيذاً لأمر الاعتقال فأنهيت الخطبة وطلبت من عباس أن يخطب هو وتسللت خارجاً بعيداً عن هذا التجمع الكبير وكان هذا خطأ فلقد تمكن منى ضابط المباحث بعيداً عن الناس وكان قوى البنيان تصرخت (بوليس سياسى) مستنجداً بالناس نهبوا ناحيتى وكل منهم يحمل حذاء، وانهالوا ضرباً على الضابط الذى لم يفرط فىّ وأدركه العسكر ودخلوا الجامع بالأحذية وكانت معركة بينهم وبين المصلين حملنى خلالها الضابط إلى قسم بولاق وهناك انتقم منى شر انتقام. صلبنى اثنان من المخبرين على الحائط ووقف هو فى مواجهتى يضرب وجهى بكلتا يديه حتى سقطت مغشيا علىّ ومزق ملابسى وكان مصراً خلال الضرب على أن يسأل "مين البغل اللى خطب بعدك وساكن فين"

وكان يقصد عباس بعد ساعات من إغراقى بجردل المياه أفقت وجاء مخبر يخبرنى أن الضابط اتصل بالداخلية وأنهم كانوا مرتبكين وطلبوا منه الإفراج عنى.

عند اتصالى بالتنظيم وافقونى على المنشور والمؤتمر وكتشفت أن ذلك أيضاً كان رأى القيادة.

أصدرت طليعة العمال منشوراً يندد بقمع الجيش لحركة العمال فى كفر الدوار وإدانة إعدام الشهيدين خميس والبقرى وسمعت أن الزميل عبد المنعم الغزالى عضو حدتو كان يدعو العمال من خلال ميكرفون على عربة جيب إلى الهدوء والسكينة بدل المقاومة.

أذكر أن تكليفاً صدر لى بالشاركة فى تنظيم استقبال جماهيرى لزعيم الحزب الاشتراكى الإيطالى وكان وقتها متعاوناً مع الحزب الشيوعى الإيطالى وأذكر أننى رغم قيادتى للحركة الطلابية فى منطقة الظاهر والعباسية لم أنجح فى إقناع أحد للذهاب معى إلى المطار لأن الأمر لم يكن يعنى الطلاب. انتقلت إلى المدرسة السعيدية الثانوية وكان بها عدد من الشيوعيين يمثلون معظم التنظيمات وقتها عام دراسى ١٩٥٣/ ١٩٥٤ وكان بها أيضاً أضخم تجمع للإخوان المسلمين وكانوا جميعاً يمارسون الرياضة خاصة فرق الملاكمة والمصارعة والسويدى ولم يكن الشيوعيون يهتمون بذلك، كنت بتعاون جميع الشيوعيين أصبحت زعيم المدرسة وبتكليف من التنظيم كنت عضواً بلجنة الخطابة واشتركت فى عدة مناظرات ضد الإخوان المسلمين حول حقوق المرأة، وحق تكوين الأحزاب وحق العلاج المجانى، فى البداية كان الإخوان يستعملون العنف فى إفشال الإضرابات فى المناسبات الوطنية ومنعنا من الخروج إلى مؤتمرات الجامعة وكان الفكر السائد وسط الشيوعيين عدم مقابلة العنف بالعنف إلا أننى تمردت على هذا وفى إحدى محاولات استخدام الإخوان للعنف هاجمت زعيمهم وكان اسمه الفيومى وكان مصارعاً ضخم الجثة وبدأت "معركة" بين الشيوعيين والإخوان تخشت جموع الطلبة إلينا وكانت الغلبة للشيوعيين تكرر ذلك أكثر من مرة إلى أن كف الإخوان عن مهاجمتنا. أقر التنظيم سياسة مقابلة العنف بالعنف، أذكر أنه فى إحد المعارك كاد أن يتمكن منى عدد من الإخوان فإذا بى أجد نفسى محميا من ناظر المدرسة الأستاذ بنونه وهو يصرخ فى وجهى "دول وحوش يا غبى أنت ما متعرفهمش" وبالمناسبة أذكر أن ناظر مدرسة الظاهر الثانوية الأستاذ إبراهيم حمودة الذى كان يمنع زعيم المدرسة من الإضراب أذكر له هذه الواقعة، طلب البوليس من الناظر

استدعائي لحجرته لإلقاء القبض عليّ فرفض وطلب منهم انتظاري خارج المدرسة ففعلوا بينما أرسل إلى مدرس العربي يسحبني من الفصل ويشرف على خروجي من المدرسة عبر السور الخلفي.

في هبة مارس سنة ١٩٥٤ كانت التكليفات متلاحقة للدعاية حول شعارات عودة الجيش إلى الثكنات وحرية تكوين الأحزاب وانتخاب جمعية تأسيسية لوضع الدستور وأذكر موافقة كل الشيوعيين على ذلك وكذلك الوفديين وأذكر أن مؤتمراً طلابياً حاشداً عقد في حرم جامعة القاهرة وكنت قد خرجت بمدرسة السعيدية وشاركنا في المؤتمر. وأذكر أيضاً أن عدداً من المدارس الثانوية بالقاهرة وصلوا وشاركوا وأذكر أن الإخوان المسلمين شاركوا في هذا المؤتمر على أن يخطب في المؤتمر مندوب عن كل من الشيوعيين والوفديين والإخوان واتفق على أن يلقي الزميل عادل فهمي كلمة الشيوعيين وكان مطلوباً القبض عليه فلم يتمكن من دخول الجامعة وكان مسئولي في هذه الفترة الزميل محمود عبد الخالق فكلفني بأن ألقي كلمة الشيوعيين وأثناء إلقائي للكلمة اقترب مني الزميل نسيم يوسف وأخبرني أن هناك مؤامرة تدبر للاعتداء على المؤتمر لفضه من قبل السلطة فضمنت كلمتي تحذيراً من ذلك وقبل أن انتهي من كلمتي دوى انفجار هائل في حرم الجامعة كانت قنبلة فجرها أحد ضباط الجيش اسمه على ما أذكر وحيد رمضان وفي نفس التوقيت هاجم العسكر المؤتمر بالعصي وانهالوا ضربا على الطلبة وحاولوا منعنا من الخروج من الجامعة لكننا قاومنا وخرجنا وأذكر أن طالب الهندسة عبد المحسن حمودة (الدكتور عبد المحسن حمودة الآن) وقع على ظهره وانهال عليه العسكر ضرباً بالعصي وكنت قريباً منه فألقيت بنفسي فوقه وتلقيت أكثر من عصا على ظهري، الغريب أن العسكر توقفوا.

أذكر أنه في إحدى مظاهرات هبة مارس ١٩٥٤ وكان بها نبيل غالي شقيق جمال غالي ونسيم يوسف وعبد الباسط خلاف ومنير المغربي وفكري تادرس وشفيق محمد إبراهيم وكنت محمولاً على الأكتاف ووصلنا إلى منتصف كوبري قصر النيل حيث يواجهنا على أول الكوبري عساكر بوليس مسلحون بالبنادق يتقدمون نحونا وتقدمنا نحن أيضاً نحوهم فبدأوا في إطلاق النار في الهواء فوق رءوسنا مباشرة فأنزلني من يحملوني خوفاً من إصابتي ومع اقتراب العسكر واستمرار إطلاق النار بدأت المظاهرة في التراجع وحاولت أن أمنعهم بذارعي فلم أفلح

نرفعت الشعار الآتي: "صوبوا المدافع للقنال" نردده المتظاهرون وثبتوا وحملونى مرة أخرى وتقدمنا ناحية العسكر فصدرت لهم الأوامر بالكف عن إطلاق النار وإفساح الكوبرى ولما وصلنا إلى ميدان التحرير فوجئنا بعدد هائل من العسكر بالعصى وتمكنوامن تشتيت المظاهرة. والدرس المستفاد أن نزول الشعار المناسب فى الوقت المناسب يمكن أن يحول مسار المظاهرة، صدر أمر اعتقالى وهربت وفاتنى امتحان التوجيهية.

أذكر أن طليعة العمال قامت بتنسيق العمل الجماهيرى والسرى مع النواة واشتركت أنا مع الزميل نصر حمود، وكان وقتها طالباً فى كلية العلوم، فى توزيع منشورات تخص التنظيمين فى العجوزة وحوارى الجيزة.

أذكر أننى سألت المسئول عما إذا كان لطليعة العمال اتصال واعتراف من الحزب السوفيتى وكانت الإجابة بالنفى وكان ذلك يقلقنى، فى المعتقل أعوام ٦٢، ٦٣، ٦٤ وبوصول مقالات وقرارات الحزب السوفيتى عرفت أنه كان من الأفضل لنا عدم الاتصال بالسوفييت فربما كنا قد تأثرنا بفكرهم الذى تسبب فيما حدث بعد ذلك وانهيار التجربة السوفيتية.

ابتكرت طليعة العمال أسلوب عمل جماهيرى جديد، كنا نلتقى نحن الأعضاء المكشوفين (اعتقد سنتى ٥٣، ٥٤) بالتواجد فى حارة فى حى شعبى ثم نبدأ مظاهرة داخل الحوارى وكل قهوة نمر بها يسحب الزميل حسن صدقى كرسى ويقف عليه ويلقى خطبة لا تزيد عن ١٠ دقائق ثم نمضى إلى قهوة أخرى كان الزميل عبد المجيد أبو زيد يلقى هو الخطبة أحياناً ثم نتفرق بعد عدة قهاوى وكانت المظاهرات تستمر أقل من ساعة، بعد عدد من المظاهرات كان يتواجد معنا زملاء من النجم والنواة، تمكن البوليس فى بعض المظاهرات من اللحاق بنا قبل أن نتفرق وأذكر أنه قبض على واحد منا أو اثنين وعدد من المتظاهرين.

أذكر أن التنظيم ضم جميع الزميلات على مستوى الخلايا فى خلية مغلقة عليهن وكلفت بمسئولية جزء من هذا القسم وكانت التجربة تناسب ربات البيوت. قمنا بعمل دراسات بسيطة عن ظروف المرأة كأم وكطالبة وكمواطنة وكعاملة، وطالبنا زملائنا العمال أن يدفعوا زملاءهم العمال العاديين نحو تحسين معاملتهم لزوجاتهم وبإشراكهم فى العمل والحياة اليومية والامتناع تماماً عن ضربهن، علمت إحدى زميلات النسم أن عاملاً عضواً بالمنظمة يضرب زوجته بسبب غيرتها الشديدة عليه فكلفناها بمناقشته، لكنه دافع عن الضرب كأسلوب للتربية الزوجية

فطلبنا إيقاف عضويته حتى يقلع عن هذه العادة الرديئة فأوقف حتى أقلع عن ذلك وبعد حوالى سنة من ذلك تطورت هذه الزوجة وقبلت فى خلية مرشحين، انتهت علاقتى بهذا القسم بهروبى وعلمت بعد ذلك أن التنظيم أنهى هذه التجربة.

أذكر أن أسلوب عمل طليعة العمال واتباعهم الدقيق لقواعد الأمان والدقة والمغالاة فيها فى الترشيح وإعطاء العضوية جعل منا تنظيماً صعب اختراقه بدليل أننا رغم اتساع حركتنا التى كشفت عنها الوحدة كنا دائماً قلة فى السجون لفترة طويلة. وكنت أعتقد أن تنظيم طليعة العمال مع تطوره ونموه يمكن أن يكون الحزب الشيوعى المصرى دون وحدة مع باقى التنظيمات مع العمل المشترك مع أعضاء من النواة والنجم الأحمر. وتطور فكرى إلى أن الحزب الشيوعى المصرى ينتج من التنسيق والعمل الجماهيرى المشترك بين التنظيمات لفترة طويلة تسمح بوجود وحدة فكرية وسياسية وتنظيمية بين أغلبية الشيوعيين فى التنظيمات المختلفة بعدها تتم الوحدة. وبناء على هذا تحفظت على أسلوب وحدة ٨ يناير وطالبت بفترة من التنسيق والعمل المشترك قبل الوحدة، ولكن كان رغبة أعضاء طليعة العمال فى الوحدة غالبة وأنستهم مبادىء أساسية، كنت أعتقد لكثرة سقوط شيوعيين من تنظيمات أخرى فى قضايا أن هذه التنظيمات مخترقة وأن الوحدة السريعة قبل اكتشاف الجواسيس ستجعل من كل التنظيمات تنظيمات مكشوفة للسلطة. شارك عدد من الأجانب واليهود المصريين فى تأسيس طليعة العمال وكان لهم دور بارز وعطاء عظيم وفى رأيى أن اليهود المصريين الذين أعلنوا إسلامهم أضروا بأنفسهم وبالحركة فيما بعد إذ أنهم وضعوا الأساس الخاطىء فيما بعد لاستبعادهم من القيادة وهذا مناف للمبادىء، وأعتقد أن قبول طليعة العمال لذلك كان موقفاً غير موضوعى وأذكر أن عدداً من المنقسمين فى الواحات ناقشنى فى خطورة أن يكون على رأس الحزب الشيوعى لشعب مسلم قائد مسيحى. هكذا تدهور الفكر وتدهورت المبادىء، فسر أصحاب هذا الخط أن الشعب المصرى وقتها كان يفضل التعامل مع التجار اليهود ويثق فيهم لفهمهم أصول التجارة وأن حكاية مسلم ونبطى وقتها لم تكن واردة فى الأذهان.

أسجل أننا فى مظاهراتنا ومنشوراتنا وكتاباتنا على الحوائط كنا نركز أكثر على المطالب السياسية وهذا خطأ فلو كان التركيز على متاعب المواطن اليومية ومشاكل العمل والتعليم واحتياجات الناس لكنا اقتربنا من الناس أكثر.

شاركت طليعة العمال فى عمل مؤتمرات ومظاهرات ومنشورات تضامناً مع شعب فيتنام والشعب الكورى والجزائرى والثورة العراقية. أذكر أن زعيم الحزب الاشتراكى فى بداية الخمسينيات قام بزيارة لمصر وكان متعاوناً مع الحزب الشيوعى الإيطالى فصدرت تعليمات بحشد فى المطار للترحيب به وأذكر أننى لم أنجح فى ذلك فما شأن الناس فى مصر بزعيم أوربى يتعاون مع حزب شيوعى أوربى.

تعاون التنظيم مع فتحى رضوان وممثل للإخوان المسلمين والعشماوى والكاتب إحسان عبد القدوس فى عمل مؤتمر سياسى بإحدى القاعات خلال صراع سلطة يولية مع الاستعمار، وكان صوت التأييد من المنظمة يعلو على صوت المطالبة بالديمقراطية والحرية واستفادت سلطة يوليو من ذلك فلم تسمح للجماهير بأية مساحة للحركة واعتمدت فى كل إنجازاتها على الأجهزة دون الحركة الجماهيرية. ضبطت وأنا أوزع مجلة المقاومة وكان بها مقالة وحيدة تأييد لجمال عبد الناصر وكنا نوزعها عقب تأميم قناة السويس بشكل علنى وحجزت بالداخلية عدة أيام وكان موقف الشرطة : لا نريد منكم تأييداً ولا معارضة، لم ننضم أعضاء التنظيم لأى تشكيل من تشكيلات سلطة يوليو.

قام التنظيم بتأييد الإصلاح الزراعى وطالب بتجميع الأراضى الصغيرة المقسمة فى جمعيات ومساعدتها ونشرت المقاومة مقالاً لأحد المهندسين الزراعيين من العاطفين على التنظيم يحذر من خطورة تفتيت الملكية الزراعية على الثروة الحيوانية وإنتاجية الفدان وقد تحقق من ذلك. عارض التنظيم فكر ومشاريع الإخوان المسلمين واصطدم بهم فى المجالات الجماهيرية ومع ذلك رفض الإجراءات القمعية التى قامت بها سلطة يوليو ضدهم وأذكر أن الزميل محمد عضو اللجنة المركزية سجل اعتراضه على أحكام الإعدام التى صدرت بحقهم وهو مفرج عنه فى إحدى دورات اعتقاله وكذلك اعترض الشيوعيون بالسجون على المعاملة الوحشية التى عومل بها الإخوان وطالبوا بوقفها علماً بأن الإخوان المسلمين كانوا طول الوقت فى جانب سلطة السجون فى حالات الاعتداء على الشيوعيين. بناء على تكليف من التنظيم تطوعت بعد تأميم القناة للتدريب على السلاح أنا وعديد من أعضاء التنظيم ولكن السلطة تمشياً مع سياسة معاداة الحركة الجماهيرية لم ترسل أياً من المتطوعين لمناطق الصرع المسلح لقد كان الصراع بين السلطة والاستعمار حول السوق تريده للطبقة التى تمثلها دون أى عائد

للجماهير.

شارك التنظيم فى انتخابات مجلس الأمة سنة ١٩٥٧ بنزول بعض كوادره فى الانتخابات وتأييد بعض العناصر الوطنية وأقام العديد من المؤتمرات وكانت الغلبة للشعارات السياسية، رفض التنظيم مشروعات الأحلاف العسكرية وقام بتعبئة الجماهير ضدها بالمظاهرات والمنشورات والكتابة على الحيطان وبعض الكتابات فى المجلات العلنية فى بعض الجرائد. أيد التنظيم قرارات تمصير الشركات والبنوك الأجنبية ولا أذكر إن كان التأييد يقودنا للمطالبة بحق الجماهير فى عائد هذا التمصير أم لا.

أذكر أن التنظيم كان يعمل فى صفوف حزب الوفد وأنه ساعد على تبلور تيار يسارى داخل الحزب (الطليعة الوفدية) وأن قيادة اليمين داخل الحزب (فؤاد سراج الدين) تنبهت لذلك وقامت بفصل عدد من أعضاء التنظيم من حزب الوفد.

أيد التنظيم وحدة مصر وسوريا واشترط لنجاحها أن تتم فى إطار ديمقراطى ومنح الشعبين حقوق التعبير المختلفة بحرية حتى يتمكن الشعبان من تحقيق مصالحهما وحل أى تناقضات بينهما، وأعتقد أن التنظيم أيد حركة القومية العربية متأثراً بتطلعات الطبقة الحاكمة للسيطرة على الأسواق العربية. أيد التنظيم حكومة النابلسى فى الأردن والثورة العراقية وعارض إنزال القوات الأمريكية فى الأردن. غاب عن قيادة حزب ٨ يناير وكذلك كثير من القواعد ومنهم أنا أن حركة التأميم إنما تتم لصالح البيروقراطية التى تضخمت بفعل التمصير والصناعات التى نشأت برأس مال الدولة الأمر الذى أنعش فكر المنقسمين وكان لمقالات الحزب السوفيتى اليمينية والخارجة عن مبادىء الماركسية اللينية أثر فى زيادة البلبلة.

حالت فكرة أن الحزب الشيوعى السوفيتى هو الحزب القائد وأنه الأكثر علماً ودراية دون تعرض الشيوعيين المصريين له بالنقد والمراجعة وأذكر لصالح طليعة العمال أنها لم تكن معتمدة من الحزب السوفيتى الذى ضرب التجربة السوفيتية.

فور اعتقالى فى يوليو ١٩٥٩ ودخولى سجن مصر انكشفت أمامى صراعات الأصول التاريخية وأصابتنى وأصابت عدداً من الزملاء من أصول مختلفة بدرجات متفاوتة من خيبة الأمل وأذكر أن عدداً ممن كانوا يقودون هذه الصراعات خارج القواعد التنظيمية كان لهم تاريخ نضالى مشرف، لقد كانت هذه الصراعات سبباً فى ضعف عدد من الزملاء وابتعادهم عن

الحزب فيما بعد. في القناطر كانت الصراعات أقل، في الواحات كانت الكرثة لم يكن هناك تنظيم ولم يحترم أحد قواعد التنظيم، الجميع شاركوا بدرجات متفاوتة في الإطاحة بقواعد التنظيم، أبناء طليعة العمال كانوا يمارسون الاتصالات الجانبية ومناقشة أمور التنظيم والسياسة خارج مستوياتهم وشاركت أنا في هذ، لكن أحداً منهم فترة وجوده في الواحات من يوليو سنة ١٩٩٢ إلى أبريل سنة ١٩٦٤ لم يفكر في التمرد أو الانقسام أو تشكيل تنظيمات موازية رغم سخطهم على أعضاء اللجنة المركزية من أصولهم التاريخية خلافاً لما حدث من بعض زملاء الراية، تمردوا وشكلوا تنظيمات خارجة وموازية وعاجموا علناً قيادة الحزب واتبعت قيادة الحزب سياسة تنظيمية خاطئة وتهاونت وساومت ولم تأخذ مواقف حاسمة لردع الخارجين على الحزب، ورأيي أن أعضاء اللجنة المركزية من أصل طليعة العمال مسئولون بحكم أغلبيتهم عن الخراب الذى أصاب الحزب بضعفهم وترددهم، فتصوروا: شيوعيون يناضلون من أجل تطبيق الاشتراكية العلمية يقعون في الأسر وتجرى ضدهم حرب إبادة وتجويع وعرى وحرمان من العلاج، يختلفون على نظام الحياة العامة ويقرون أن تتفاوت مستويات المعيشة بينهم بحجة تشجيع القادرين على تغذية الحياة العامة بالموارد فيرفض هؤلاء الشيوعيون مصادرة الموارد ١٠٠٪. أؤكد أنه لو لم تتم وحدة ٨ يناير على النحو التى تمت به، ويحضرنى أنه كانت التنظيمات تتأكد من أعداد كل تنظيم وأذكر أننا في طليعة العمال جمعنا ١٧ زميلاً أعضاء، في اجتماع واحد ليعدهم مندوب من الراية ومندوب من الموحد، لو لم تتم الوحدة على هذا النحو الخاطىء، وجاءت ضربة يناير لكانت الضربة ستكون أقل بكثير من العدد الذى وقع أسيراً وكانت التنظيمات في الخارج ستكون قادرة على الحركة وربما التنسيق وكانت التنظيمات داخل الأسر كل تنظيم على حدة وستحترم قواعد التنظيم وكان سيتم بينهم تنسيق وبالتالى سيخرج كل تنظيم متماسكاً فيواصل الحياة، لقد كان قرار حل الحزب بعد الخروج من السجون اعتماداً متأخراً لشهادة الوفاة التى حدثت بالواحات نتيجة خوف القيادة من انقسام ثان.

أخطأت قيادة حزب ٨ يناير في مواجهة حملات التعذيب والتصفية الجسدية واختارت عدم المقاومة بحجة إنقاذ الكوادر من الموت وكان الخط الصحيح هو المقاومة والرفض وكان سيموت عدد أكبر بالفعل لكن من سيبقى سيكون مناضلاً حقيقياً.

بقى أن ألخص أسباب وفاة الحزب قبل اعتماد شهادة الوفاة :

١- الخطأ فى إجراءات الوحدة .

٢- عدم توحيد الفكر السياسى لجموع الكادر.

٣- عدم التمسك بالقواعد التنظيمية وميوعة القيادة وضعفها فى مواجهة الأخطاء.

٤- عدم المقاومة فى مواجهة عمليات التعذيب فى المعتقلات.

٥- عدم قدرة القيادة ومجموع الكادر على فهم المتغيرات السريعة المتلاحقة وقرارات التأميم.

٦- عدم قدرة الحزب على نقد الآراء السياسية الصادرة من الحزب السوفيتى .

٧- عدم الوعى الكافى التنظيمى بكيفية بناء حزب حديدى قادر على إسقاط طبقة .

٨-وهم الطريق اللارأسمالى، وهم وحدة كل القوى الوطنية باعتبار أن السلطة قوة وطنية تبنى الاشتراكية .

٩- قدرة الكادر الشيوعى على السيطرة على أى وحدة يدخلها الشيوعيون .

١٠- عزلة الحركة الشيوعية المصرية عن جماهيرها .

فبينما نجح المصريون على امتداد تاريخهم فى تمصير الأفكار الوافدة عليهم حتى الأديان فلقد مصر المصريون المسيحية وكذلك الإسلام، فما بعد عجز الشيوعيون المصريون عن تمصير الماركسية وتقديمها للبسطاء أصحاب المصلحة فيها بطريقة سهلة مبسطة تتفق ووجدانهم وعاداتهم وتقاليدهم.

بقى أن أسجل خطيئة موافقتى على حل الحزب، بعد خروجى من المعتقل بشهور، فى اجتماع حضره عدد من الزملاء، والزميل المركزى فخرى لبيب عرض وجهة نظر المركز فى قرار حل الحزب وكانت تتلخص فى أن الحل سيؤدى إلى دخول الشيوعيين الاتحاد الاشتراكى وإمكانية تحويله والسيطرة عليه وأن هذا سيحول دون تصادم الشيوعيين مع قوى ذات ميول اشتراكية.

وافقت منطلقا من أفكار خاطئة نبعت من ضعف فى فهم النظرية الماركسية اللينينية.

١- أن الحزب مهلهل ولا يصلح للنضال، وأننى بحكم خبرتى فى قيادة الحركة الجماهيرية

وخبرة زملائى ستتمكن من السيطرة على الاتحاد الاشتراكى

٢- غاب عنى أنه لا مبرر على الإطلاق لعدم وجود حزب يمثل الطبقة العاملة وأن دعوى توحيد القوى التقدمية لا تستوجب حل حزب يدافع عن مصالح طبقية موجودة ونامية.

وبعد أن أدركت خطأى وأصبحت الساحة خالية حسب معلوماتى وقتها قررت أن أحافظ على نفسى وأن يكون الحاضر والمستقبل امتداداً للماضى علماً بأننى أضعت وقتاً طويلاً فى محاولة الحصول على عضوية الاتحاد الاشتراكى ولم أحصل عليها واعتقد أننى تمكنت من مواصلة حياتى اليومية والسياسية بلا شوائب تعوق عودتى مرة أخرى للنضال من أجل انتزاع حقوق الشعب المصرى من أيدى الطبقة الأنانية.

شهادة

رزق مكاري إبراهيم

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : رزق مكارى إبرهيم مرقص

محل وتاريخ الميلاد : ولدت فى ٢٠ غسطس ١٩٢١ فى شارع حبيب شلبى فى حارة صغيرة خلف مطبعة وهدان حاليًا - تبع قسم باب الشعرية.

المـــؤهـــلات : حصلت على ثانية ثانوي سنة ١٩٣٤ ثم عملت كصانع، ثم كاتب فى الغورية، ثم فى السينمات بعد الظهر وفى الصباح كنت أعمل فى ورشة فى السبتية. بعد ذلك عملت فى شركة من الشركات التابعة للنقل المشترك وكان عمري حينذاك واحداً وعشرين سنة تقريبًا.

فترات السجن والاعتقال : سُجنت فى يناير ١٩٥٤ وحُكم عليَّ بخمس سنوات أشغال شاقة لأنى كنت متهمًا بإدارة وتأسيس تنظيم شيوعى وخرجت سنة ١٩٥٩ وكان الحكم يتضمن خمس سنوات مراقبة أيضًا. لكن التنظيم طلب منى أن أكسر المراقبة. فهربت وانضمت لخلية فى مصر الجديدة مع مارى بابا دبلو المدرسة فى مدرسة الليسية فى مصر الجديده. وحالياً هى متزوجة من الزميل نيقولا درويش المولود فى اليونان، وهما الاثنان عضوان فى الحزب الشيوعى اليونانى.

وقد قبض عليَّ مرة أخرى فى يوليو ١٩٥٩. ورحلت الي القلعة، ثم إلي الفيوم، ثم إلى الواحات. وأفرج عنى سنة ١٩٦٤.

اعتقلت سنة ١٩٨٠، بتهمة تحريض الجماهير على قلب نظام الحكم وإثارة الجماهير وسب رئيس الجمهورية سبًا علنياً فى ميدان التحرير وظللت سبعة أشهر فى سجن الاستئناف. وكانت هذه الأيام أيام التطبيع بيننا وبين إسرائيل، ومرة أخرى قُبض عليَّ فى الاسماعيلية سنة ١٩٨١، عندما اغتيل السادات، وظللت فى سجن طرة سبعة شهور ونصف.. وخرجت فى إبريل سنة ١٩٨٢.

بيانات عائلية :

عرفت أن الجبرتى ذكر عائلتى، لأن جدى الكبير كان فى أيام محمد على، الذى كان يطلب من الملتزمين نقوداً والفلاحين باعوا جواهر نسائهم، ثم باعوا الماشية ولم يعد لديهم شئ.

فاعتقد محمد على أن الملتزمين هم الذين حرضوا الفلاحين، فأمر بنفى جميع الملتزمين فى

* أجرى الحوار كل من أ. رمسيس لبيب، أ. نجاتى عبد المجيد عضوا لجنة التوثيق.

الصعيد إلى دمياط وكان منهم جدي الكبير. كما أن جدي - أبو والدي - اشترك في ثورة ١٨٨٢ مع عرابي. ووالدي اشترك في ثورة ١٩١٩ وكان يختارني دائما بالذات من بين إخوتي ليخبرني بما فعلوا لأني كنت دائما أشتري الصحف وأحب جداً صحيفة .....لا أتذكر اسمها الآن والتي كان يحررها محمد توفيق دياب.

كيفية تعرفي على الفكر الماركسي

عرفت الفكر الماركسي عن طريق الرفيق يونس بواسطة موعد من أحد زملائي في السينما أحمد شكري اسماعيل الذي حدد موعداً في ساحة سينما تريومف. وهناك قابلت الرفيق يونس، الذي تحدث معي وأعطاني بعض الكتب الخضراء. وكان ذلك سنة ١٩٤١ تقريبًا .وكنت أنا قبل ذلك إرهابيًا على أساس أن الانجليز يحتلون بلدي. وكان المصريون يأتون لنا بأخبار أن الانجليز يقتلون المصريين في داخل المعسكرات، سواء إذا كان ضابطاً أو صف ضابط أو عسكري. فكنا نختار هؤلاء عند السبتية في مكان مظلم عند السكة الحديد. وندخلهم فيه.

وكنت قد أسست هذا التنظيم الأرهابي الذي كان يشترك فيه مثقفون ومسلحون. ولم تكن لنا علاقة بفرق أخرى تشكلت في هذا الوقت.

وعندما انضممت للحركة الشيوعية وطلب مني الرفيق يونس أن أقلع عن الاغتيالات .. قال يمكن أن نحارب عدو بلدنا بشكل آخر.

وأعطاني الكتب الخضراء لأقرأها. كان فيها كتاب عن التطرف، وكتاب عن الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية، وكتاب عن العدوان، وهكذا بدأت رحلتي مع الحركة الشيوعية المصرية، في تنظيم الحركة المصرية سنة ١٩٤١ والتي دخلت بعد ذلك في وحدة مع تنظيم اسكرا، لتنشأ الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني.

وأنا لم أتخل عن الحركة الديمقراطية لأني كنت ضد الانقسامات التي حدثت، مثل «التكتل الثوري» لشهدي عطية. وتنظيمات أخرى مثل النجم الأحمر.

وكنت مع وحدة الشيوعيين. في أي طريق نسير فيه، فلابد من توحد الصفوف.

المؤتمرات التنظيمية أو الكونفرنسات أو مدارس كادر

حضرت مؤتمرا كمندوب عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني لتكوين الاتحاد العام سنة ١٩٤٦.

أما المؤتمرات أو الكونفرنسات داخل التنظيم فإن هذه الأشياء كانت تتم على مستوى ضيق لأنه كان هناك في هذا الوقت ضربات كبيرة مثل الضربة الكبرى التى تمت للحركة الشيوعية فى الفلاحين.

وقد حضرت مدارس كادر سنة ١٩٤٧ فى بيت محمد الحبيب فى شارع المنصورة على سكة حديد حلوان. وكان معى كمال عبد الحليم لإلقاء بعض قصائده وكان معنا أحمد شكرى سالم وكان منظراً .. ومحمد شطا.

كان هنالك أكثر من أربعين شخصاً. وكانت هنالك محاضرات عديدة. محاضرات عن التنظيم ومحاضرات عن تنظيم الاضرابات والمظاهرات وإثارة الجماهير ومحاضرات عن النقابات. وكذلك كانت هنالك محاضرات عن الماركسية اللينينية.

وكان هناك بعض زملاء مصريين أو أجانب يتكلمون العربية يقدمون المحاضرات التى استمرت فترة عيد الأضحى.

الحركة الديمقراطية والطبقة العاملة والفلاحون

كانت لها ارتباطات بالطبقة العاملة، مثل ارتباطات بعمال الغزل والنسيج وبعمال النقل وعمال السكة الحديد وهكذا، لأنه كان هنالك من الأصل ارتباطاتنا بالنقابات العمالية والتى ساعدتنا كثيراً. فعندما تكونُ لاتحاد العالمى للنقابات، أنا جمعت أكثر من ثلاثة آلاف توقيع من جميع العمال نقابيين وغير نقابيين. وكان مندوبنا فى اتحاد النقابات فى فرنسا لبيب مرحوم وسراج أمين.

وكانت للحركة علاقات وطيدة بالفلاحين من سنة ١٩٤٦، وكان لها دور مؤثر أيضاً.

المطبوعات

كان التنظيم يصدر المجلات التنظيمية : الكادر والعامل والعمال داخلية. ونشرات أخرى جماهيرية لا أتذكر أسماءها وقد كتب بعض الزملاء كتبا كثيرة وقد قرأت أنا كتباً كثيرة، حتى أننى ولدت من طينة خاصة وهى الماركسية اللينينية.

مقومات التنظيم

كانت هنالك استراتيجية وتكتيك ولائحة داخلية تنظم العمل الداخلى للأعضاء. وكان التوقيت شيئاً هاماً حتى لا ينتظر أحد الزملاء زميله فيتعرض للقبض عليه.

وكان عدد أعضاء القاهرة فقط سنة ١٩٤٧، ٨٠٠ عضو وكنت دائما إذا حضرت كونفرنسات أو اجتماعات أرى أن الثورة لابد أن تكون مرة واحدة، إنها الثورة الاشتراكية.

المحترفون

كان هناك عدد كبير من المحترفين. وكنت أنا محترفا. إذ فُصلت من عملى فى النقبة. فأعطانى التنظيم نصف احتراف، وأراد أن يعطينى احترافا كاملاً فرفضت. وظللت هكذا حتى سنة ١٩٤٦، حيث انقطع احترافى عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى، وقد رفضت أن أكون محترفا كاملاً لأن عملى وسط العمال أفضل من تحت. وكنت أحصل على سبعة جنيهات ونصف.

التنظيمات الأخرى

بالنسبة للتنظيمات الأخرى غير الحركة الديمقراطيه : كان هناك المصرى والعمال والفلاحين وطليعة العمال.

وكل هذه التنظيمات الأخرى لم أعرفها إلا فى الحبس الأول. لم أكن أعرف أن هناك تنظيمات أخرى، ولم أسمع عنها بالمرة، وبعد وحدة ثمانية يناير وحدوث الانقسام تألمت جداً وعدت لأصلى مرة أخرى . الحركة الديمقراطية طبعاً.

النشاط النقابى

شاركت فى تأسيس نقابة عمال النقل مع زميل كان معنا فى القضية وأخذ إفراج نيابة وهو الزميل فريد ناشد بشاى، سنة ١٩٥٤ . عملية النقابة هذه كانت سنة ١٩٤٩.

العمال لم يكونوا يعملون تحت سقف واحد. كانوا يجلسون على مقاهى فى كل حى من الأحياء. وكل شخص يريد أن يتناقش مع العمال يأتى بهم من المقاهى.نطبع بيانًا صغيراً. وبعد أن نتناقش مع العامل نطلب منه قرشين قيمة هذا البيان ليساهم فى تأسيس النقابة.

وهكذا حتى جمعنا تسعمائة عامل تقريباً من أنحاء القاهرة من المقاهى التي كانت مخصصة لعمال النقل فى السيدة زينب، فى مصر القديمة، فى حلوان، فى المعصرة، فى العباسية، مصر الجديدة، وهكذا تأسست النقابة سنة ١٩٥١.

كما كونت نقابة عمال شركة (النجوم الثلاثة) التى فصلت بسببها. عملت هذه النقابة ضد استغلال رأس المال اليهودى.

كما عملت وسط عمال الترام. وكان عبد العزيز مصطفى من ضمن الأعضاء الذين جندتهم. وأنا في الواحات عرفت أن هناك انتخابات سنة ١٩٥٧. وكان التنظيم مع عضو تنظيمنا الذى هو عبد العزيز مصطفى العامل والتنظيمات الأخري مع عبد العظيم أنيس.. تم نجح عبد العزيز مصطفى ودخل مجلس الشعب.

نشاطات إيجابية أخرى و أعمال جماهيرية

حرب القنال شاركنا فيها ، وكونا العديد من لجان الشباب فى جميع أحياء القاهرة. فى حى العباسية وحى الظاهر وحى الفجالة وباب الشعرية.

وكان الأعضاء الذين أثق فيهم مائة فى المائة أجندهم للتنظيم.

وقد تشكلت لجنة من الطلبة والعمال وكان يرأسها الزميل فؤاد محيى الدين. هذا التنظيم كان يعتبر حزبًا جديدًا للشعب المصرى فوق جميع الأحزاب التى دنست وخانت قضية مصر مع الانجليز، أول حزب ينشأ والشعب التف حوله كان لجنة الطلبة والعمال التى أنشئت سنة ١٩٤٦.

وكان التنظيم هو الذى يوجه هذه اللجنة طبعًا. كان هناك أعضاء ، وكان فؤاد محيى الدين ماركسيًا فى الحركة الديمقرطية للتحرر الوطنى، وكنت أثير الجماهير وأحرضها حتى تشترك فى هذا العمل وكنت أعمل وقتها فى النجوم الثلاثة.

موقف التنظيم من القضية الفلسطينية

قد قال جروميكو فى الجمعية العامة أنا مع قرار التقسيم، رغم أنه أسوأ الحلول ونحن نسير مع الاتحاد السوفيتى مباشرة، كموقف أممى.

دور التنظيم فى النضال المسلح

اشترك التنظيم كله في حركة ١٩٥١ .. اشتركنا فى المؤتمر الذى عقد فى شارع مجلس الأمة عند إلغاء معاهدة ١٩٣٦. يوسف حلمى حضر عن حركة السلام، والعماوى حضر عن

الاخوان المسلمين، وعن الوفد حضر فؤاد سراج الدين، وإبراهيم شكرى حضر عن مصر الفتاة، وكان التنظيم قريبًا من الوفد. وقد عملنا جبهة وطنية مع تنظيم عبد العزيز فهمى.

موقف التنظيم من ثورة يوليو

كان التنظيم مؤيداً لثورة يوليو ... حتى أن هناك أعضاء قياديين وقاعديين فى داخل التنظيم شاركوا فى ثورة يوليو.

ولولا أحداث كفر الدوار لم نكن أبداً لنتخلى عن عبد الناصر. كان تأييداً كاملاً حتى أحداث كفر الدوار، فتعاملنا مع ثورة يوليو بحرص وحذر.

وكان موقف التنظيم مع العمال، لأن العمال ثاروا فى وقت كان إبراهيم عفيفى وابنه هم أصحاب الكلمة. لم يقبض على أحد من الجماعة الكبار هؤلاء. وقد أدان التنظيم إعدام خميس والبقرى إدانة تامة. وكانت ثورة يوليو، كما يراها التنظيم تمثل مصالح الطبقة الوسطى. وكان دخول الاتحاد القومى بمثابة حالات فردية. لم تكن دعوة للاشتراك فيه.

بالنسبة لهبة مارس

كان التنظيم مع خالد محيى الدين ومحمد نجيب، وقد صدرت منشورات بذلك.

وكان التنظيم ضد الأحلاف العسكرية بجميع أشكالها. ومع الوحدة التى تتم بإرادة الشعوب.

الموقف من التأميم

كان موقف التنظيم هو التأييد مع الحذر. وقد أحدث التأميم تغييرا جعل البلد فى الطريق للاشتراكية. إنه إجراء بورجوازية متقدمة فى طريق النمو اللارأسمالى.

كان التنظيم يقول إن هناك مجموعة اشتراكية فى السلطة متمثلة فى عبد الناصر وآخرين، أما كلامنا الحقيقى فضد هذه المسائل كلها. كيف تكون هناك اشتراكية وهو يضعنا فى السجن؟

كان موقف التنظيم من الثورة الصينية أو من أحداث المجر سنة ١٩٥٦ مثل موقف الاتحاد السوفيتى.

الاتحاد السوفيتى كان عندنا مثل الكعبة.

حل الحزب الشيوعى

حلوا الحزب الشيوعى فى مصر عى صفحات الجرائد القومية. حلفت يمينا ألا أتبع أى أحد فيهم فى يوم من الأيام لأن هؤلاء خائنون. الذين حلوا الحزب خونة فى رأيى. حتى خرجوا وعادوا إلى تنظيمات أخرى. أنا ضد هذا. حل الحزب خطأ جسيم جداً. مثل جورباتشوف.

ولم يأخذ رأيى أحد. كانت صدمة بالنسبة لى. ولم أحضر اجتماعات أو كونفرنسات أو أى شئ من هذا القبيل. عرفت بالحل من الجريدة القومية الأهرام.

وسبب الحل فى رأيى أن عبد الناصر قال لهم إذا كنتم تريدون دخول الاتحاد الاشتراكى لابد أن تحلوا الحزب وأعتقد أن النية كانت مبيتة. كان هنالك اتجاه للحل، حتى أن الذى خرج، ذهب للاتحاد الاشتراكى. وكمال عبد الحليم جاء كمندوب من الاتحاد الاشتراكى لنا فى الواحات. وأصدر بيانات. وبعد أن نصل. بدأ يقع هكذا. إلى أن خرجنا. خرجنا بعدها بشهر فوجئنا بالحل. وبعد الحل لم أرتبط بأى تنظيم.

أسباب الانقسام

كان ينقصنا التخطيط الماركسى السليم بدراسة الواقع المصرى دراسة كاملة. وهو حتى اليوم لم يدرس .. العادات والتقاليد الموجودة، عند الشعب المصرى ليست موجودة فى أى مكان.

شهادة

رشاد الملاح

البيانات الشخصية

الاســــــــــــم : رشاد الملاح

محل وتاريخ الميلاد : مارس ١٩٣١ فى شربين/ من أعمال المنصورة/ الدقهلية

المــــؤهـــــلات : خلال عملى ماكنجى أحذية حصلت على الشهادة الابتدائية القديمة (نظام المنازل) ثم حصلت على بعد ذلك على شهادة الاعدادية ثم الثانوية العامة، وبعد انتهاء فترة اعتقالى عام ١٩٦٤، دخلت كلية الآداب جامعة القاهرة ووصلت حتى السنة الثالثة بقسم التاريخ إلا أن ظروفاً خاصة حالت دون إستكمال دراستى الجامعية.

المهنة : مصمم لموديلات الأحذية.

الحالة الاجتماعية : متزوج ولى ثلاثة أبناء أحدهم فى طب أسنان القاهرة بالسنة الثالثة، والثانية خريجة كلية العلوم - قسم الكيمياء - والثالثة طالبة فى السنة الثانية بكلية الحقوق.

السن وقف الانضمام للحركة الشيوعية

إنضممت للحركة الشيوعية المصرية وأنا سنى حوالى ١٩ أو ٢٠ عام أى فى عام ١٩ أو١٩٥٣ وذلك قبل حركة الجيش.

فترات السجن والاعتقال

١- دخلت سجن مصر عام ١٩٥٣ فى بداية حركة الجيش وظللت فترة على ذمة قضية لكن حصلت على البراءة لعدم ثبوت أى شىء ضدى.

٢- من ١٩٥٤ وحتى ١٩٥٦ وهى كلها اعتقال نى أبى زعبل ثم القلعة ثم نقلت إلى سجن أسيوط ثم العودة مرة أخرى إلى سجن أبى زعبل، حيث ظللت فيه أكثر من عشرين شهراً. وكانت أسباب اعتقالى هى هبة مارس ١٩٥٤ والتى طالبت بالديمقراطية.

٣- من ١٩٥٩ وحتى ١٩٦٤ بداية من حملة الاعتقالات الشهيرة للشيوعيين المصريين فى عهد عبد الناصر حيث اعتقلت فى أبى زعبل حيث التعذيب المعروف ثم نقلت إلى معتقل الفيوم ثم إلى الواحات حتى عام ١٩٦٤.

* أجرى الحوار أ. محمود مدحت - عضو لجنة التوثيق.

كيفية التعرف على الفكر الماركسي والحركة الشيوعية

قبل حركة الجيش بسنة تقريباً، وقد كنت معتاداً على الذهاب إلى النقابة وهناك التقيت بزملاء ماركسيين، كانوا يعملون فى حركة السلام وأعضاء في اتحاد عمال الأحذية (كان هناك اتحاد عام لعمال الأحذية) وأيضاً نقابة محلية فى القاهرة.

أنا شعرت أن هذا الفكر مفيد للإنسان وللبشرية، فاشتركت فى لجنة السلام ثم بعد ذلك (فى نفس الفترة) انخرطت فى منظمة "النجم الأحمر"، وبدأت أكثف نشاطى النقابى حيث كنا والمجموعة التى تعرفت عليها نعقد حلقات ثقافية للعمال. ثم تكونت لجنة اقتصادية تقوم بدراسة أحوال العمال الأعضاء فى النقابة وتدرس حالتهم. وممكن تبحث لهم عن عمل فى أى من مصانع الاحذية، وكانت هذه اللجنة تضم ماركسيين ووطنيين آخرين، كذلك كان عمل لجنة السلام مستمراً. وقد أصدرنا كذلك مجلة لتعليمهم القراءة والكتابة، وأقمنا مكتبة وشكلنا فريقاً رياضياً وانضم إلينا طبيب للكشف على العمال أعضاء النقابة وعلاجهم. فضلاً عن كثير من الأعمال الأخرى مثل تكليف محام للدفاع عن العمال فى القضايا العمالية.

كما استطعنا أن نوفر للعمال العاطلين أجراً رمزية من خلال اشتراكاتنا حتى يتمكنوا من تلبية احتياجات أسرهم. هذا العمل الانسانى والنقابى هو الذى شدنى لهذه المجموعة التى أتاحت لى الاطلاع على الفكر الاشتراكى وحقوق العمال والطبقة العاملة فى مصر والعالم كله.

ممارساتى قبل التعرف على الفكر الاشتراكى

كان عملى فى البداية نقابياً فقط كما أوضحت، وكنت أساهم فى العمل النقابى بقدر معلوماتى البسيطة والمساهمة فى حل مشكلة القراءة والكتابة وعملنا سبورة وفصلاً للتدريس للعمال ولم أنضم ولم أشترك فى أى حزب سياسى قبل ذلك.

التنظيم الذى ارتبطت به وكيفية ارتباطى به

التنظيم كان "النجم الأحمر" وعرفت من خلاله أن هناك تاريخاً للحركة الشيوعية المصرية وعرفت أيضاً أن هناك تيارات تدعو للطبقة العاملة، ومن خلال هذا التنظيم عرفت أن حكم الطبقة العاملة هو الوحيد العادل وعرفت طبعاً النظرية، ودرست الأجور ومعنى فائض القيمة وما هو الاقتصاد السياسى، وأشياء أخرى كثيرة عرفت منها أنه لا توجد وسيلة لمنع استغلال الإنسان لأخية الإنسان غير أن تكون الطبقة فى الحكم.

تنظيم النجم الأحمر وكيفية نشأته

أعرف أن النجم الأحمر تنظيم منشق عن تنظيمات أخرى كانت موجودة في مصر، تدعو للحركة الوطنية فقط، والمؤسسون للنجم الأحمر درسوا الماركسية وعرفوا أن المسألة ليست معركة وطنية فقط ولكن معركة اجتماعية تنمو فيها الطبقة العاملة وتعى دورها، ومن ثمَّ تتمكن من حكم البلاد. غير أن التنظيمات الأخرى لم تقل بذلك، وخلال فترة عملى النقابى اطلعت على هذه الأفكار مكتوبة، ومناقشات مكتوبة أيضاً من التنظيمات الأخرى، وشعرت بحكم تكويني كعامل أن الأفكار الأخرى لا تجذبني وأن اتجاه النجم الأحمر كان أكثر ثورية وأكثر جدية وأنه اتجاه أصيل. لم يحدث أي انقسام في النجم الأحمر.

الحياة السياسية داخل التنظيم

دائماً كان يتبع الاسلوب السليم، أسلوب المناقشات وأسلوب الانتخابات وكان يتبع أسلوبًا ديمقراطيًا ورغم أن العمل كان سرياً فلم يأت أى مسئول بالتعيين. وأنا لا أتذكر إن كان قد عقد مؤتمراً أم مؤتمرين، لأنى كنت حديثًا بالنسبة لهم كما أننى دخلت السجن على فترات متقاربة، أما بالنسبة للعضوية فكان يدقق فى الاختيار.

ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة

أغلبية التنظيم كان طبقة عاملة، والأقلية كانوا من المثقفين، وكانت القيادة فى التنظيم منتبهة إلى هذه النقطة، وكان يقال لنا إن العمال هم أكثر ضماناً من المثقف فى النضال وأن المثقفين هم عقل الطبقة العاملة وهم يقومون برسالة كبيرة، لكن القيادة لابد أن تكون للطبقة العاملة.

النضالات النقابية التى خاضها التنظيم وشاركت فيها

كثير من المعارك والمعركة الاساسية كانت معركة الديمقراطية فى مارس ١٩٥٤ وقامت النقابة التى كنت أعمل بها ومن خلالها بعمل لافتات، وكنت أنا والزملاء قادة للمظاهرات، ونزلنا بها للقاهرة، وكانت تطالب هذه مارس أن تمضى إلى الديمقراطية لولا مؤامرة (الصاوى) واستمر الحكم العسكرى الديكتاتورى

موقعى التنظيمى فى النجم الأحمر

فى فترة من الفترات كنت عضواً قاعدياً ثم تدرجت إلى عضو منطقة، وكان المتبع فى النجم الأحمر أن يمر العضو بفترة اختبار ليتضح مدى نشاطه وإخلاصه وينتظم فى دفع الاشتراك، وبناء على أدائه التنظيمى والسياسى، كان يصعد إلى مستويات أعلى تتفق مهامها مع خبرته وإمكانياته وقدرته على العمل.

موقفى من الاحتراف

كان فى النجم اثنان محترفان فقط، وكانا يحصلان على أجر لا يكفى لإطعام طفل، وكان وضعهما قاسياً، وقد كانا بالنسبة لى وللزملا، مثلاً للتضحية والتفانى، وكانت علاقتنا بهما طيبة.

موقف «النجم الأحمر» من التنظيمات الأخرى ومن الوحدة

النجم الأحمر نشأ على أسس ومبادىء لينينية ومبادىء شيوعية بمعنى الكلمة وكان يرفض التنظيمات الأخرى التى تكثف كل جهدها فقط أو تتكلم فقط عن الديمقراطية أو الوطنية وكان يقف ضد من يقول إن حركة الجيش ثورة أو إنها قادرة على إقامة الاشتراكية، لكن التنظيمات التى تراجعت عن هذه المفاهيم الخاطئة وأدركت الخط الصحيح كنا نتعاون معها مثل منظمة نواة الحزب الشيوعى المصرى التى كان يقودها المرحوم / فوزى جرجس وكان هناك (نحشم) نحو حزب شيوعى مصرى كذلك طليعة العمال وط.ش ودش والعمال والفلاحين وفى الحقيقة طليعة العمال كانت أقرب التنظيمات إلينا من التنظيم الذى يقول "خط القوات الوطنية"، يعنى لا يوجد نضال بخصوص الطبقة العاملة من أجل مصالحها، يعنى لايوجد فكر ولا كلام عن سلطة العمال والاشتراكية.

موقف التنظيم وموقفى من تكوين الحزب الشيوعى المصرى (الموحد)

أنا كنت فى المعتقل فى عام ١٩٥٥ عندما تكون الحزب الموحد، وعموماً أنا سمعت أنه تكون من فوق، يعنى مركزين مع مركزين، لكننا رأينا أن يكون هناك شكل ديمقراطى داخل

التنظيم، ومن هنا رفض بعض الزملاء الدخول، وحتى وحدة ١٩٥٨ رأينا أن تكون الوحدة على أساس فكرى وأيديولوجي سليم، وعلى هذا خرجت عناصر من "تحشم" والنجم الأحمر ووحدة الشيوعيين وأسسوا (و.ش) منظمة وحدة الشيوعيين.

انقسامات أعقبت وحدة ٨ يناير ١٩٥٨

كان هناك انقسامات وخاصة بعد أن ظهرت مقولات "الحكومة الوطنية"، "المجموعة الاشتراكية" وعموماً الناس التى قالت وطنية واشتراكية هى التى حلت الحزب بعد ذلك فى سنة ١٩٦٥.

حل الحزب

كل التيارات كانت تتجه نحو سياسة عبد الناصر، وبصراحة الناس التى حلت كانت لها اتصالات وعلاقات عمل، يعنى منهم ناس تم تعيينهم وزراء وفى الصحافة، فالعملية ليست تحللاً إنما هم من البداية كانوا (سائرين) فى اتجاه الحل.

رفض وجود الأجانب أو اليهود داخل التنظيم

النجم والنواة، كانوا يحاربون اليهود فى التنظيم مهما كانوا مخلصين وكانوا يرفضون أيضا الأجانب.

تأييد التنظيم لحركة التحرر فى العالم

كان يوجد نشاط مستمر وكان فيه تأييد لحركة التحرر فى أى مكان فى العالم وكنا نكتب شعارات على الحيطان لتأييد الاعتراف بالصين الشعبية والوقوف مع الشعب الكورى وضد الاحلاف العسكرية.

موقف التنظيم وموقفى من الاحتلال الانجليزى :

التنظيم أساساً نشأ على أن التحرر الوطنى من الاستعمار ضرورة أساسية حتى نبنى الاشتراكية وكذلك نشأنا على فكرة الكفاح المسلح وكنا رافضين فكرة التفاوض.

المشاركة فى الكفاح المسلح

أنا شخصيا كنت على رأس مجموعة ذهبت للإسماعيلية أثناء العدوان الثلاثى، لكن قبل ذلك لم تكن هناك مشاركة؛ فالتنظيم كان فى سبيل التكوين سنة ١٩٥١ لكن بعد خروجى من المعتقل فى ١٩٥٦ ذهبت كما قلت سابقاً وتدربنا على جميع أنواع السلاح.

انتفاضة سنة ١٩٤٦

لم يكن تنظيمنا موجوداً فى عام ١٩٤٦ لكن أنا عرفت ١٩٤٦ ودرسته أيضاً كتاريخ.

موقف التنظيم وموقفى من القضية الفلسطينية

نحن دائما كنا بجانب الشعب الفلسطينى وضد الصهيونية لأن دورها هو استغلال المنطقة لصالح الأمريكان وكنا نقول : إن إسرائيل هى معسكر أمريكى فى الشرق الأوسط.

موقف التنظيم من الأحزاب السياسية وقياداتها قبل ١٩٥٢

كان موقفنا معاديًا باستمرار للإخوان المسلمين وكشف سياستهم فى التستر خلف الدين وقالت عليهم مجلتنا (النجم الأحمر): إنهم على علاقة بالأمريكان.

موقف التنظيم وموقفى من حركة أنصار السلام

كنا مشتركين فى حركة السلام كما قلت سابقًا، يعنى بعض الزملاء الذين يعملون فى عمل جماهيرى كانوا أعضاء فى حركة السلام، أما الزملاء غير العلنيين فلم ينضم أحد منهم إلى منظمة أنصار السلام.

موقف التنظيم وموقفى من تنظيمات يوليو

التنظيم منذ اليوم الأول يهاجم الانقلاب العسكرى ولم يدخل أحد من أعضائه فى أىٍ من تنظيماته سواء هيئة التحرير أو الاتحاد القومى أو الاتحاد الاشتراكى، لكن استمرينا فى العمل النقابى.

موقفى - بعد حل التنظيم - من الاتحاد الاشتراكى

بعض الأفراد دخلوا، لكن أنا شخصيا لم أدخل ورفضت الاتحاد الاشتراكى لأنه لا يمثلنى.

موقف التنظيم وموقفى من الإصلاح الزراعى

التنظيم كان له رأى فى المسألة الزراعية والفلاحية، وسبق أن قلته قبل ذلك، وأن قانون الاصلاح الزراعى ما هو إلا حل توفيقى ومفيد فقط للرأسماليين لأن الغرض من الإصلاح الزراعى فتح السوق فى الريف أمام الرأسمالية المصرية لتنتعش ونتج عنه تفتيت الملكية الزراعية ولم يستطع هذا القانون تطوير أحوال الفلاحين أو الزراعة كما ترى.

موقف التنظيم وموقفى من أحداث كفر الدوار فى أغسطس / سبتمبر ١٩٥٢

قلنا إنها مذبحة ضد الطبقة العاملة وأنا قلت قبل ذلك إن سكرتير التنظيم أصدر كتاباً يطالب فيه بإعادة محاكمة خميس والبقرى وعمال كفر الدوار.

موقف التنظيم وموقفى من الاحكام ضد الإخوان المسلمين والمحاكمات الصورية

نحن كنا معتقلين أيضاً، كما أننى كنت أتنقل من أبى زعبل لأسيوط، الخ، لكن عموما لا يوافق أحد على المحاكمات الصورية والاحكام العسكرية، لقد كنا نطالب بعودة الجيش للثكنات وإعادة الدستور والحياة النيابية.

الموقف من باندونج وصفقة الاسلحة التشيكية

نحن رحبنا بباندونج وصفقة الأسلحة، لأن هذا يجعلنا نرتبط بالمعسكر الاشتراكى، وكل الشعوب المحبة للسلام حتى لمجرد أن تنعزل عن الاستعمار فهذا مكسب كبير فى حد ذاته لحركة السلام وللحركة الديمقراطية فى مصر والعالم.

الموقف من تاميم قناة السويس والعدوان الثلاثى

كنا ضد العدوان ومع تأميم القناة وكما قلت سابقاً إننى خرجت من المعتقل، وحملنا السلاح أنا وزملائى وذهبنا للإسماعيلية وكنا قبل جمال عبد الناصر نكافح الاستعمار الأنجلو أمريكى وعندما جاءت خطوة التأميم أيدناها لأن من غير المعقول أن نقف ضدها، لأن التخلص من الاستعمار الأجنبى ضرورة لتحقيق الاشتراكية.

الموقف من الدستور وانتخابات مجلس الأمة عام ١٩٥٧

هناك قضايا حتى الآن لم تحل وهى قضية العزل السياسى، ولم نستطع وقتها أن نرشح أحداً من التنظيم، وطبعاً الذين نزلوا من منظمات أخرى حاربهم النظام ولم يدخلوا مجلس الأمة، كما أن الدستور كان يعبر عن أوضاع طبقية وينصر الرأسماليين.

الموقف من المشاريع الاستعمارية في الخمسينيات

كانت تصدر من عندنا بيانات ضد هذه المشروعات الاستعمارية وكنا نكتب على الجدران حتى يزيد وعى الناس وكنا ننشر ذلك فى المجلة ونكتبه على الجدران ونعلن أن حلف بغداد وخلافه هدفه ربط بلادنا بعجلة الاستعمار.

الموقف من حركة التمصير والتأميم ٥٦ / ١٩٥٧

أنا رأيى أن هذا لم يكن تأميماً إنما كان "تدويلا" بمعنى أن دولة البرجوازية كانت هى التى تلك الشركات المؤممة وليست الأمة أو الشعب ونحن كنا نقول للناس لا تنبهروا كثيراً فالشعب لن يحصل على شيء والحكومة ستحصل على كل شيء ولن يستفيد الشعب شيئاً.

الموقف من المد القومي العربى أعوام ٥٧ / ١٩٥٨

بشكل عام أنا لا أكافح من أجل تأييد حكام رأسماليين أو حكام يجلدون الشعوب أو يحرمونها من حقها، وأنا عموماً أعتبر هذا شيئا لا أتدخل فيه، لكن أنا والتنظيم الذى كنت عضواً فيه مع حق الشعوب فى تقرير مصيرها واختيار حكامها الذين يحققون مصالحها.

الموقف من سياسات الاتحاد السوفيتي

منذ أن جاء خروتشوف، بدأت أشعر كعامل وليس كرجل مثقف وبإحساسى الطبقى أن هناك انحرافات موجودة داخل الاتحاد السوفيتى، لأنى بدأت أسمع كلامًا عن أن الاشتراكية ممكن تنجز بالطرق السلمية، وهذا الكلام لم أعرفه أبداً فى الماركسية، نحن تعلمنا أن الاستعمار عدوانى بطبيعته، وأنه عندما نحمل السلاح للاستيلاء على السلطة، تكون هذه العملية مفروضة علينا وإنه إذا وصلت الطبقة العاملة إلى السلطة والحكم بدون إراقة دماء،

فهذا هو جوهر الثورة، وليس ضرورياً أن تكون هناك دماء، هذا هو ما قيل لنا وأنا قرأته واقتنعت به، وهناك كتاب (صينى) يقول إن الثورة ممكن تحدث دون هبة مسلحة، لكن كلام خروتشوف كان غير ذلك، كان يقول إن الاشتراكية يمكن أن تزود بالرأسمالية، أفكار كثيرة بدأت تطرح، شعرت منها أن هناك بداية انحراف، وكان بعض الزملاء يعترضون على رأيى هذا لكن الأحداث أثبتت فيما بعد صحة إحساسى.

الموقف من الصراعات والنضالات داخل المعتقلات :

توجد مسألتان.. الأولى داخلية خاصة بالمعتقل والثانية خاصة بالوطنية أو السياسة... بالنسبة للمسألة الداخلية .. أنا شاركت فى إضرابين كبيرين استمر كل واحد منهما حوالى ٢١ يومًا واستطعنا أن نحقق مكاسب من خلالهما، الإضراب الأول كان فى أبى زعبل ورغم الضرب والإصابات والجروح خاصة عندما جاء قائد اسمه "همت" وقام وجنوده بما يشبه المذبحة، إلا أننا حققنا مكاسب.

الاضراب الثانى كان فى الواحات وأنا فى هذه المواقف كنت أريد أن أحافظ على الشيوعيين حتى يتم الإفراج عنهم.

أما الشق الثانى وهو المواقف السياسية فأنا لم أشترك فى أى مواقف سياسية ولم أوقع على أى بيان صدر فى المعتقل لأن المواقف السياسية والبيانات التى كانت تصدر فى السجن كانت كلها بيانات تأييد لعبد الناصر فى أى شئ يعمله، فى كل كبيرة وصغيرة يرسلون له برقية تأييد لدرجة أن أحد المعتقلين هتف وقال "سيظل عبد الناصر قائداً لنا وزعيماً لنا رغم أنف الاستعمار وعملاء الاستعمار "تصورْ..!! ماذا يعنى هذا الكلام؟!.. عبد الناصر قائد دولة نعم لكن عبد الناصر قائد للشيوعيين لا.... وليس معنى ذلك أنى مغلق فقد سبق لى التطوع فى المقاومة الشعبية عام ١٩٥٦ وحملت السلاح أنا ورفاق آخرون ضد الاستعمار والعدوان، والفلاحون الذين كنا وسطهم، ومندوبو الحكومة، كانوا يقولون لنا نحن نعرف أنكم وطنيون وتدافعون عن البلد، وعندما كانوا يضغطون علينا فى أبى زعبل حتى نهتف بحياة عبد الناصر، أنا وآخرون لم نكن نهتف وكنا نتعرض لضرب شديد، الحقيقة أنا لم أشترك فى مواقف سياسية من هذا النوع فى المعتقل لأنها تأييد دائم وذيلية دائمة.

لكن في الحقيقة لا يمكن أن أعيش وحدي منعزلاً عن الناس، إنما كل شيء كنت مقتنعًا به كنت أتعاون معهم فيه، كنت تعاون مثلاً ونحن في الواحات في أدق العمليات التي يمكن أن توكل لأي شخص من زملائهم، وكانوا يوكلون إليّ تلك الأعمال على أساس الثقة- أشياء سرية جداً كنت أعمل معهم فيها، كذلك الحفاظ على الكتب الماركسية والمكتبة السرية ولم يضع مني شيء على الإطلاق وأعتقد أن هذا راجع للتدريب الذي تدربت عليه في النجم الأحمر.

لكن في عام ١٩٦٤ وعندما بدأ الحديث عن الإفراجات، لاحظت أن هناك اتصالات بين قيادة الحزب والحكومة وتسربت معلومات أنهم اتفقوا على حل الحزب وكان - الله يرحمه- شتله يقول لي : خسارة أنك لاتتعاون معنا، فرددت عليه : إذا لم تحلوا الحزب سوف أتعاون معكم، ونفى شتله هذا الكلام، وفعلاً بعد الخروج بدأت أتعامل معهم في الخارج، وكنت أنا وهو والمرحوم منصور زكي على موعد، غير أنه لم يحضر، وعرفت بعد ذلك أن الحزب قد تمّ حله، وطبعاً الذين اتفقوا مع الحكومة منهم من ذهب إلى الأهرام ومنهم من أصبح وزيراً، وهكذا .. ورغم ذلك فكثير من الزملاء رفضوا حل الحزب وكنت أتعاون معهم.

أبرز الرموز التي قابلتها

أما عن أبرز من قابلتهم فكان شعبان حافظ، وكنت معه في الواحات وهو رجل مناضل شيوعي أصيل وعامل نسيج ميكانيكي، وأنا لا أستطيع أن أقول تاريخه في كلمتين، فيه ناس جلست معه هناك وأخذت معلومات، وأعرف أنه كان مجال عمله ميكانيكي في الاسكندرية لأنه من هناك. هذا الرجل أرادوا أن يرحلوه لكبر سنه، فنزل مصر، وعندما طلبوا منه في الماضي أن يوقع على استنكار رفض وقالوا له: ستموت هناك فقال لهم: أشرف لي، وعاد فعلاً للواحات ومات هناك وأقيمت له جنازة عظيمة داخل السجن واعتقد أن هذه خاتمة عظيمة جداً لرجل مناضل منذ عام ١٩٢٤ .

حركة الانقسامات في تنظيمات الحركة الشيوعية المصرية

أنا أرى أن حركة الانقسامات هذه نابعة من أنه لا يوجد وضوح بالنسبة للكادر هذا أولاً، وثانياً الحركة الشيوعية كان فيها بهو، وكانوا يوجهون هذه الانقسامات، وبدأت هذه الانقسامات مع ظهور ما يسمى بخط القوات الوطنية الذي قالت به حدتو ولأن هذا الكلام

ليس مصريا ولاماركسيا فإن هناك أناسا انفصلت عن هذا التنظيم وكان منها النجم الأحمر، الحقيقة أنا لا أدخل حزبًا وطنيًا أو جمعية خيرية. لا. أنا أدخل حزبًا اشتراكيًا. والانقسام كان مبنيًا على رؤى سياسية ضد الأفكار اليمينية، ولذلك لا ينبغى تسميته انقساماً ولكنه الفرز إلى يمين ويسار، وأنا لم أر خلافاً شخصيا، فحتى عندما حدث انقسام فى الموحد تم تأسيس وحدة الشيوعيين التى هى الطليعة والتى كان فيها فوزى جرجس والماسترلى وإبراهيم فتحى، كذلك عندما كانوا يقولون حكومة وطنية كانوا بذلك يريدون ويحاولون إبعادنا عن الماركسية.

أسباب أزمة الحركة الشيوعية

أرجوا ألا يغضب منى المثقفون، المثقفون هم عنصر هذه الأزمة لأنهم - وهذا واضح - السبب فى حل الحزب وواضح فى الاتجاهات السياسية فهى قد بعدت عن الاشتراكية وكان المثقفون هم قيادة تلك الاتجاهات، وحتى فى المستويات العليا، كانت الطبقة العاملة فيها قليلة العدد وأصواتهم لا قيمة لها... والأزمة تحل عندما تكون الطبقة العاملة هى التى فى القيادة وهذا درس ينبغى أن تعيه الحركة الشيوعية. طبعاً هناك عوامل أخرى مثل الاضطهاد والمطاردة والتعذيب والظروف الاجتماعية التى تغيرت والتحطيم الذى تم .. مناضلو الحركة الشيوعية فى مجموعهم ذاقوا المر، تبهدلوا، والمثقفون أكملوا على الموضوع.

اجراءات يوليو ١٩٦١ لم يكن لها دور فى تفاقم الأزمة

لا إجراءات يوليو ولا غيرها كان يستطيع عمل أزمة فى الحركة الشيوعية طالما كان هناك حزب قوى شيوعى حقيقى وموجود فى وسط الطبقة العاملة والفلاحين، لكن الأزمة الأساسية أنه لم يكن هناك هذا الحزب القوى على الساحة والمرتبط بأصحاب المصلحة الحقيقية.

الشيوعيون الذين أدوا أدوراً نضالية فى الحركة

كل الناس بشكل عام قدموا تضحيات، حتى الناس الذين كانوا فى الاتجاه اليمينى أيضاً قدموا تضحيات، لكن هناك زملاء يمثلون قيماً ومثلاً رفيعة فى النضال، وليس من المعقول أن أستطيع وحدى تذكر تاريخهم المجيد مثل عدلى جرجس وفوزى جرجس فهؤلاء على قمة العناصر، كانوا فعلاً قادة بمعنى الكلمة وقدموا أفكاراً وربوا أناسًا والحركة الشيوعية بشكل

عام تحترمهم لمجهوداتهم الثورية... حتى شهدى عطية الشافعى الذى ذهب ضحية النظام الذى كان يؤيده، إنما العناصر التى أحكى عنها مثل سعد لبكار من القاهرة وأحمد البكار من الإسكندرية وكثيرون آخرون ماتوا بعد خروجهم من المعتقل مباشرة نتيجة لما جرى لهم من تعذيب. كانوا عناصر لها دور فى الحركة الشيوعية وكانوا أناساً مناضلين وكانوا ثوريين وكانوا يحملون الفكر الماركسى بمعنى الكلمة، وكانوا يؤمنون بالطبقة العاملة رغم أنهم مثقفون.. هناك ناس كثيرون مثل سيد أمين من العمال ومحمود العسكرى من شبرا الخيمة.. ناس كثيرة لهم قيمتهم وحياتهم التى ضحوا بها فى الحركة الاشتراكية.

الشهادات التى سبق أن أدليت بها

لقد أدليت بشهادات فى قضايا التعذيب وقدمت أكثر من خمسين شهادة فى المحكمة وهذه أول مرة أقدم فيها هذه الشهادة.

ومن أجل مزيد من التفاصيل اقترح أخذ شهادة

بعض العناصر العمالية مثل نجاتى عبد المجيد وسيد عبد الوهاب ندا، من الممكن أن يكونوا حجة قوية لأنهم من العمال وممكن حتى لو اختلفوا معى فى الرأى، إنما هم رجال معتدلون ويحبون الحق ويضعون كل شىء فى مكانه، أما عن المثقفين فليس فى ذهنى أحد الآن، ناس كثيرة ماتت ونحن نقول هناك أزمة والعملية حدث فيها فوضى.

هذه شهادتى وأوافق على نشرها.

شهادة

رمسيس لبيب

البيانات الشخصية

الاســـــــم : رمسيس لبيب غبريال

محل وتاريخ الميلاد : ٤ أغسطس سنة ١٩٣٨ بغيط العنب بقسم كرموز بالإسكندرية.

المـــؤهـــلات : ليسانس الحقوق عام ١٩٦٠.

والعمل بالمحاماة عدة شهور ثم العمل باحثًا بالجهاز المركزى للمحاسبات (ديوان المحاسبة) ثم محققًا بشركة الإسكندرية للمجمعات الاستهلاكية بعد الإفراج عنى بعام بسبب رفض اعادتى إلى عملى بالجهاز، ثم العودة للعمل بالجهار اعتباراً من مايو عام ١٩٦٨.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ١٨ عامًا وأربعة شهور.

فترة السجن أو الاعتقال : الحبس على ذمة لقضية رقم ٣٠٩٥ لسنة ٦٢ أمن الدولة اعتباراً من ١٢/١٠ سنة ١٩٦٢ وصدور الحكم بالسجن خمس سنوات ثم الإفراج عنى ١١/٧ سنة ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

كان والدى مقاولاً صغيراً لأعمال البناء، وكان يجبرنى على العمل فى الإجازات الدراسية مع عماله من الفعلة والبنائين والنجارين. ومن خلال عملى ومعايشتى لعمال أبى أدركت استغلال أبى لهم فانحزت إليهم، وكنت أدافع عنهم فى مواجهة أبى، ثم عرفت الطريق إلى القراءة فى نحو الثالثة عشرة عن طريق شاب كان يسكن بيتنا وكان يعمل كواء وكان صعلوكًا وسكيراً. وعن طريقه تعرفت على الأدب الروسى وخاصة كتابات مكسيم جوركى، ومن خلال الأدب الروسى وكتابات سلامة موسى وخالد محمد خالد اقتربت من الاشتراكية، وفى نحو السادسة عشرة قرأت كتابًا عن كارل ماركس لا أذكر إسم مؤلفه أو مترجمه فأعجبت بالماركسية مع بعض التحفظات والتساؤلات.

وكان لإثنين من أساتذتى فى دراستى الثانوية تأثير خاص، الأول مدرس الفلسفة فى السنة الثانية الثانوية، وقد علمنى بالإيجاب وبالسلب التمسك بالعقيدة والمبدأ، بالإيجاب وذلك عبر دروسه وأحاديثه الخاصة إذ كان يخصنى بشئ من اهتمامه، وعندما فصلت من المدرسة لجاهرتى برأى مضاد للعقيدة الدينية والتقيت به فى الخارج شد على يدى بطريقة لا أنساها حتى الآن، وقال،

- التمسك بالمبدأ.

وعلمني بالسلب. فقد قبض عليه واختفى شهوراً عام ١٩٥٥ وعاد محطماً يتجسد اليأس في ملامح وجهه وشفته الممدودة دائما في تبرم وإهماله لعمله وصمته شبه الدائم دون أن يفصح لي برغم إلحاحي بشئ عما حدث له، وإن كنت قد أدركت وقتها أنه تعرض للتعذيب فتخلى عن عقيدته، ولابد أن طريقته وهيئته بعد الإفراج عنه بقدر ما أشعرتني بخيبة الأمل قد نفرتني من تخلي الإنسان عن عقيدته.

والثاني، الأستاذ فاضل زكي مدرس اللغة الفرنسية في السنة النهائية بالدراسة الثانوية والذي أثر فيَّ بأحاديثه المتفرقة عن الاشتراكية وقد أخبرني- وكان على وشك الإحالة للمعاش- أنه كان عضوا بالحزب الشيوعي الفرنسي في أثناء دراسته بفرنسا، ودارت الأيام وقمت بتجنيده للعمل بالتنظيم عام ١٩٦١ .

وفي أثناء تطوعي بالحرس الوطني (كتيبة كلية الحقوق - لواء جامعة الإسكندرية) في فترة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ إلتقيت في معسكر كلية الهندسة بالزميل عبد الفتاح موافي، ودارت مناقشات بيننا حول الماركسية حسمت مسألة انحيازي إليها، وإن لم يعرض عليَّ عبد الفتاح موافي الانضمام إلى تنظيم معين.

المواقف السياسية السابقة للإنضمام للحركة الشيوعية

في صباي الباكر كنت أميل إلى الوفد وأعجبت كثيراً بمصطفى النحاس، واشتركت وأنا في المدرسة الإبتدائية في المظاهرات ضد الاستعمار والملك، وعندما دخلت المدرسة الثانوية (مدرسة المرقسية الثانوية بالإسكندرية) عام ١٩٥١ إشتركت في المظاهرات عامي ١٩٥٢/١٩٥١ وكنت أحد العناصر النشيطة في تحريك مظاهرات المدرسة.

وفي أواخر عام ١٩٥١ أحرقت كنيسة في رمل الإسكندرية، فاتجهت إلى التعصب الديني، وكونت مجموعة من حوالي ثمانية من الطلاب للإنتقام لحرق الكنيسة وما اعتبرته اضطهاداً للمسيحيين. وسرعان ما تفرقت هذه المجموعة، وانتهزت حينذاك فرصة الإحتفال بعيد ماري جرجس في حينا الذي كانت تسكنه نسبة كبيرة من الأقباط، وحولت الموكب الديني الذي كان يسير في شارع الكنيسة إلي مظاهرة دينية كبيرة. ولم يستمر هذا التعصب الديني سوى شهور قليلة.

التنظيمات التى ارتبطت بها ونشاتها والوحدات والانقسامات التى مرت بها :

لم يحدثنى الزميل عبد الفتاح موافى - كما سبق أن ذكرت - فى شأن الانضمام إلى تنظيم معين. ولكن فى أثناء التطوع فى الحرس الوطنى وبمعسكر كلية الهندسة تعرفت بعدد من الزملاء الذين كانوا معروفين بين الطلبة بأنهم شيوعيون وأعجبت بحماسهم وسلوكهم، ومنهم الزميل متولى السلماوى، وفور تسريح الحرس الوطنى فى نهاية شهر نوفمبر ١٩٥٦ وعودتنا إلى الكلية عرض علىَّ متولى لسلماوى الانضمام إلى منظمة «طليعة العمال» فقبلت وتشكلت مجموعة من الزميل فؤاد مصطفى ومنى، وأذكر أنه فى أول إجتماع أعطانى لزميل متولى كتاب لينين «الإستعمار أعلى مراحل الرأسمالية» وكمية من المنشورات لتوزيعها دون أن يكون لدى الخبره بذلك فقمت بإلقائها فى مداخل البيوت ليلاً.

وفى الحى لذى كنت أعيش فيه (غيط العنب - كرموز) كان يوجد بعض الأشخاص المعروفين كشيوعيين منهم نجيب غبريال، وتوفيق فانوس، ومقار خلف الشهير بالنمر، وعلى الحجار، وكانت أسرتى تعرف أسر أكثر أولئك الزملاء وبصفة خاصة أسرة نجيب غبريال. لم أكن أعرف بوجود تنظيمات شيوعية متعددة فالتقيت بنجيب وحدثته فى ضرورة التنسيق بيننا باعتبارنا أبناء حزب واحد، وفاجأنى نجيب بالقول بأنه لا يوجد حزب واحد وإنما تنظيمات متعددة، وصارحنى بأنه عضو فى منظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» التى تختلف عن التنظيمات الأخرى، وحدثنى عن الخلافات بين المنظمات وكانت صدمة كبيرة بالنسبة لى، وطلبت منه أن يعطينى مطبوعات منظمته، وقررت أن أقرأ مطبوعات المنظمتين لاختيار واحدة للارتباط بها.

وطوال حوالى شهرين ودون أن أخبر الزميل متولي السلماوى بشئ كنت أقرأ ما أحصل عليه من مطبوعات المنظمتين، وأناقش الزميلين فى الخلافات بين لمنظمات، ثم قررت الارتباط بمنظمة (طليعة الشعب الديمقراطية) وأخبرت لزميل متولى السلماوى بأن ظروفى الخاصة لا تسمح لى بمواصلة الكفاح، وأننى سأضطر لترك التنظيم، ورفضت محاولته الحديث معى فى تلك الظروف الخاصة بحجة أنها خاصة جداً.

وكانت منظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» منظمة صغيرة كونها فوزى جرجس من بعض الرفاق الذين رفضوا الدخول فى وحدة «الحزب الشيوعى المصرى الموحد» عام ١٩٥٥، وكانت تعتبر امتداداً لمنظمة «نواة الحزب الشيوعى المصرى» التى كونها فوزى عام ١٩٤٩. وامتداداً

للعصبة الماركسية» التى تكونت فى الأربعينيات كانقسام فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

كان يتولى قيادة العمل فى الإسكندرية - كما عرفت بعد ضربات عام ١٩٥٩ - الرفاق شعبان حافظ ومحسن الخياط عضوا اللجنة المركزية وأحمد البكار. وكان عدد أعضاء التنظيم صغيراً ولم يكن يوجد به مستويات أقسام. وعملت مع نجيب غبريال لفترة قصيرة ثم انضممت إلى مجموعة كان مسئولها الرفيق أحمد البكار وكان من أعضائها الرفيقان أمين أبو السعود وعادل حسونه.

وكان عملى موزعًا بين لجامعة والحى. فى الجامعة كان نشاطى ثقافيًا، ومما يذكر أننى جمعت عدداً من الطلاب من الكليات المختلفة وأصدرنا مجلة «الجامعة» التى أشرفت على تحريرها ولم يصدر منها سوى عدد واحد بسبب الافتقار إلى الإمكانيات المادية.

وبعد ما تمت وحدة ٨ يناير ١٩٥٨ بين المنظمات الثلاث الكبيرة، والتى رفضها تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» لأنها قامت على أساس الوحدة الاندماجية وليس بأسلوب اللجنة التحضيرية والصراع الفكرى حول المقومات والذى يتوج بالمؤتمر، عرض فى التنظيم موضوع الوحدة مع منظمة «وحدة الشيوعيين» وكان يوجد فى تنظيمنا وجهتا نظر، وجهة نظر تقول بالوحدة الاندماجية مع منظمة «وحدة الشيوعيين» لعدم وجود خلافات بين المنظمتين، ووجهة نظر أخرى تقول بضرورة الالتزام بالأسلوب الذى نرى أنه الأسلوب الثورى الوحيد وهو أسلوب اللجنة التحضرية والصراع الفكرى والمؤتمر. وعقدت كونفرنسات. عقد واحد منها بالإسكندرية إنتهى أغلب المشاركين فيه - وكنت منهم - إلى ضرورة الالتزام بأسلوب اللجنة التحضيرية والصراع الفكرى. ولكن أغلب أعضاء التنظيم رأوا الأخذ بأسلوب الوحدة الاندماجية، وتمت الوحدة وتكونت منظمة «الطليعة الشيوعية» التى خرج منها عشية تأسيسها رفاق منظمة وحدة الشيوعيين.

وفى صباح سنة ١٩٥٩ أبلغنى الرفيق أحمد البكار بأنه تم اعتقال أغلب أعضاء اللجنة المركزية للتنظيم، وأنه قد صدر قرار بأن اشترك معه فى مسئولية العمل بالاسكندرية، وبأن أكون احتياطى لجنة مركزية، وفى حالة القبض عليه - والذى كان متوقعًا لسبق اعتقاله- سيتم الاتصال بى من القاهرة وأكون عضواً باللجنة المركزية للتنظيم.

واشتركت مع الرفيق أحمد البكار فى مسئولية العمل بالأسكندرية، ولم يكن أعضاء التنظيم يزيدون عن خمسة عشر من المتوقع اعتقال الكثيرين منهم. وفى حملة ٢٨ مارس

١٩٥٩ اعتقل أحمد البكار والرفاق الذين سبق اعتقالهم، وبقى نحو سبعة من أعضاء التنظيم.

وحضر الزميل نجاتى عبد المجيد إلى الإسكندرية، وكان هو والزميل حسنى تمام عضوى اللجنة المركزية الهاربين، وتم تنسيق العمل. ثم اعتقل حسنى تمام بعد فترة قصيرة، واشتركت مع الزميل نجاتى عبد المجيد فى مسئولية العمل حتى اعتقل فى يولية عام ١٩٥٩.

وبعد اعتقال نجاتى عبد المجيد لم يعد لى صلة بالقاهرة إلا ببعض عائلات الرفاق المعتقلين وزوجة الزميل محمود المنسترلى التى كانت تمدنى بالتبرعات التى كانت تقوم بجمعها، وكان يقوم عليها العمل التنظيمى إلى جانب الاشتراكات الضئيلة، ولم تكن تلك التبرعات تزيد عن عشرين جنيهاً كان يدفع جزء منها لعائلة فوزى جرجس.

واستمر العمل أساساً فى الإسكندرية، وبسبب المناخ المعادى للشيوعية تركنا بعض الزملاء، وارتبط بنا أشخاص جدد وتركونا بعد فترة، ولم يبق معى أكثر من خمسة زملاء.

كان الهم الأساسى لنا هو إصدار منشورات باسم التنظيم تتحدث عن أحوال المعتقلين وتطالب بالإفرج عنهم كما تتحدث عن ديكتاتورية عبد الناصر.

كان توزيع المنشور الذى نصدره يتم فى ليلة واحدة فى عدة أحياء متباعدة بهدف إظهار القوة، ولكى نبين لنظام عبد الناصر أن الشيوعيين لم يقض عليهم برغم حملات الاعتقال والهجوم الشرس عليهم، وعندما اتسع نطاق عملنا قليلاً وأصبح لنا زملاء فى دمنهور التحقت أنا بالعمل فى القاهرة فى ٤ فبراير سنة ١٩٦١ كان يتم توزيع المنشورات فى القاهرة ودمنهور والإسكندرية فى ليلة واحدة.

وعندما انتقلت للعمل بالقاهرة أشركت معى الزميل محمود ندا فى قيادة التنظيم. وفى مستهل عام ١٩٦١ كان عدد أعضاء التنظيم قد وصل إلى نحو عشرين عضواً موزعين بين الإسكندرية ودمنهور والقاهرة وإحدى قرى محافظة البحيرة. وكان اهتمامنا موجهاً نحو بناء التنظيم وتدعيمه كما كنا قد بدأنا فى إصدار النشرة الداخلية للتنظيم وهى «التنظيم الشيوعى».

وفى عام ١٩٦١ أفرج عن الزميل محمود المنسترلى الذى كان عضواً باللجنة المركزية للتنظيم، وأبلغنى أن تنظيم الطليعة الشيوعية حدث فيه انقسام وتحلل بمعتقل الواحات، ولم يعد له وجود، وكانت صدمة كبيرة لى.

كنت أعتقد حينذاك أن تنظيم «الطليعة الشيوعية» هو التنظيم الثورى الوحيد، وأن التنظيمات التى كونت حزب ٨ يناير سنة ١٩٥٨ كانت تسيطر عليها الانتهازية فاستبدت بى الحيرة، رفضت عرض الزميل محمود المنسترلى بالعمل معًا خاصة وقد استوقفنى خروجه المبكر من السجن وطلبه للخريطة التنظيمية فى اللحظات الأولى من لقائنا، وبعد الحيرة والتفكير لعدة أيام انتهيت إلى أن الحل الوحيد هو تكوين تنظيم شيوعى جديد يكون بداية للحركة الشيوعية المصرية.

كتبت دراسة عن تاريخ الحركة الشيوعية المصرية الذى كنت أعرف خطوطه العامة بطريقة لا بأس بها من تقرير كنت قد قرأته فى بداية ارتباطى بمنظمة «طليعة الشعب الديمقراطية»، وأعتقد أن كاتبه كان إما الرفيق شعبان حافظ عضو الحزب الشيوعى الأول فى العشرينيات والذى كان أحد قادة المنظمة، أو الرفيق مارسيل إسرائيل، وانتهيت من الدراسة إلى أن مشكلة الحركة الشيوعية المصرية تتمثل فى سيطرة الانتهازية التى خربتها بأربع وسائل، هى تركز الحركة فى وسط البورجوازية الصغيرة وخاصة المثقفين، ومنع تثقيف الكادر بالماركسية اللينينية وعدم توصيل الوعى الماركسى إلى الطبقة العاملة، والعمل بلا مقومات وهى الاستراتيجية والتكتيك والبرنامج واللائحة، ومحاربة تأسيس الحزب الواحد بالأسلوب الثورى وهو أسلوب اللجنة التحضيرية والصراع الفكرى والمؤتمر، والحرص على أن تتم كل الوحدات بأسلوب الوحدة الاندماجية حتى تكرس الانقسامية والتشرذم.

وخلصت من الدراسة إلى ضرورة بداية جديدة للحركة الشيوعية المصرية، ضرورة وجود نواة ثورية تضم مناضلين ثوريين وتنعطف نحو العمال والفلاحين حتى يكون تشكيلها وجذورها من الطبقة العاملة والفلاحين، وأن يكون لهذه النواة مقوماتها، وأن عليها أن ترفع عندما يتم الإفراج عن الشيوعيين شعار الوحدة على أساس اللجنة التحضرية والصراع الفكرى وذلك لتأسيس الحزب.

وتم عقد كونفرنس فى دمنهور حضره ستة من الكادر الجديد والرئيسى فى التنظيم. ونوقش التقرير وتمت الموافقة عليه، كما نوقش مشروع اللائحة الداخلية الذى قمت بإعداده. وهكذا تكونت «نواة الحزب الشيوعى المصرى» فى أول عام ١٩٦٢.

وانطلق العمل

قمت بإعداد برنامج تثقيفى لتثقيف أعضاء التنظيم بالماركسية اللينينية يستغرق عامين وينتهى بدراسة كتاب رأس المال لماركس، وكتبت مجموعة محاضرات فى قضايا الماركسية،

كما بدأنا الإعداد للاستراتيجية فكتبت دراسة فى تاريخ مصر الاقتصادى والسياسى فى الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٩٢٤ أستناداً إلى كتابى فوزى جرجس وشهدى عطية الشافعى وكتب أخرى، وقد كانت تلك الدراسة ضمن مضبوطاتى عندما قبض علىّ.

وبالرغم من بدء العمل لبناء التنظيم الجديد وتثقيف أعضائه والشروع فى وضع مقوماته ظل يسيطر على تفكيرنا وعملنا إصدار المنشورات كما كان يحدث من قبل، لم نعط لأنفسنا فرصة كمون لتأسيس لتنظيم وبنائه فى أمان، ولعل ذلك كان الخطأ القاتل الذى ساعد على كشفنا وضربنا.

وفى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٢ قبض علىّ وعلى سبعة من أعضاء التنظيم ونحن نستعد لتوزيع المنشور رقم (٢) باسم «نواة الحزب الشيوعى المصرى» وكان يتحدث عن التعذيب فى السجون والمعتقلات، وضبط فى بيتى ٥٠٠ نسخة من المنشور معدة للتوزيع فى القاهرة، ونسخة من مشروع اللائحة الداخلية، فضلاً عن الدراسة الخاصة بتاريخ الحركة الشيوعية، والدراسة الخاصة بتاريخ مصر فى الفترة من ١٨٨٢ إلى ١٩٢٤.

ظننت أننى الوحيد من أعضاء التنظيم الذى قبض عليه فقررت تحمل مسئولية كل المضبوطات ما كان منها بخطى وما لم يكن بخطى والقول بأننى معد كل الكتابات لتعبير عن رأيى ككاتب شيوعى فى نظام عبد الناصر، والدفاع عن الشيوعية، وأخبرت بذلك زوجتى التى كانت عضوة فى التنظيم وتشاركنى الطاعة والتى أخذت واحتجزت ليلتين فى مبنى المباحث العام، ونحن فى الطريق إلى المباحث العامة، وطلبت منها أن تخبر محمود ندا الزميل الذى أشركته معى فى مسئولية العمل بذلك، وباسم من أشك فى أنه مصدر الضربة، وأن تطلب منه التوقف عن إصدار أى شئ لمدة شهرين أو ثلاثة حرصًا على الأمان، ولكن بعد حجزى عدة أيام بمبنى المباحث العامة علمت بالقبض على الزملاء لسبعة من الإسكندرية ودمنهور واعتراف أكثرهم تحت تأثير الاعترافات التفصيلية والإدانه للشيوعية من قبل اثنين من الزملاء الأساسيين فى التنظيم، ووجهت بالاعترافات وبقيام الزملاء الذين يعرفوننى بإخراجى من طابور العرض فأيقنت بفشل تجربة إنشاء التنظيم الجديد، خاصة وأن الرفاق الذين كانوا بالخارج وكنت على صلة بهم لم يكونوا قادرين على الاستمرار فى تأسيس التنظيم الجديد.

تحملت مسئولية كل المضبوطات التى ضبطت معى، وأنكرت معرفتى بأحد من المقبوض عليهم، ودافعت عن الشيوعية والشيوعيين وموقفى السياسى فى تحقيق النيابة. وبعد أسبوع

رحلت إلى سجن القناطر الخيرية، ورحل الزملاء الآخرون إلى سجن دمنهور، وفي طريقي إلي لقناطر قررت حرصًا على الاستمرار في النضال الانضمام إلى التنظيم الذى يضم أغلب الشيوعيين المصريين مهما كانت خلافاتي مع سياساته.

وفي سجن القناطر حدد عسكرى الامانات التنظيم الذى انضممت إليه إذ سألني وهو يأخذ ملابسى واشيائى الخاصة عمن ارغب فى الذهاب إليهم. المعارضين أم المؤيدين؛ فسألته عمن يقصد بالمعارضين والمؤيدين؟ فقال إنه يوجد شيوعيون يؤيدون عبد الناصر وآخرون يعارضونه فطلبت منه أخذى إلى المعارضين فسلمنى إلى من أوصلنى إلى زملاء حزب ٨ يناير الذين أسماهم الرفاق الآخرون بعد الانقسام الذى حدث عام ٥٨ بالتكتل وكانوا يشغلون نصف دور ٦ من عنبر «ب».

كان فى قيادة الحزب بالقناطر الزملاء سامى عجيب ونسيم يوسف وأحمد الجبالى وسعد بطرس الطويل، وبعد استقبالهم لى أخبرتهم بكل شئ، ووضعت نفسى تحت تصرف الحزب فتقرر ترشيحى حتى يصل قرار الاتهام.

واكتشفت وجود الرفاق الآخرين الذين كانت إدارة السجن تسميهم بالمؤيدين وكان رفاق الحزب يسمونهم بالمنقسمين، والذين كانوا يقولون بوجود مجموعة اشتراكية وأن النظام يسير فى طريق النمو اللا رأسمالى، وأجريت حوارات مع اولئك الرفاق لأحدد موقفى، كما أجريت حوارات مع الرفاق الذين ارتبطت بهم والذين كان حزبهم يرى فى ذلك الوقت أن سلطة عبد الناصر تمثل الاحتكار وشبه الاحتكار ويرفع شعار الإسقاط، وبعد نحو أسبوعين إنتهيت إلى البقاء فى حزب ٨ يناير (ما كان يسمى بالتكتل) بالرغم من أننى كنت أختلف مع تقييمه لطبيعة السلطة كما سأذكر فى صدد تقييمى حينذاك لسلطة عبد الناصر.

وجاء قرار الاتهام بعد حوالى عشرة شهور فصحت عضوية الحزب، وطلبت الموافقة على قيامى بالدفاع عن عضوية الحزب فى المحاكمة لأننى سأفقد، باعتبارى مؤسسًا لتنظيم «نواة الحزب الشيوعى المصرى» فوافقت المنطقة الحزبية على قيامى بالدفاع عن عضوية الحزب فى إطار الدفاع السياسى الذى تقدمت به فى تحقيق النيابة.

وسرعان ما جاء الرفاق الآخرون من دمنهور، ودخلوا فى إضراب عن الطعام لمدة ثلاثة أيام لحضور النيابة وتغيير أقوالهم التى أدلوا بها تحت تأثير الضرب والتهديد، وبالفعل حضرت النيابة وتم تغيير أقوالهم.

وخلال شهور يونيه ويوليه وأغسطس وبعد الإفراج عن كل المعتقلين والمسجونين باستثناء قضيتنا والزملاء في قضية أخرى تمت محاكمتنا، وقدمت دفاعًا عن الشيوعية وعن موقفي من نظام عبد الناصر وعن عضوية الحزب، وصدر الحكم بسجني خمس سنوات.

وفي ٧ نوفمبر ١٩٦٤ أفرج عني وعن زملاء قضيتي والزملاء المتبقين من آخر قضايا الحزب والتي كان منهم فيها الزملاء محمود علام وحسن بيومي وعبد المحسن شاشة وآخرين.

مدى ارتباط التنظيمات التي انضممت إليها بالطبقة العاملة

ما أعرفه أن تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» ومن بعده تنظيم «الطليعة الشيوعية» كان به عدد قليل من العمال أبرزهم الزميل نجاتي عبد المجيد وكان أغلب أعضاء التنظيم من المثقفين. ولا أعرف شيئا عن تفاصيل نضالات أي من التنظيمين داخل صفوف الطبقة العاملة.

وعند تكوين منظمة «نواة الحزب الشيوعي المصري» الجديدة تكونت أساسًا من الموظفين وطلبة الجامعة.

مدى الارتباط بالفلاحين

لا أعتقد أنه كان لتنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» ومن بعده تنظيم «الطليعة الشيوعية» أي ارتباط بالفلاحين.

وعند تكوين «نواة الحزب الشيوعي» استقر الزميل عبد المنعم رزق بقرية «عزبة نصار بالبحيرة» وبدأ في عمل علاقات كما شرع في كتابة دراسة عن أوضاع الفلاحين في المنطقة لبدء العمل بينهم.

وقد ترددت مرات على القرية، وأصبح لي فيها أصدقاء بينهم عناصر فلاحية كنت أحاول أن أطور علاقاتي بهم.

المجلات التنظيمية والجماهيرية، والكتب والدراسات عن الواقع المصري

كان تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» يصدر النشرة الجماهيرية «صوت الشعب» والنشرة الداخلية «التنظيم الشيوعي». وبعد تكوين «الطليعة الشيوعية» بوحدة «طليعة الشعب الديمقراطية» و«وحدة الشيوعيين» والتي فشلت عشية إتمامها احتفظ التنظيم الجديد بأسماء نشراته.

وبعد الاعتقالات أصدرنا أعدادًا من «صوت الشعب» وعددًا واحدًا من «التنظيم

الشيوعي» وعند تكوين «نواة الحزب الشيوعي المصري» أصدرنا عدداً من «التنظيم الشيوعي» وركزنا عملنا في إصدار المنشورات التي وعدنا في أحدها بإصدار جريدة «الثورة» لتكون جريدة التنظيم.

وبالنسبة للكتب لم يصدر من «طليعة الشعب الديمقراطية» غير كتاب فوزي جرجس «دراسات في تاريخ مصر منذ العصر المملوكي» وكان المعروف لدينا أن كتابة فوزي لهذا الكتاب مقدمة لوضع مقومات التنظيم.

وقد أصدر تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» في ديسمبر ١٩٥٧ خطة سياسية بعنوان «خطتنا السياسية – مشروع تاكتيك مقدم إلى المؤتمر الأول للمنظمة» والمعروف أنه لم ينعقد أي مؤتمر. وقد عبرت الخطة السياسية – وقد قدمت إلى لجنة التوثيق – عن موقف التنظيم من سلطة عبد الناصر.

ولأن التنظيم لم يضع استراتيجية فإنه لم يحدد موقفاً واضحاً من قضية الثورة الاشتراكية وهل تحقيقها يتم عبر مرحلة واحدة أم مرحلتين، وإن كانت بعض كتابات التنظيم قد عبرت عن السعي لتكوين جبهة وطنية تكون القيادة فيها للطبقة العاملة لإقامة الديمقراطية الشعبية التي تنجز مهام الثورة البرجوازية الديمقراطية ثم تضع أسس الاشتراكية. وذلك دون الفصل بين الثورة الديمقراطية والاشتراكية.

دور المحترفين

ما أعرفه أنه لم يكن بتنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» ولا «الطليعة الشيوعية» محترفون. وبعد حملات الاعتقال، وفي عام ١٩٦٠ طلبت من الزميل ابراهيم حلمي ترك عمله بقنا والاحتراف بالقاهرة خاصة وأنه بعد اعتقال الزميل نجاتي عبد المجيد قطع الاتصال بمن تبقى من أعضاء التنظيم بالقاهرة، ولكن الزميل إبراهيم حلمي الذي أشركته معي في مسئولية العمل لم يقدم شيئاً وقبض عليه بعد شهور قليلة.

موقف التنظيمات التي ارتبطت بها من التنظيمات الأخرى

كانت منظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» ترى أن الانتهازية قد سيطرت على قيادة الحركة الشيوعية المصرية، وأنه لابد لوجود الحزب الشيوعي الواحد من تكوين لجنة تحضيرية تشارك فيها كل المنظمات، وتدير الصراع الفكري حول المقومات والذي ينتهي بعقد المؤتمر الذي يقر

المقومات وينتخب القيادة. ولم يلتزم التنظيم بهذا الموقف في وحدته مع منظمة «وحدة الشيوعيين» عام ١٩٥٨ بعد اتمام وحدة ٨ يناير بين المنظمات الثلاث الكبيرة.

وعند تكوين «نواة الحزب الشيوعي المصري» في أول عام ١٩٦٢ كنت أتبنى نفس النظرة السابقة الخاصة بسيطرة الانتهازية على الحركة، وكنت أستهدف بتكوين المنظمة الجديدة خلق تيار ثوري بغرض الوحدة بأسلوب الصراع الفكري والمؤتمر التأسيسي بعد الإفراج عن المعتقلين.

ولا أعرف شيئاً عن حدوث تنسيق تم بين طليعة الشعب الديمقراطية ومن بعدها الطليعة الشيوعية وبين تنظيمات أخرى في مجال محدد.

الموقف من لاجانب واليهود في الحركة

كان موقف «طليعة الشعب الديمقراطية» ومن بعدها «الطليعة الشيوعية» امتداداً لموقف «العصبة الماركسية» و«نواة الحزب الشيوعي المصري القديم» وهو موقف يرفض وجود الأجانب واليهود في قيادة الحركة، وذلك تحت شعار التمصير.

الموقف من سلطة يولية وتنظيماتها المختلفة

كان تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» ومن بعده تنظيم «الطليعة الشيوعية» يريان أن سلطة يوليه تمثل الرأسمالية الكبيرة. وأن هناك تناقضاً رئيسياً بين الاستعمار وبين الشعب المصري بمختلف طبقاته باستثناء حفنة صغيرة من الخونة والعملاء. في حين أن التناقضات بين الطبقات المختلفة في مركز ثانوي وتابع. ولكنها تظل موجوده وتمارس دورها كتناقضات ثانوية وعلينا ألا نتجاهلها وألا نؤيد البورجوازية الحاكمة تأييداً كاملاً أو مطلقاً.

جاء في «خطتنا السياسية» الصادرة عن تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» في ديسمبر ١٩٥٧ «... ومن ثم فإن واجب الشيوعيين والمصريين هو الملاءمة بين هذه التناقضات الداخلية وبين التناقضات الخارجية، وهي مسألة يمكن ويجب أن تتسق في الوقت الحالي بشكل يؤدي إلى إنجاز المهمة العامة وهي تصفية النفوذ الاستعماري والوقوف في وجه تهديداته ومؤامراته، وتقتضي منا هذه الملاءمة ألا نسكت عن أحد هذه التناقضات بدعوى أن هذا يضر بالتناقض الرئيسي، ومن ثم فإن إغفال مشاكل الشعب وحرياته الديمقراطية أمر خاطئ من أساسه، والسليم هو عدم إغفال هذه المطالب، ولكن يراعى في المطالبة بها عدم إعطائها مركز الصدارة بحيث تصبح هي التناقض الرئيسي بوعي أو بدون وعي».

وكان تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» ينادى بتكوين الجبهة الديمقراطية، فقد جاء في «خطتنا السياسية» :.. وعندما تكون الحلقة الرئيسية هى الكفاح من أجل الديمقراطية يصبح الشكل التنظيمى الواجب تحقيقه هى الجبهة الديمقراطية .. وبشكل أكثر تحديداً فإن هذه الجبهة يجب أن تضم الطبقة العاملة والفلاحين والبرجوازية الصغيرة والبرجوازية المتوسطة والأجزاء من البرجوازية الكبيرة غير المرتبطة بالاستعمار».

وكان التنظيمان المذكوران يرفضان دخول الاتحاد القومى باعتباره حزب البرجوازية الذى نشأ بشكل فوقى ومعزول عن الجماهير، وإن كان يمكن تسريب بعض العناصر غير المعروفة إلى داخله.

وبالنسبة لى قبل انضمامى إلى «طليعة العمال» فى أواخر عام ١٩٥٦ ثم إلى «طليعة الشعب الديمقراطية» أوائل عام ١٩٥٧ فقد تحمست لحركة يولية ١٩٥٢ التى قامت وأنا فى الرابعة عشرة لمواقفها من الملك والإنجليز والإصلاح الزراعى، ولكن بعد صدور الدستور الجديد فى يناير ١٩٥٦ وجدت أنه مقيد للحريات فأرسلت عدة رسائل مغفلة التوقيع لعبد الناصر أبين فيها أوجه معاداة الدستور للديمقراطية، وأطالب فيها بإصدار دستور ديمقراطى.

وعندما ارتبطت بمنظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» اقتنعت بوجهة نظرها بالنسبة لسلطة يولية وظل هذا الاقتناع طوال فترة الاستمرار فى النضال بعد الاعتقالات وحتى صدور قرارات التأميم عام ١٩٦١ التى كان لى تقييمى الخاص لها والذى سأوضحه فى موضعه.

الموقف من تأميم القناة والعدوان الثلاثى

بالطبع أيد تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» تأميم القناة وما أعرفه أن بعض أعضائها شاركوا فى الحرس الوطنى الذى تواجد بالاسماعيلية.

وبالنسبة لى فقد كنت فى ميدان المنشية بالاسكندرية الذى أعلن فيه جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ورقصت فرحًا عندما سمعت قرار التأميم. وفور وقوع العدوان الثلاثى سارعت بالتطوع فى الحرس الوطنى (كتيبة كلية الحقوق - لواء الجامعة) ولم أكن وقتها قد ارتبطت بالحركة الشيوعية، وفى معسكر كلية الهندسة تعرفت بعدد من الشيوعيين الذين أثاروا بسلوكهم وتصرفاتهم إعجابى وإعجاب غيرى.

الموقف من وحدة مصر وسوريا وحركة القومية العربية والأحداث التى مرت بها المنطقة حينذاك

كان تنظيم «طليعة الشعب الديمقراطية» يطالب بالوحدة الفيدرالية بين الدول العربية ذات الاتجاهات الوطنية، وكان يرى أن تحقيق الوحدة مهمة الشعوب. جاء فى «خطتنا السياسية» الصادرة عن التنظيم فى عام ١٩٥٧ :

«.. كما كشفت الأحداث السياسية أيضًا عن مدى تلاعب الدوائر الحاكمة فى القضايا الوطنية للشعوب فى المملكة السعودية والأردن ولبنان ولا نقول فى العراق فإن ارتباطها بحلف بغداد العدوانى أمر قديم، الأمر الذى يجعل مسئوليتنا جسيمة فى إثارة مسألة الوحدة الفيدرالية بين الدول العربية المتحررة .. وكان التحرش الاستعمارى الوقح بالشعب السورى دليلاً على أن الاستعمار لن يهدأ أو يكل عن تدبير مؤامراته للتطويح بالحكومات الوطنية الصامدة فى وجهه مما يجعل مسألة الوحدة الفيدرالية بين مصر وسوريا واجبة التنفيذ السريع».

وعندما تمت الوحدة بين مصر وسوريا أصدر التنظيم بيانا يطالب بأن تقوم الوحدة على أساس ديمقراطى.

الموقف من قرارات التأميم عام ١٩٦١

عندما صدرت قرارات التأميم عام ١٩٦١ لم أر أنها تشكل اتجاها نحو الاشتراكية لأننى كنت أرى أنه لبناء الاشتراكية لابد من سلطة «الطبقة العاملة» التى تحدث بثورتها تغييراً فى علاقات الإنتاج.

كان رأيى أن التأميم يوجد شكلاً من رأسمالية الدولة لجأت إليه سلطة عبد الناصر للخروج من مأزق التنمية التى تسعى إليها نتيجة لعدم توفر التراكم الرأسمالى، ولإحجام الرأسماليين المصريين عن الدخول فى المشاريع الكبيرة التى تستلزمها التنمية.

وفى البيان رقم (١) الصادر عن «نواة الحزب الشيوعى المصرى» أشرنا إلى أن عبد الناصر يهرج باسم الاشتراكية.

وفى مرحلة متقدمة وصلت إلى تحليل مفاده أنه بإجراءات التأميم وجد شكل من الانفصال الطبقى، فالسلطة تضرب الطبقة العاملة والمعبرين عن مصالحها من الشيوعيين والنقابيين، وفى نفس الوقت توجه ضربات أساسية للرأسمالية الكبيرة وجزء من الرأسمالية المتوسطة، ومن

ثم ونتيجة انفراد عبد الناصر بالحكم تدخل السلطة مرحلة انفصال طبقى، انفصال طبقى بالسلب نتيجة ضعف الطبقتين الأساسيتين، لا انفصال طبقى نتيجة توازن قوة تعجز فيه إحدى الطبقتين عن حسم موضوع السلطة لمصلحتها.

وهذا الانفصال الطبقى له ملامح بونابرتية ولكنه ليس بونابرتيًا تمامًا لاختلاف ظروف فرنسا فى ظل حكم لويس بونابرت عن ظروف مصر فى ظل حكم عبد الناصر، وهذا الانفصال موقوت بالضرورة، وإن كان يمكن أن يستمر لفترة نتيجة مساندة الاتحاد السوفييتى وبلدان المعسكر الاشتراكى لنظام عبد الناصر. وفى ظل هذا الانفصال يظل محتوى علاقات الإنتاج برجوازيًا لمصلحة الطبقة البرجوازية ككل.

وفى تحقيقات النيابة بعد القبض علىّ فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٢ عبرت عن وجهة نظرى الرافضة للقول بأن سلطة عبد الناصر تبنى الاشتراكية، وقلت إن الاشتراكية الحقيقية هى الإشتراكة العلمية، وأنه لا يمكن أن تبنى الاشتراكية إلا بسلطة الطبقة العاملة بقيادة حزبها الشيوعى.

وحين وصلت إلى سجن القناطر الخيرية كنت أتبنى وجهة النظر التى تقول بالانفصال الطبقى، وتناقشت فيها مع بعض الرفاق، وبدت غريبة فى نظر رفاق يقولون بتمثيل سلطة عبد الناصر للاحتكار وشبه الاحتكار أو تمثيلها للبرجوازية الوطنية، ورفاق يقولون بوجود مجموعة اشتراكية فى السلطة.

الموقف من الاتحاد السوفييتى وسياساته فى بناء الاشتراكية ومواقفه من حركات التحرر الوطنى

لم يكن لمنظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» ولا «للطليعة الشيوعية» ملاحظات نقدية على المرحلة الستالينية أو طريقة بناء الاتحاد السوفييتى للاشتراكية، وكنا كلنا ننظر إلى ستالين باعتباره قائداً ماركسياً عظيماً.

وبعدما هاجم خروتشوف جوزيف ستالين قوبل هذا الهجوم بعدم ارتياح، ومن جانبى ملت إلى تقييم الحزب الشيوعى الصينى فى كتيب «مزيد من خبرة ديكتاتورية البروليتاريا» للظاهرة الستالينية باعتبارها نتاجاً لعوامل ذاتية وموضوعية، وأعتقد أن أغلب رفاق التنظيم كانت لهم وجهة النظر هذه.

وبالنسبة لأحداث المجر عام ١٩٥٦ لم يكن للتنظيم ولا لى وجهة نظر مخالفة لوجهة النظر السوفيتية، ولم نتردد داخل التنظيم بقدر علمى ملاحظات ناقدة لسياسة الاتحاد السوفيتى أو علاقاته بحركات التحرر. كنت وكل من كنت أعرفهم من رفاق لتنظيم نشيد بسعى الاتحاد السوفيتى للتعايش السلمى وبمساعداته لحركة التحرر الوطنى.

ولكن بعد أطروحات خروتشوف والمفكرين السوفييت حول طريق التطور اللارأسمالى ودولة الوطنية الديمقراطية وبناء الاشتراكية فى مصر وبعض بلدان العالم الثالث كنت ضد هذه الأطروحات، وفى جلسات المحاكمة عام ١٩٦٤ - وكانت إحداها فى أثناء زيارة خروتشوف لمصر - هاجمت ما يقال من أن عبد الناصر يبنى الاشتراكية، وقلت بأن النظام الاقتصادي في مصر يقوم على أساس رأسمالية الدولة لأن الاشتراكية لا تبنى إلا بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعى وعلى أساس علاقات إنتاج اشتراكية.

حل المنظمات الشيوعية

تنظيم «الطليعة الشيوعية» الذى كنت أنتمى إليه حتى نهاية عام ١٩٦١ حدث فيه انقسام داخل السجن وتحلل داخل الواحات وانتهى، وأترك الحديث عن ذلك للرفاق الذين عاشوا التجربة.

وبالنسبة للحزب الشيوعى المصرى (حزب ٨ يناير) الذى انضممت إليه داخل السجن فبعد الإفراج عنى ببومين (فى نوفمبر ١٩٦٤) ذهبت إلى الرفيق فؤاد مرسى وكان يقيم وقتها بالاسكندرية، ووضعت نفسى تحت تصرف الحزب، وأدهشنى أن الرفيق طلب منى أن آخذ أجازة لمدة شهر أستريح فيها وأحل مشاكلى فأخبرته أننى لست فى حاجة إلى إجازة فأعطانى نسخة من تقرير طلب منى قراءته والعودة لمناقشته، وأدهشنى التقرير الذى كان يتحدث عن النمو اللارأسمالى والتوجه الإشتراكى فى مصر، وعدت بعد أيام لأناقش الرفيق فؤاد مرسي، وأعبر عن وجهة نظرى الرافضة لما يذهب إليه التقرير.

وانتهى الأمر بضمى إلى مجموعة فيها الرفيقان متولى السلماوى وفؤاد مصطفى ومسئولها الرفيق محمد شعراوى. استرعى انتباهى أيامها وضع الحزب المهلهل من الناحية التنظيمية والذى اعتقدت أنه متعمد، ووجود عدد من الزملاء فى الإسكندرية يعيشون فى ظروف معيشية بالغة القسوة دون أن يمد لهم أحد يد المساعدة. وفى إحدى سفرياتى إلى القاهرة التقيت بالرفيق أبو سيف يوسف سكرتير الحزب فى بيته وشكوت له من الأوضاع، ودار حوار

بينى وبينه حول التقرير الذى قرأته، ولم أسترح للمناقشة وتولد عندى اعتقاد بأن الحزب فى طريقه للحل.

وانتهينا نحن الثلاثة، متولى السوى وفؤاد مصطفى وأنا، إلى أن القيادة تعد لحل الحزب، وذلك دون أن تسمح عن انعقاد كونفرنسات لمناقشة موضوع الحل، واتفقنا على أن نعلن للزميل المسئول رأينا وإدانتنا لحل الحزب وانسحابنا، وما كدت أعبر عن وجهة نظرنا حتى أخبرنا الزميل محمد شعراوى بأن قرار الحل قد صدر بالفعل.

الطابع الانقسامى للحركة الشيوعية المصرية وعدم تواصل حلقاتها

الانقسامية كانت سمة أساسية للحركة الشيوعية المصرية فى مرحلتها الثانية التى بدأت فى مستهل الأربعينيات. ويقال إن الطابع الانقسامى للحركة يرجع إلى أنها بدأت منقسمة. وأرى أنه لا يمكن الأخذ بهذا القول لأن الحركات الشيوعية فى بلاد كثيرة بدأت منقسمة وسرعان ما وجد الحزب الواحد الذى يضم معظم أو أغلب الشيوعيين.

كذلك لا يمكن تحميل تنظيم بعينه مسئولية الانقسام كما فعل الدكتور رفعت السعيد عندما حمل مجموعة الفجر الجديد (طليعة العمال ثم الحزب الشيوعى للعمال والفلاحين بعد ذلك) مسئولية الانقسام لرفضها الدخول فى وحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى وإيسكرا فى منتصف الاربعينيات، وذلك لأن الانقسامات حدثت أساسًا فى منظمة «الحركة المصرية للتحرر الوطنى» التى كانت نتاجًا لوحدة الحركة المصرية وإسكرا.

وأرى أنه وإن كان للانقسام عدة أسباب فإن هناك سببين هامين هما :

أولاً : تركز العمل وسط المثقفين، وهيمنة المثقفين على قيادة الحركة. وإذا كان المثقفون يتسمون بالفردية باعتبارهم فئة من البرجوازية الصغيرة فإن المثقفين المصريين يتصفون نتيجة لتاريخ القهر الطويل ولعناء الذى عاشه شعبنا بدرجة عالية من الذاتية. إن شعبنا نتيجة للظروف التى عاشها والتى فرضت على أفراده دائما البحث عن الحلول الفردية، تتسم بالذاتية بمعناها السلبى لا بمعنى الاستقلال والمبادرة، ويأتى المثقفون فى المقدمة بالنسبة لهذه الصفة فهم يفتقرون إلى العمل بروح الفريق، وينزعون إلى الزعامة عندما تتاح الفرصة. ولو كان الفكر الإشتراكى قد وصل إلى صفوف الطبقة العاملة المصرية لتغير الوضع كثيرا لأنه برغم السمة العامة لشعبنا فإن ظروف عمل ووضع الطبقة العاملة تعطى الفرصة للعمل الجماعى.

ثانيًا : كل التنظيمات بلا استثنا، قامت فى بنائها التنظيمى على المركزية وليس المركزية الديمقراطية، ولم توجد فى أى تنظيم آلية لتغيير القيادة أو السياسات، الأمر الذى كان يدفع فى كثير من الأحيان إلى الانقسام.

ويلاحظ أن الوحدات التى تمت فى تاريخ الحركة كانت تتم بأسلوب الوحدة الاندماجية، أسلوب تجاهل الخلافات فى التنظيم والسياسة، وتكريس وجود القيادة، لا أسلوب الصراع الفكرى والتنسيق الحقيقى فى العمل ثم المؤتمر، ولذلك كان لابد أن يعقب كل وحدة انقسام وتشرذم وضياع للأمان.

اسباب ازمة الحركة الشيوعية حتى عام ١٩٦٥

تتمثل الأزمة فى تصورى فى عدم وجود حزب شيوعى قوى له جذور وسط العمال والفلاحين وذلك حتى عام ١٩٦٥ برغم بداية الحركة الشيوعية المصرية فى مستهل العشرينيات.

ولتحديد أسباب الأزمة لابد من الحديث عن مرحلتين: مرحلة «الحزب الشيوعى» القديم الذى تأسس عام ١٩٢٢ وضرب عام ١٩٢٤، والمرحلة الثانية التى بدأت فى نهاية الثلاثينيات وبداية الأربعينيات.

وبالنسبة للحزب الشيوعى الأول أو القديم فلابد فى البداية أن نضع فى اعتبارنا أنه عاش منذ نشأته فترة قصيرة لا تتجاوز العامين ثم جاءت ضربات حكومة سعد زغلول الشاملة فقضت على هذا الحزب، وسبب تمكن الضربات من القضاء على الحزب يرجع فى تقديرى إلى أنه نشأ فى البداية فى علنية كاملة على نمط احزاب الديمقراطية الاشتراكية وذلك عام ١٩٢١ وعندما بدأ تميزه عام ١٩٢٢ حافظ على علنيته الكاملة، ولم يحتفظ بكادر سرى تحسبًا لضربات السلطة.

لا يرجع ضرب الحزب إلى اتباعه خطا يساريًا فى مواجهة السلطة كما يرى البعض، لأنه وإن كنت أختلف فى مسألة يسارية الحزب التى يذهب إليها البعض فإن اتباع حزب شيوعى لسياسة يسارية أو يمينية أمر وارد ويمكن تصحيحه عبر النضال طالما أن بنية الحزب لا تسمح لخصومه الطبقيين بالقضاء عليه.

وبالنسبة للمرحلة الثانية يمكن تلمس عدة أسباب للأزمة، منها :

أولاً: انقسامية الحركة :

فلاشك أن انقسام النظمات وكثرتها والعداء بينها وتبادل الهجوم والاتهامات إستنفد

الكثير من إمكانيات الحركة ونفر الكثيرين منها. ولعل الوحدات التي تمت بأسلوب الاندماج واقتسام القيادة وكان يعقبها عدة انقسامات، قد أضرت بالحركة أكثر مما أضرت بها البداية الانقسامية.

ثانيًا : تركز الحركة وسط المثقفين :

وإذا كان تركز الحركة وسط المثقفين وهيمنتهم على قيادتها عاملاً أساسيًا في وجود الانقسامية فقد كان له آثاره الهامة في طابع الحركة ونضالاتها، فإن تركز نشاط الحركة الشيوعية المصرية وسط المثقفين جعل الطابع العام لنضالاتها هو الطابع الوطني العام لا الطابع الوطني ذو المحتوى الطبقي الذي يستلزم النظر إلي القضية الوطنية من زاوية مصالح الطبقة العاملة وسعيها للوصول إلى السلطة، ولذلك لم يكن غريبًا أن يحدث مد كبير في عضوية المنظمات الشيوعية في المراحل الساخنة من النضال الوطني يعقبه جزر في المراحل الأخرى.

وقد ساعد على انضمام كثير من المثقفين إلى الحركة الشيوعية المصرية وتباعد أكثرهم عنها بعد ذلك أن الحركة الشيوعية كانت ترفع اكثر الشعارات راديكالية وتقدمية في الحركة الوطنية في الوقت الذي كانت فيه البرجوازية المصرية ممثلة في قيادة الوفد وخاصة منذ عام ١٩٤٢ تسعى لحل القضية الوطنية بالتفاهم داخل الدائرة الاستعمارية.

وأرى أن القول بأن الحركة الشيوعية المصرية في مرحلتها الثانية كانت في مجملها حركة وطنية ذات رطانة ماركسية ليس فيه مبالغة كبيرة.

وتركز العمل في صفوف البورجوازية الصغيرة أوجد التربة الخصبة لنمو وازدهار الانتهازية التي عانت منها الحركة كثيراً. والمثقفون المصريون يعمل أغلبهم في أجهزة الدولة نظراً لتضخم جهاز الدولة في مصر بسبب طبيعتها الجغرافية، أي أن كثرهم عبيد الوظيفة الحكومية، وذلك يؤثر في ثوريتهم وفي مدى وإقبالهم على الإحتراف الثوري، ومن ثم كان العمل في مجمله عمل هواة في أوقات الفراغ.

ثالثًا : لم توجد دراسات حقيقية ووافية للواقع المصري وأوضاع طبقاته المختلفة، ولم تبذل محاولات جادة لوضع مقومات (استراتيجية وتاكتيك وبرنامج) ولذلك إتسم العمل في حالات كثيرة بالعفوية والتلقائية، وثمة تساؤل، إلى أي حد تم تمصير الماركسية والبحث عن أساليب عمل في السياسة والتنظيم تتفق مع ظروف مصر وطابع شعبها؟

رابعًا : التخريب المتعمد :

لا يمكن استبعاد عامل التخريب المتعمد، وذلك إذا وضعنا في اعتبارنا الوضع الخاص لمصر

بالنسبة للمنطقة والعالم.

وإذا كانت قد وجدت محاولات من بعض الشيوعيين للعمل بطريقة مغايرة للطريقة السائدة مثلما فعل شهدى عطية الشافعى (التكتل الثورى) وفوزى جرجس (العصبة الماركسية ثم نواة الحزب الشيوعى ثم طليعة الشعب الديمقراطية)، فإن هذه المحاولات خرجت من أحشاء القديم حاملة لصفاته وأمراضه، ولم تقم بقطيعة كاملة مع الأساليب والممارسات القديمة، ومن ثم لم تشكل أى منها بداية جديدة، ومنظمة الراية التى تشكلت فى نهاية ١٩٤٩ إلتف حول الرفيق فؤاد مرسى القادم من فرنسا كأفراد كانوا خارجين من المنظمات القديمة وحاملين لأمراضها، وتركز نشاطها أساسًا وسط المثقفين.

رفاق أرى أخذ أقوالهم

نجاتى عبد المجيد، أمين ابو السعود، ابراهيم حلمى، محمود بنا، حمدى الخولى، عبد المنعم رزق، وفاروق الحدينى.

رفاق توفوا ولم توثق ادوارهم

من الرفاق الذين توفوا وكنت أعرفهم عن قرب :

١- ابراهيم كيرياكو

مات فى منتصف السبعينيات، وكان يعرفه زملاء قلائل برغم ارتباطه بالحركة الشيوعية المصرية منذ منتصف العشرينيات. كان فتوة لأحد أحياء الاسكندرية، وحبس فى أثناء القبض على رفاق الحزب الشيوعى المصرى القديم عام ١٩٢٤ بسجن الحدراء لجرحه أحد الأشخاص فى مشاجرة، والتقى داخل السجن برفاق من الحزب مثل شعبان حافظ، وعبر احتكاكه بهم آمن بالشيوعية، وخرج من السجن لينخرط فى النضال، والتحق مع مجموعة الحزب القديم بالحركة المصرية لتحرر الوطنى ثم بالعصبة الماركسية ونواة الحزب الشيوعى المصرى ثم طليعة الشعب الديمقراطية فالطليعة الشيوعية، عمل معظم الوقت فى الأجهزة الفنية وأجهزة الاتصال، وظل أميًا حتى مات، وهو أصلاً من الصعيد، عمل فى مهن كثيرة : جزار وكواء وبائع فول وطعمية وغيرها.

عرفته عام ١٩٥٩ بعد حملة مارس، كان الرفيق أحمد البكار قد أعطانى عنوانه وطلب منى الاتصال به بعض القبض عليه وألا أقوم بتوصيله لرفيق آخر إذا شعرت بخطر الاعتقال،

وبالفعل لم أعرفه بأحد من أعضاء التنظيم، وعندما انتقلت للعمل بالقاهرة كنت ألتقى به فى أثناء حضورى إلى الإسكندرية، وبعد الإفراج عنى ربطتنى به علاقة ود حميم حتى مات فى منتصف السبعينيات، وحتى موته لم يهتز إيمانه بالشيوعية، وكان برغم أميته وبساطته رفيقًا رائعًا بحسه الطبقى وخبراته الهائلة وانسانيته الغنية، تعلمت منه الكثير، وأعتبر نفس محظوظًا لأننى عرفته وحظيت بصداقة

٢ - أحمد البكار:

أصيب الرفيق أحمد البكار بمرض خطير فى الواحات نتيجة التعذيب وأخرجوه ليموت خارج السجن حتى لا يتحملوا مسئولية موته، وذلك عام ١٩٦٢.

كان عضواً قيادياً فى منظمة ثم «طليعة الشعب الديمقراطية» ثم «الطليعة الشيوعية» وقبل ذلك كان عضواً فى «نحو حزب شيوعى مصرى». كان طالبًا فى كلية الحقوق وظل بها حتى اعتقاله فى ٢٨ مارس ١٩٥٩، وهو من مواليد كوم الدكة بالإسكندرية، كان والده النحدر من الصعيد يمتلك محلاً لبيع الثلج بكوم الدكة، وكان أحمد يقوم بالعمل معه فى أوقات كثيرة. عرفته أول عام ١٩٥٧، وعملت معه حتى اعتقل. تعلمت منه الكثير وأخذت عنه القدر الأكبر من الخبرة التى واصلت بها النضال بعد اعتقاله.

٣ - مقار خلف الشهير بالنمر:

توفى فى عام ١٩٩١، كان عامل نسيج منذ الاربعينيات وفصل فى أحد الإضرابات فعمل فى مهن كثيرة، بائع عيش، بائع أكلمة، ارتبط بالحركة الشيوعية منذ الأربعينيات، كان فى السنوات الأخيرة من عمر الحركة فى مرحلتها الثانية فى منظمة «طليعة الشعب الديمقراطية» ثم «الطليعة الشيوعية»، اعتقل فى حملة مارس ١٩٥٩ وأفرج عنه عام ١٩٦٤ واعتقل قبل ذلك مرات، كان يعيش فى حى غيط العنب بكرموز بالإسكندرية، وكان معروفًا بين الكثيرين من أهالى الحى كشيوعى، وكان يقرأ بصعوبة، ولم يتخل عن إيمانه بالشيوعية حتى مات.

* * *

هذه شهادتى، ولعل الذاكرة لم تخنى كثيراً، فالحقيقة أننا تأخرنا كثيراً وكثيراً فى التوثيق لتاريخ الحركة «الشيوعية المصرية».

شهادة

سعاد صالح زهير

البيانات الشخصية

الاسـم : سعاد صالح زهير

محل وتاريخ الميلاد : ١٩٢٥/١١/١٦

المؤهلات : إتمام الدراسة الثانوية .. (البكالوريا)

المهنة : صحفية، وسيرد بالتفصيل المؤسسات التى عملت فيها مثل "بنت النيل" و"روزاليوسف".

بيانات عائلية :

كيفية التعرف على الفكر الماركسى

للإجابة على هذا السؤال يتحتم الرجوع قليلا للوراء .فأنا بحكم المولد .. وحكم النشأة التى تشكل تكوين الإنسان.أستطيع أن أصطفى لنفسى صفة فلاحة مصرية .

لقد ولدت فى بيت جدى بقرية الرحمانية بحيرة، تلك القرية الصغيرة الراقدة فى أحضان نيل مصر التى قدر لها أن تدخل إلى صفحات تاريخ مصر الحديث من خلال وقائع سيرة الحملة الفرنسية على مصر عندما وقع عليها اختيار نابليون بونابرت لتكون مركز تجمع فرق جيشه الزاحفة من الإسكندرية إلى القاهرة بسبب وقوعها على فتحة ترعة الإسكندرية -المحمودية فيما بعد عند تفرعها من النيل- وهو الموقع الذى جعل منها مفتاح الطريق النهرى بالنسبة لجيشه.وإن كانت جميع الكتب التى أرخت للحملة الفرنسية على مصر تكشف كيف احتفظ نابليون باهتمامه بهذه القرية الصغيرة بعد ذلك طوال إقامته فى مصر. فقد جعل منها حاضرة البحيرة لفترة بدلا من مدينة دمنهور وأقام على مدخلها قلعة عسكرية شهدت الكثير من أحداث مصادماته مع المماليك والعثمانيين وكذلك المفاوضات التى دارت بينهم.وخصها من دون باقى القرى بتخصيص أحد رجاله الفرنسيين - غالبا من المستشرقين- للإقامة بها لإدارة شؤون الأهالى فيها، وقد كان لاحتكاك الثقافتين على هذه الصورة علاقة بظاهرة تميز أهالى الرحمانية بشيء من الانفتاح فى أسلوب حياتهم .فضلا عن شبق ملحوظ للمعرفة والتعلم تتوارثه أجيالها المتعاقبة ومن بينهم لو صدق هذا الحدس والدى..

لقد كان والدى أحد أول شابين من أبناء الطبقة الوسطى فى الرحمانية يتجهان إلى مصر

* أجرت الحوار حنان رمضان - مركز البحوث العربية.

المحروسة فى طلب مستوى أعلى من التعليم، حيث كان المتبع بالنسبة لأبناء هذه الطبقة الاكتفاء بالتعليم الأزهري. وللابن الأكبر فقط غالبا كما حدث مع والده..

تخرج والدى من مدرسة المعلمين العليا- وعمل مدرس إنجليزي ثانوى- وذات يوم يمر مفتش التعليم الإنجليزي على المدرسة التى كان يعمل فيها والدى ،وكان اسمه تقريباً دانلوب -هو والناظر، فيتجاهله ويواصل درسه فيسأله المفتش ألم يكن من المفروض أن يقف تلاميذك احتراماً لدخولى؟ فيرد عليه أبى: إن طلبتى لا يقفون لمن يحتلون وطنهم. ويخرج الرجل الإنجليزى. وبعد يومين من التنقيب فى تاريخ أبى يأتى زوار الفجر فى البيت ويأخذونه. ثم يقدم للمحاكمة بتهمة أنه ذات يوم كتب فى جريدة اللواء قصيدة شعرية ينذر فيها الإنجليز بالطرد من مصر. وأنه كان وهو طالب يشترك فى السكن مع زميل له من لأقاليم كان ينتمى إلى جمعية الانتقام المتهمة بالعمل لاغتيال العناصر البريطانية. فلابد أنه كان يشاركه فى نشاطه. وبناء على ذلك قدم للمحاكمة التى قضت بنفيه إلى السودان إلى أن نجح والده بالواسطة والرشاوى أن يخفف الحكم إلى تحديد إقامته فى قريته مع فصله من جميع المدارس الحكومية.. وبمجرد عودته للبلد حدثت حكاية الوفد وجمع التوكيلات من أجل سعد زغلول فكانت تجمع داخل بيت جدى. وأصبح والدى زعيماً فى قريته. وبقدر استطاعته كان يساعد أهله فى القرية سواء من ظلم العمدة أو من الإقطاعيين الذين كانوا يأخذون الفلاحين ليعملوا فى الرسية.

وظل فى القرية حوالى خمس أو ست سنوات ، فى هذه الفترة أنا ولدت .وبعد مرض أمى بالروماتيزم فى العظام كانت لابد أن تذهب لبلد حار. وسهل صديق قديم لوالدى-فى الحركة الوطنية -هذه المهمة حيث كانت لديه مدرسة فى بلد قريبة اسمها المنيا. فأرسل له ليعمل معه.

وكانت لى أخت أكبر منى بإحدى عشر عاماً.وهى أيضاً كانت فى الحركة الوطنية وكانوا يسمونها فى المنيا جان دارك،حيث كانت تقود وتخطب فى المظاهرات.

وعندما مات أبى -كان عمرى عشر سنوات- لم يكن لديه معاش،لم يكن هناك غير خمسة أو ستة أفدنة، وكانت لاتكفى احتياجاتنا -أظن كان إيجار الفدان مثلا اثنى عشر جنيهاً بالرغم من أنها أرض جزيرة. الأرض العادية كانت بستة جنيهات ،والذى نفعنا أن أختى

تخرجت وعملت مدرسة وكان لها برنامج فى الإذاعة اسمه (نسائيات) (ماتت وهى شابة).

وفى ظل هذه الظروف لم تستطع أمى دفع مصروفات مدرسية لثلاثة أبناء أنا أحدهم، لذلك اقترحت عليها أن أذاكر فى المنزل ،تخلفت سنة، وأصبحت أنا وأخى فى الثانوية ،وفى هذه السنة كنت آخذ كتب أخى لأذاكر فيها ،ونتشاجر عليها، ثم فى باقى الوقت كنت اقرأ فى مكتبة والدى ،حيث كانت لديه مكتبة متنوعة فى التاريخ والسياسة والشعر .. واستطعت من خلال القراءة تكوين عقلى وتوسيع أفقى للعالم الذى أعيش فيه ،وكانت تستهوينى القراءة لدرجة أنى أصبت بقصر نظر، لأنى كنت اقرأ وأنا ممددة فى السرير .وهكذا بدأت عملية تثقيفي الذاتي.

بدأ يتركب ذهنى بطريقة معينة ، وأتت لى فكرة البطولة وفكرة الفداء والعدل التى كان يمارسها والدى وتذكرت ما كان يقوله لى عن ضرب الفلاحين بالكرباج وأخذ محاصيلهم، وعندما يموت أحدهم كانت الحكومة تجعل أولاده يدفعون ثمن الأرض إذا أرادوا أن يرثوها أو تأخذها منهم. وفى أيام فيضان النيل عندما يقطع الجسر يساق الفلاحين- نساء ورجال- بالفئوس يعيدون بناء الجسر بالسخرة -عبودية -وأشياء كثيرة من هذا ،ولم تكن قد ظهرت فكرة اليسار أو الاشتراكية، لكن فكرة العدل و الحرية والكرامة الإنسانية كانت الميراث الذى أورثه لى أبى .

وهذا ما جعلنى انجذب إلى فكرة الاشتراكية، فقد كان لدى الاستعداد النفسى والتكوينى وخصوصاً عندما لم أستطع استكمال تعليمى بسبب عجز أمى عن دفع مصروفاتى شعرت بعدم وجود تكافؤ فرص أوعدالة. فبحثت عن مخرج ضد الظلم الذى يقع على الناس.

حدث بالصدفة أن أتى فتحى الرملى إلى بيتنا- كان وقتها فى الخبز والحرية، وأظن وقتها كونوا شبناً ضد الفاشية. وكان يرتدى بدلة مثل بدلة مارتسى تونج- بدلة العمال، وكان صحفياً ناجحاً وأتى إلينا لأنه كان هارباً من البوليس فكان يقضى النهار كله فى بيتنا مع زوج أختى ثم يذهب ليبيت فى بيت أحد أصدقائه ،وأيامها كنت فى الإجازة بعد الانتهاء من الثانوية ،وأثر فى كلامه عن مبادئ الاشتراكية وبدأ يعطينى كتباً للقراءة.

المهم قررنا الزواج ولم تكن أمى موافقة عليه ،إلا أنى أصريت على الزواج منه.

وقد استلهم إحسان عبد القدوس روايته (فى بيتنا رجل) من حكايتنا أنا وفتحى، وكان

يأخذ الكثير من نصصه من الحياة الواقعية. مثلا قصة (أين عمرى؟) هذه التكوينة خاصة بهدى شعراوى، التى زوجوها للوصى عليها، وأمها هى التى زوجتها له، رغم أن الأم كانت متزوجة من رجل كبير أيضاً أبناؤه أكبر منها سناً.

وعمل فتحى مع إحسان فترة فى آخر ساعة. عندما كان إحسان فى خصام مع والدته عمل مع محمد التابعى فى آخر ساعة، كان معهم وقتها حسنين هيكل ود.سعيد عبده ،وعندما تزوجت، أقاموا لى حفلة فى درب اللبانة فى القلعة حضرها إحسان وقال لى أنت صغيرة جداً على التحدى الذى قمت به. وكان ذلك أواخر ١٩٤٣، وأوائل ١٩٤٤ وكان عمرى ثمانية عشر عاماً.

وقد أصدر فتحى مجموعة كتب عن التعريف بالاشتراكية ،مثل ما هى الاشتراكية؟ وكتاب "الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار"..وكل هذا ضاع حيث كان زوار الليل يأتون كل شهر أو شهرين ليأخذوه ويأخذوا الكتب رغم أنه لم يكن يشارك فى العمل السرى لأنه كان يؤمن بأن التنظيم السرى يمكن أن يعمل مع ألف أو ألفين فقط ،لكن من خلال الكلمة المكتوبة العلنية يمكن التأثير فى مجموعة كبيرة من الناس وقتها، كنت مرتبطة طبعاً بأفكار الزوج.

وإن كان قد بدأ نشاطه بالمشاركة فى تكوين بعض التنظيمات كالفن والحرية ،والخبز والحرية وآخرها الجبهة الاشتراكية قبل الثورة بسنتين ١٩٥٠-ونحن لدينا مجلدات عند ابني- وكان وقتها لديه جريدة اسمها (المعارضة). وعندما قامت الثورة صادرتها وحلت الأحزاب، وكان لهم مقر فى شارع الساحة.

كان فتحى رجلاً مخلصاً، إلا أن العيب الوحيد لديه هو نزعة الزعامة.

فى أواخر سنة ١٩٤٤- أعلنت وزارة أحمد ماهر التى كانت فى الحكم أنها ستجرى انتخابات فرشح فتحى نفسه على المبادئ الاشتراكية. ونشر الخبر فى الأهرام، وطبعاً كلمة الاشتراكية أقامت الدنيا والمراسلين الأجانب.عشت هذه التجربة، وكانت أول تجربة لى بعد زواجى أن أدخل فى عمل بهذا الشكل.وهو وجدها فرصة ودخل المعركة وكانت الرسوم مائة وخمسين جنيها وكان مبلغاً كبيراً جداً فى ذلك الوقت. إلا أن الزملاء حتى الذين لم يكن يتعاملون معه ساعدوه فى جمع المبلغ مثل حمدى سيف النصر وبعض العمال ومجموعة التروتسكيين :بولا العلايلى وجورج حنين-وقد تزوجا فيما بعد- ولطف الله سليمان .. وعندما

أرسل له كورييل خمسين جنيها رفضها. كما أرسل اثنان أو ثلاثة من الأجانب له، فاستطاع أن يدفع المبلغ. وقبل الانتخابات بيوم أقمنا سرادقا كبيراً في السيدة زينب في شارع مجلس الشعب- كان اسمه شارع مجلس الأمة- باعتبار، مرشحاً عن دائرة السيدة زينب. في هذا اليوم البوليس حاصر السرادق وضربوا في الناس وهدموا السرادق ،وكان مليئا بالناس بل ويقفون بالخارج ،فكلمة الاشتراكية هذه كانت سحر. وكان أكثرهم شبابًا وعمالاً. ثم أخذوه لقسم السيدة وأردت الدخول فرفضوا فظللت أهتف على سلالم القسم حتى استجاب المأمور وأدخلني. وظللنا في القسم. وفي اليوم التالي خرجنا. وهو سقط بجدارة كما كان متوقعاً بالطبع.

هذه التجربة التي جمعت فعلا شيوعيين من اتجاهات مختلفة. لم تكن من أجله، بل كانت لأن أول مرة اسم الاشتراكية يمكن أن يمثل في البرلمان، وهم يعرفون بالتأكيد أنها لن تمثل لأنهم لن يسمحوا بذلك، ولكن مجرد ترددها كان كافياً لإثارة فزعهم.

فترات السجن

سجنت مرة واحدة أيام حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ لمدة أربعة شهور .. أنا وطفلاي . الاعتقالات كانت ليلة ١٥ مايو،ولكننا نحن لم نعتقل ليلتها ربما لأننا لم نكن مع قرار التقسيم، وكان زوجي يكتب هذا الكلام. وقبضوا على جميع الشيوعيين إلا نحن فكان علينا مسئولية عمل شيء .. لذلك عندما قرأ في إحدى الصحف الأجنبية، بأن هناك مؤامرة شارك فيها الملك عبد الله والملك فاروق وهذه المؤامرة هي دخول مصر الحرب لكي يحرفوا الناس عن الكفاح ضد الاستعمار البريطاني فيشغلوا الشعب المصري في معركة أخرى تستنفد طاقته .. يومها قال لي أن علينا تأكيد أن الشعب المصري قضيته لم تنته مع الاحتلال البريطاني، فأصدرنا منشوراً للشعب المصري في ٢٣ مايو سنة ١٩٤٨ قبل القبض علينا بيومين ، أذكر منه أننا علينا مسئولية بالنسبة للشعب الفلسطيني، ولكن يجب ألا تشغلنا عن مقاومة احتلال ثمانين ألف عسكري بريطاني في مصر، وقد عرفنا أن الخطة التي رسمها الجنرال كلارك مع الملك عبد الله والسراي والتي نشرت جريدة البلاغ وثائق تفاصيلها على وشك أن تنفذ وأن قوات الجامعة العربية ستستخدم كمخلب قط للاستعمار البريطاني في مغامرة جديدة

مهد لها المهاجرون الفاشيست والإخوان المسلمين بمنات الخطب التى تفيض بالحماس و الشعارات المزيفة والمصحوبة بعشرات الحركات -فيا شعب مصر تضيك لا تنساها، قضيتك مع الاحتلال البريطانى، فالإنجليز هم الذين دبروا حكاية إسرائيل،وأعطوا أسلحتهم وإمكانياتهم لها قبل أن يرحلوا).

و قد عز عليه وهو صحفى أن يطرق أبوابًا كان يتمنى أن تساعده فى فضح هذه المؤامرات الاستعمارية الكبري ولم يجد جريدة واحدة تقبل.

وطبعا كشف هذا المنشور أثياء، وبعد أن كانوا لا يروا داعيًا لحبسنا ،تم القبض علينا ،وتم ترحيلى لسجن الأجانب ،ولم أجد زميلة واحدة مصرية معى فالجميع تم القبض عليهن لأنهن يهوديات وشيوعيات.

وكان سجن الأجانب فى شارع رمسيس ،وعندما قبضوا على النساء أخلوا دور سكن المأمور، حيث كان يسكن فى الدور العلوى من مبنى السجن وتحته الزنازين ،ووضعوا سراير فى الغرف لإقامة المسجونات الأجانب . وعندما تم ترحيلى للسجن ومعى الأطفال، استقبلتنى الزميلات المعتقلات بالأناشيد وفرحوا جداً. وكان البعض يعرفنى وأعرفهن، وتولوا مسئولية الأطفال معى.

وكانت معركة فلسطين مستمرة ونحن فى المعتقل ،وكانت الصحف تنشر فى البداية انتصاراتنا ،ثم بدأت اللغة تتغير وبدأ يظهر أن الإسرائيليين هم المنتصرون ، وقد طلبت منى زميلاتى اليهوديات أن أحصل على الصحف ،لأننى أنا التى صدروننى للتعامل مع إدارة السجن ،باعتبارى مصرية فاتفقت مع السجانة على أن تحضر لنا كل صباح الصحيفة وكنت اقرأها معهن . وفى البداية كن يسمعن الأخبار بدون تعليق. ثم عندما بدأت المعركة تتحول ضد العرب، بدأ يظهر عليهن السعادة، ويعبرن عن ذلك صراحة،وهذا دائما أكد لى أن الأجنبى لا يمكن أن يشعر بشعور الوطنى.

وقد التقطت السجانة ظاهرة تحولهن هذا قبلى. ففى يوم أتت لى وانتحت بى جانباً، وقالت لى وهى متأثرة (والنبى على قلبك، الصحيفة التى أحضرها لك لا تعطيها لهن . سألتها لماذا؟ قالت لى ألا ترين اليهوديات عندما انتصرن، أصبحن يغنين ويرقصن، ولو أعطيتهن الجريدة مرة أخرى،فلن أحضرها).

فانتابنى شعور أن سجانتى فى هذه اللحظة أقرب لى من زميلاتى اللاتى أرتبط بهن فكرياً وأعمل معهن.

فاتفقت معها أن تعطينى الصحيفة عندما أدخل الحمام صباحاً، وعندما أخرج أعطيها لها وعندما يسألنتى. أين الصحيفة؟ أقول لهن لم تحضرها.

فى هذه الفترة مرض ابنى الصغير، فطلبت من المأمور أن يحضر لى طبيب. ومر يوم واثنان ولم يأت. فقمت بالإضراب عن الطعام،حتى يأتى الدكتور(بمفردى ،فلم يضربن معى زميلاتى) ،وظللت يومين. وأثناء ذلك جاء طلبة من الهايكستب لسجن الأجانب لأداء الامتحانات. فأرسلوا لى ورقة، قالوا نحن سمعنا إنك تخوضين إضرابًا لماذا؟ فأرسلت لهم. بأن ابني الصغير مريض وطلبت الدكتور ولم يأت. وعندما أنهوا الامتحان ،ورجعوا إلى الهايكستب أبلغوا فتحى فقرر لإضراب هو أيضا وانضم إليه زملاؤه من أجل ابن سعاد الرملى ومطالب أخرى لهم.

فبالإضافة إلى التآزر مع مرض ابنى ،كانت لهم مطالب خاصة بمعتقلهم. حيث كانوا فى ظروف أسوأ من سجن النساء بكثير ،فكانوا يعذبونهم بشدة . ويدخلون عليهم فى أى وقت وبدون مناسبة ويضربونهم بالعصا ،كما ذكر لى زوجى. المهم بعد يومين أو ثلاثة ،أرسل لى المأمور وقال لى : بأن الطبيب وصل. وكان وكيل وزارة الصحة واسمه شوشة باشا ،وأتذكر أول شئ قاله لى: يا ابنتي أليس حراما عليك أن يدخلى طفلان صغيران لسجن. قلت له أنا لم أحبسهما الحكومة هى التى تحبسهما .وقلت له: هل يجب أن أكون أما أو وطنية، ألا يمكن أن أكون وطنية وأمًا؟ فضحك وأعجبته الكلمة وقال لى يا أم يا وطنية ما حكايتك؟ فقلت له ابنى ،فكشف عليه، وأحضر الدواء، وقال لى وهو ينصرف- أعدك سأقدم تقريراً، أطلب فيه الإفراج عنك من أجل أطفالك. لكن تعدينى بألا تكون لك علاقة بشىء. قلت له إن شاء الله-واعتقدت أن هذا الكلام عابر، إلا أنه مر يومان أو ثلاثة، ثم أرسل لى نائب المأمور وقال لى: جاء قرار بالإفراج عنك. قلت له: لماذا؟ قال يبدو أن شوشة باشا تكلم من أجلك، وكانت الساعة حوالى التاسعة مساء عندما أفرجوا عنى أنا وأطفالى.

وكان لابد بعد خروجى من المعتقل أن أزور زوجي فى الهايكستب. وكان على أن أقطع طريقًا طويلاً من المحطة إلى معسكر اعتقاله يمر بمعسكر للإخوان المسلمين -كانوا يدربون

فدائيين لكى يذهبوا لفلسطين -على بعد كيلو ونصف من سجن الشيوعيين، وعندما رأونى أسير باتجاه معسكر الشيوعيين اعتقدوا أنني يهودية. وبدأوا يجرون ورائى. وقتها لم أكن أعرف أن هؤلاء إخوان مسلمون، لكن وجدت بينهم ملتحين. فظللت أجرى بقوة من شدة الخوف وهم يجرون ورائى ويشتمون. ولكن لم يستطيعوا الإمساك بى، إلى أن وصلت قرب معسكر حبس الزملاء. وجدت أسعد حليم يقف وراء الأسلاك ،وطبعاً وجدت بعض العساكر، فتنبهوا وأدخلونى وخلصونى منهم.

بعد يومين جاءنى عسكرى من الهايكستب ومعه خطاب من فتحى، يقول لى (إننا مستمرون فى الإضراب وأن هناك زملاء حالتهم خطيرة جداً وطلبنا نقلوهم للقصر العينى ولم يسألوا فينا، فلابد أن تذهبى للداخلية وتحتجى وتطلبى نقل الذين حالتهم خطيرة للمستشفى).

وفى وزارة الداخلية قابلت أسما حليم. وكانت ذاهبة للحصول على تصريح لزيارة زوجها، قلت لها الحكاية ،وأننا لابد أن نقابل أحداً هنا. فقالت لى نقابل من؟ قلت لها لابد أن نقابل النقراشى باشا-كان فى هذا الوقت رئيس الوزراء والحاكم العسكرى للقاهرة. وهناك حالة طوارئ ،فذهبنا إلى مكتبه وقلنا لهم نحن فلانة وفلانة، ولنا مطلب لابد أن نقابل فيه رئيس الوزراء، ومرت ساعة و اثنتان. قالوا لنا أنه غير ممكن-اتركا ورقة، وظلوا يساومننا وكانت الساعة قد بلغت الرابعة ونحن كنا هناك منذ الحادية عشرة فقالت لى أسما إنهم يسوفوننا وسينصرفون قلت لها إذا كنت تعبت انصرفي فأنا سأنتظر.

وقلت لهم. سأظل جالسة، وعندما يخرج سوف أمسكه من يده وأقول له ما جئت من أجله. قالوا سيخرج من باب آخر. قلت لهم سوف أبيت هنا. وبعد الساعة الخامسة جاءنى شخص وسألنى لماذا تريدين مقابلته؟ قلت له من أجل كذا. قال لى انتظرى قليلاً. الباشا سيقابلك- لكن تكلمى بأدب. قلت له هل ستعطيني درساً؟

وعندما دخلت مكتب الباشا قال لى : أنت سعاد الرملى التى أفرجت عنها الأسبوع الماضى من المعتقل قلت له: لا أعرف أن حضرتك الذى أفرجت عنى. قال لى: إذن من الذى أفرج عنك؟ أنا الحاكم العسكرى- قلت له: لماذا أفرجت عنى؟ قال لى: شوشة باشا جاءنى وظل يقول لى أم مصرية شابة، معها طفلان، وظل يؤثر على فأرجو أن يكون الإفراج عنك أثر.

قلت كيف؟ قال تمشين منتظمة. قلت له: إن شاء الله. قال لي: ماذا تريدين؟ قلت له: أنا أتيت لك من أجل زملائي، فهناك حالات في الهايكستب على وشك الموت والمراسلون الأجانب بدأوا يكتبون وحقوق الإنسان قال: لا بد تناقشيني لو كنت شجاعة. ماذ تريدون. قلت له: نحن نريد أن يكون في البلد حكم وطني وأن تقف الحكومة مع الشعب في مقاومة الإنجليز.لأن المفروض أن الوطن وطننا جميعاً.وألا تكون الحكومة عميلة للسراى، تكون عميلة للشعب. قال لي: هل لديك فكرة أن النقراشي باشا ليس وطنياً. أنا رجل لي تاريخ. قلت له: أنت كنت وطنياً عندما كنت في حزب الوفد. عندما كنتم تريدون عقد اتفاقية للجلاء مع الإنجليز. وبعد ذلك تركت الوفد وأصبحت رئيساً للوزارة. قال لي أنتم يا شيوعيين ما حلمكم؟ هل تعتقدون أنكم ستصلون للسلطة؟ قلت له:أرجوك، أنا لم آت إليك للمناقشة. أنا آتيت لك بمطلب إنساني. هناك ناس يموتون. قال لي: حتى ترتاحي لن أفرج عنهم. ولن يذهبوا للمستشفى. أنا قابلتك لأتناقش معك. وقبل أن أقابلك اطلعت على ملفك وملف زوجك ورأيت الكلام الذي تكتبونه. ولدى فكرة عنكما. لكن أنتم كشيوعيين ماذا تريدون؟ لماذا أنتم وحدكم شاذون؟ قلت له نحن نعبر عن آمال الشعب،وعن مصالحه وحقوقه. قال من فوضكم تتكلمون باسم الشعب. قلت له: نحن الشعب، نحن جزء منه.

المهم حاولت أن أتفادى أى إجابات تستفزه من أجل المهمة التي أتيت بسببها. لكن بعد فترة تطورت المناقشة لدرجة أني قلت له: أنت الذى فتحت كوبرى عباس، وأسقطت طلبة الجامعة في النيل، فهل بهذا تكون وطنياً؟ قال: ليس أنا. قلت له: لا أنت. وقلت له السراى عميلة للإنجليز وأنتم الحكومة عملاء لهم والشعب كله يعلم هذا. فقام وثار لاتهامه بالخيانة وفي النهاية هددني" مادام رأيك فيّ هكذا، ففي الصباح ستعودين للسجن وستقدمين للمحاكمة فشنقك لا يكفيني». قلت له افعل ما تريد وانصرفت.

وفي الطريق ظللت أؤنب نفسي. وقلت بدلاً من أن أخدم زملائي ،زودت الخناق عليهم. كان لابد أن أمسك لساني.

وعندما وصلت المنزل حضرت شنطتي على أساس أنهم سيأتون في الصباح يأخذونني وطوال الليل لم أنم ، لكن مر يوم واثنان. ثم جاء العيد، وطبعاً الوزارة لا تعمل.

وبعد مرور كم يوم. جاءني العسكرى من الهايكستب وقال لي: ماذا فعلت؟ فكتبت

خطابًا لزوجي بدموعي بأنني ارتكبت جريمة كبرى في حقهم،وبدلاً من أن أستعطفه للإفراج عنكم،وقعت في الاستفزاز لكن هو الذي استفزني وأنا أعتذر لك وللزملاء.

بعد يومين جاءني خطاب منه ، قال لي: أنا عرضت خطابك على الزملاء، وأعجبوا جداً بشجاعتك ويقولون لك ولا يهمك.

بعد العيد. ذهبت للداخلية -قلت أقطع الشك باليقين وذهبت لمكتب القلم المخصوص .قلت لهم أنا جهزت شنطتي منذ أسبوع لماذا لم تأتوا لتأخذوني؟ هل تتعبون أعصابي. فقال لي عمر بك رئيس القلم المخصوص وهو يضحك :لن تقبض عليك. فقبل أن ينصرف النقراشي باشا، قال لا أحد يقترب منها اتركوها، لا تستحق وهي بنت صغيرة ولديها أطفال، وعلى كل حال هي شجاعة لو كان زوجها مكانها لما كلمني بهذه الجرأة.

بعدها بفترة اغتاله الإخوان المسلمين أمام المصعد في وزارة الداخلية. وأنا تأثرت إنسانياً من أجله بسبب موقفه الكريم معي.

فكرة السرية في العمل

التنظيمات السرية- كانت ضرورة في ظروف معينة وفي أوقات بالذات .فمثلاً بالنسبة للثورة البلشفية. كان الحكم القيصري لا يسمح لأي عمل علني،كانوا يرسلونهم لسيبيريا وحتى لينين هرب من روسيا، وعندما عاد كانت هناك ضرورة لأن يعمل تحت الأرض للتحضير للثورة. لم تكن هناك أية فرصة للعمل العلني. ولا اجتماعات تناقش علنا والشيء الذي أتخيل أنه لعب دوراً علنياً في التمهيد للثورة، هي قصص وروايات جوركي وتولستوي .. وتصويرهم للظلم في المجتمع بشكل فني سائد الحركة في إيقاظ الوعي . وهنا في مرحلة أيضاً كان لابد أن يكون العمل السياسي تحت الأرض، لكن لا مانع أن العمل لسرى يوازره عمل علني. فلكل منهما مميزاته وعيوبه ،فالعمل الحزبي يكون أسلوبه أقوى لأنه ممنهج وهو مفروض أن يجمع مجموعات ويمثل طبقات مختلفة ويقدم مادة علمية مدروسة. وكان كرريل يعجبني ويمتاز عن الآخرين، لأنه برغم أن لديه تنظيماً سرياً، كان مهتمًا جداً بالعمل العلني نحن كنا نسميه العمل الجماهيري- ففي العمل السري يستقطب المثقفين وذوي الوعي والفهم الذين يستطيعون استيعاب النظرية، والعمل الجماهيري يتصل بالجماهير اتصالاً مباشراً من خلال

ناس ممنهجين ويقرأون ولديهم النظرية ،ولكن لا يقولون للناس قال ماركس ولينين ،فمن خلال تعاطفنا مع آلامهم ومشاكلهم يرون نموذجنا- أشخاص لديهم فكر يدعون للعدل وضد الظلم ويساعدون الناس ،من خلال عمل يفيد الناس ويحسوه.

تجربة السفر للمؤتمر التاسيسى للاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى

بدأت فى الحركة الاشتراكية العلنية، ولم أنضم لتنظيمات سرية، بل كنت أنشط فى العمل الجماهيري دون أن أكون منظمة ،وكان كل الشيوعيين يعرفون بعضاً. لكن لا نعرف بالضرورة فى أى تنظيم، إنما نعرف أنه شيوعى.

وعندما كنت أشعر أن هناك أي عمل جماهيرى، فيه خدمة للناس، كنت أشترك فيه .

وكان كوريبل لديه القدرة على اكتشاف قدرات الآخرين ونوعية هذه القدرات وحدودها ،والذى يرى أنه لا يقبل العمل السرى، يستفيد منه فى العمل الجماهيرى ،وعندما سمع عنى أرسل لى موسى عبد الحفيظ ،وقال لى إن كوريبل يريد مقابلتك. سألت لماذا. قال لا أعرف. قلت له: أنا أسمع عنه وأريد أن أراه. أبوه كان له مكتب فى وسط البلد. وذهبت لمقابلته هناك وتحدثت معه وعندما طلب منى الاشتراك معه فى التنظيم .شرحت له موقف زوجى من ذلك.

وبالرغم من أن كوريبل كان يرشحنى للجنة المركزية، إلا أنه عندما علم أن هذه الحكاية ستسبب هزة فى بيتى طلب منى: أن أحافظ عليه وقال لى تعالى معنا فى العمل الحر-العلنى .. أى اشترك فى التنظيم، لكن فى نشاط علنى.

وقال إنه سيتصل بى عندما يكون لديه عمل يحتاجنى فيه ،وبالفعل فى يوم أرسل لى وأخبرنى بأنه توجد دعوة لمؤتمر نسائى دولى وأنا رشحتك له. قلت له: أنا لست عضوة فى الحزب، لماذا ترشحنى؟ قال لى: أنا أشعر أن شخصيتك يمكن أن يكون لها حضور هناك. فقلت له أنا لغاتى الأجنبية حتى مرحلة الثانوية،خصوصاً الفرنسية لغة ثانية، فقال لى كل المشاكل سوف أحلها اكتبى ورقة بعد أن تقرأى أوراق التحضير للمؤتمر. لو ذهبت ماذا ستفعلين ومن تمثلين. ففكرت، وكنت دائماً أكتب فى قضايا العمل والعمال قلت له - أنا فكرت أمر على المصانع وأحصل على تفويضات من العاملات وأدرس أوضاعهن ومشاكلهن، بالتالى يكون

تقريرى للمؤتمر حول مشاكل وقضايا وضع المرأة العاملة قلت له هذا سيغطى القوانين الظالمة والبؤس الذى فى البلد والحركة النقابية. فقال لى فكرة جيدة .. وكلف زوجته أن تخرج سيارتها معى لتزور المصانع و عاملات التليفونات والممرضات والعاملات الصناعيات. وكنت أعرف نفسى بأنى صحفية. طبعاً بعض الناس منعونى، وناس أخذوها على أنها عمل صحفى، وآخرون قالوا أنى أتيت لتحريض العاملات.

كان اسمه المؤتمر التأسيسى للاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى ،وسافرت بصفتى بنت الشعب فأنا لست جامعية ،وكلف كوريبل سيدة فى السوربون بأن تلازمنى طوال الوقت للمعاونة فى اللغة. كما كانت هناك سكرتيرة عامة للمؤتمر اسمها مارى كلود أحبتني جداً وساعدتنى.

وسافرت إنجى أفلاطون معى على نفس الطائرة، بترشيح من (رابطة فتيات الجامعة والمعاهد العليا). وقد كنا نعمل مع بعض فى العمل العام ،حيث كنا نتقابل أنا وإنجى ولطيفة فى "دار الأبحاث" باعتبارها منبراً علنياً.

ونبهنى كوريبل من البداية وقال لى بطريقة غير مباشرة، أنت لون وهى لون وكان يقصد الانتماء الحزبى، وقال لى إننى أمثل العاملات، وهذا سيعطينى نوعاً من التميز وسيكون له صدى كبير لديهم ، ورغم ذلك اتصلت بإنجى واتفقنا أنها ستتكلم عن الاحتلال الإنجليزي لمصر ،وأنا سأتكلم عن الطبقة العاملة فى مصر ومشاكلها وكتبت تقريراً.

وكانت تجربة المؤتمر مهمة- فالصدى كان طيباً لى ولإنجى- فبالنسبة لقضيتنا الوطنية، اتخذ المؤتمر قراراً بالاحتجاج على احتلال الإنجليز لمصر - حتى المندوبة الإنجليزية- أرسلت برقية لرئيس الوزراء فى إنجلترا تحتج فيها باسم نساء العالم كله على احتلال مصر وبأن الشعب المصرى لابد أن ينال استقلاله. واتخذ المؤتمر أيضاً موقفاً شبيهاً- بالتضامن مع القضية المصرية. ونشر ذلك، حيث كانت هناك متابعة صحفية للمؤتمر.. ليس فقط من فرنسا ،ومن ثم فرضت القضية المصرية نفسها فى وقت كنا نحتاج لذلك.

الشىء الثانى- كانت الفكرة عن التحضر فى المجتمع المصرى مشوهة،فعندما كنت أقول عاملات، كن يتساءلن- هل فى مصر عاملات؟ أشياء بهذا الشكل ... وتكلمت عن كفاح العاملات ومشاركتهن مع العمال فى الإضرابات وفى النضال.وطبعاً كنت أقول إن الفكر

الاشتراكى أحدث تنبيهاً للوعى وأصبحت مصر من الدول المؤسسة للاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى وما زال موجوداً حتى الآن- وفى النهاية كانت سيزا نبراوى وكيلته وبسبب ذلك طلبوا منها الاستقالة من الاتحاد النسائى .

وترجع أهمية المؤتمر أيضاً،أنه حتى ذهابنا كان الاتحاد النسائى بزعامة هدى شعراوى هو الممثل الوحيد دوليا للمرأة المصرية ومن بعدها سيزا نبراو ى ،كما أصبحت أيضاً هدى شعراوى وكيلة الاتحاد النسائى الدولى الذى يتكون من عدة اتحادات ومن نساء من دول استعمارية ،وكن يرفضن الدخول فى السياسة،أى يتكلمن فقط عن القضايا النسائية.ومن ثم كان أقرب إلى أن يكون استعمارياً .وفى مواجهة هذا الاتحاد تأسس الاتحاد النسائى الديمقراطى العالمى الذى يمثل نساء العالم ولكن من منظور متقدم. وكان يعتبر هذا مكسباً للحركة اليسارية .

وبعد انفصالى عن زوجى كانت لى حرية الاختيار ،فأنا انفصلت عن زوجى أظن فى ١٩٥٥/٥٤. وفى سنة ١٩٥٦ انضممت إلى حدتو، بعد أن قال لى فتحى خليل زميلى فى روزاليوسف ،بأنه يسعده أن انضم إلى التنظيم، فقلت: هذا ما كنت أتناه من زمن لكن الظروف العائلية لم تسمح. وبعد ذلك أتى لى السحرتى وقال لى- نحن رشحناك لقسم. وكنت وقتها وضعت خطة لحياتى المستقلة بأن أول شئ أفعله بعد الانفصال هو استرداد لقبى العائلى. فيصبح اسمي سعاد زهير، وأن أوقع كتاباتى باسم سعاد زهير،وأبحث عن عمل ثابت لكى أستطيع أن أكون مستقلة اقتصادياً.

وقد كنت أعمل قبل انفصالى مع درية شفيق التى كانت مسئولة عن مجلة (بنت النيل) وكانت صديقة فتحى وتأتى لزيارتنا فى المنزل وكنت أكتب فيها بين الحين والآخر بدون انتظام، بسبب مسؤولياتي العائلية. وكان جزء من العمل هو الرد على خطابات القارئات،حيث قالت لى إننى أستطيع أن أبث أفكاراً جديدة بالنسبة للمرأة.استمريت على هذه الحكاية فترة .. ثم بعد الانفصال بدأ يتزايد عملى فى المجلة إلى أن تم تعيينى.وقد حاولت إعطاء المجلة نغمة جديدة ومنظوراً جديداً للمرأة،وقضاياها بعد أن كانت تهتم بالأزياء والموضة ...

وعندما وضعوا مشروع الدستور سنة ١٩٥٦ كانت هناك معركة داخل اللجنة التى تضع الدستور حول حق المرأة فى الانتخاب .لذلك اهتممنا بهذا الموضوع فى المجلة وأصدرنا عدداً

خاصاً لتبنى القضية، واستضفنا المستشار ... عثمان وذكر لنا أنه مؤيد لحصول المرأة على حقها فى الانتخاب إلا أن الأغلبية داخل اللجنة ترى أنه لم يأت الوقت الذى يضعون فيه حق لانتخاب للمرأة.

واقترحت على درية شفيق أن نقوم بإضراب عن الطعام،احتجاجاً على عدم تضمين الدستور الجديد حق الانتخاب، وفكرنا أن نفعل ذلك فى نقابة الصحفيين ،وكانت درية شفيق تريد أن تكون هى النجمة. فقالت نقسم المسئوليات، بينى وبينها؛ بأنها سوف تبدأ الإضراب وأنا أتولى مسؤولية الإعلام عنه فى الصحف محاولة لجلب النساء إلينا.

أنا طبعاً فهمت أنها تريد أن تكون هى المتصدرة، وأنا بتكوينى ليس لدى الميل للظهور والتصدر، وأفضل العمل الإيجابي الذى يعبر أكثر عن نفسه. كما قلت إنها سيدة بورجوازية، وهذا سيساعد على إنجاح المشروع .

فذهبنا فى صباح يوم للنقابة، وطلبنا منهم أن يخلوا الغرفة لأننا سنقوم بعمل إضراب.فطبعا اهتزوا، وبدأنا نرسل للصحف فإذا بالنساء تتوافد. وكل فترة تأتى سيدة بشنطة وتقول أنا منضمة للمضربات فى وقت قصير اتسعت الحركة وانقلبت الصحف ووكالات الأنباء.

وأنا غطيت كل ذلك إعلامياً، وأرسلت الحكومة من يتحدث معنا بعد أن شعرت بخطورته، واستغلت الدول المعادية لثورة يوليو الحكاية وبدأوا يكتبون (ثورة نساء مصر ضد الحكم العسكرى) فتنبهت وقلت لدرية،أننا كنا نريد أن نجعل الحكومة تعترف بالحق، لكن يبدو أن الإضراب سوف يستغل ضد مصر فيجب ألا نكون نحن الأداة التى يستغلونها. فكان لابد من التفكير فى مخرج وخصوصاً بعد أن بدأنا خطوة تجاه هدفنا. فكان رأيى أن نحاول إقناع الحكومة بأننا لن نتنازل عن طلبنا ،ونرجوهم أن يغلقوا الباب فى وجه استغلال هذه الحركة ضد بلدنا. فنحن ليس هدفنا إحراج الدولة.وفعلا أرسلوا لنا أحد رجال الثورة الغير مشهورين فتكلمت معه أنا ودرية شفيق فى غرفة بمفردنا. وقلت له: أن الحل الوحيد أن تغيروا اللجنة التى تضع الدستور وتأتوا بلجنة جديدة، فقال أن اللجنة التى كانت تضعه تجاهلت حق المرأة، وقد قمنا بحلها لأننا مؤمنين كثورة بإعادة تشكيل الحياة فى مصر.وبحق المرأة، لذا كونا لجنة جديدة من شخصيات مستنيرة، وتقريباً هذا هو ما حدث. لم يحلوها، لكن أدخلوا فيها عناصر جديدة، ووضعوا حق المرأة فى التصويت والانتخاب. والمسألة لم تكن سهلة، بل أخذت

مساومات كثيرة. ففي البداية قالوا نبدأ بالتصويت فقط كمرحلة أولى. فقلنا لابد من التصويت والانتخاب.

ولم يعجب هذا الحل درية شفيق. لماذا ؛ لأن ما كان ينشر بالخارج جعلها نجمة وأظهرها كمتصدرة للحركة. وقالت أنها ستظل مضربة حتى يوضع الدستور. ومن هنا حدثت نقطة خلاف بيني وبينها. وتركت بنت النيل بعد تصميمي على أننا لم نقم بالإضراب من أجل الإضراب. طالما أنهم أعطوا لنا وعداً وبدأوا في تطوير اللجنة.

وتبينت أنها كانت تحاول أن تستفيد من توجهاتي في الكتابة المتقدمة، لكن هي في داخلها كانت بورجوازية رجعية. إلا أنها وجدت هذه نشرة براقة.

بعد ذلك بوقت قليل حددوا إقامة درية شفيق واتهموها بأنها قامت بهذه الحركة بهدف الشوشرة على ثورة يوليو.

بعد ذلك ذهبت لمقابلة إحسان عبد القدوس وأبديت له رغبتي في العمل في روز اليوسف، فرحب بي، وكانت روزاليوسف تفتح أبوابها للكتاب اليساريين بالذات عن ذكاء منها- فأحسست أنني وجدت مكاني. كان ذلك عام ١٩٥٦ وكان وقتها محمود أمين العالم مدير تحريرها وكان هناك فتحي خليل وجمال كامل، كلهم رحبوا بي، وأتذكر أني أعددت موضوعاً عن النقابيات، وأعطيته للعالم. وكنت أسلم المقالة وانصرف. بعدها طلب مني محمود العالم أن أحضر بانتظام ويكون لي مكتب.

وقد تغلب إحسان على مشكلة ضعف مرتبات المجلة في ذلك الوقت بأن خصص لي إلى جانب المرتب مكافأة شهرية عن باب أحرره أسبوعياً عن نشاط المرأة، ولأنه إنسان فنان فقد راقه اقتراحي أن أبدأ من أول درجات العمل الصحفي عندما صارحته بأن خطتي بعد الانفصال عن زوجي أن اعتمد على جهدي الذاتي في إعادة بناء حياتي وتشكيل شخصيتي المستقلة.

وقد اشترطت ذات الشرط عند انضمامي للتنظيم أن أبدأ من أول مستوى، فدخلت في خلية، وبعد ثلاثة أشهر قالوا لي أنهم صعدوني لمستوى القسم وعهدوا إلى مسؤولية خلية جديدة مكونة من نتحية العسال وإجلال السحيمي وثريا إبراهيم.

كان انضمامي إلى حدتو، بعد رحيل كوربيل، والذي رشحني نتحي خليل زميلي في روزاليوسف، ثم بعد عامين حدثت الوحدة في ١٩٥٨. التي لم تكد تبدأ حتى بدأت معها

الانقسامات وسوف أتحدث بالتفصيل بعد قليل عن ذلك.

وبدأت الاعتقالات فى يناير ١٩٥٩، وفى البداية اعتقلوا الرجال وتركوا النساء. ثم فى مارس. فوجئت عندما ذهبت إلى روزاليوسف ذات يوم، بحركة غريبة، وعلمت أن البوليس جاء وفتش المكاتب والأدراج وأخذوا عدداً من المحررين منهم فتحى خليل وحسن فؤاد وعبد الستار الطويلة وآخرون، ولم يكن هناك من المحررات اليساريات سواى ..فسألت وهل سألوا عنى أنا أيضاً قالوا لا ..بعد ذلك علمت أنه تم القبض على عدد من الزميلات من بينهن إجلال السحيمى وثريا إبراهيم من الخلية التى أتولى مسئوليتها. وكل منهما تركت طفلة، وبدأت أتساءل، لماذا تركونى أنا وراودنى شعور بتأنيب الضمير كأننى المسؤولة عن ذلك. إلى أن عرفت من قريب لى فى موقع مسؤول، بأن عبد الناصر كان قد أعطى أمراً فى البداية بعدم القبض على النساء..ولكن عندما تحركت السيدات المنضمات بعد اعتقال الرجال قال هاتوهم هم أيضاً ولكن فقط من المستويات العليا - اللجنة المركزية والمناطق - أثناء هذه الفترة، بدأت أسأل على الزميلات والزملاء من منهم تم القبض عليه ومن لم يقبض عليه. وفى يوم دق الباب وكنت أعيش مع أخى فوجدت زميلاً كان مسئولاً عنى- كنت اعتقد أنه قبض عليه. إلا أنه حكى لى: أنه عن طريق الصدفة لم يقبض عليه حتى الآن، حيث كان قد نقل سكنه فى اليوم السابق إلى حى آخر وترك بعض متعلقاته ومنها شنطه فى فناء العمارة التى كان يسكن فيها لحين عودته من عمله ظهراً ليأخذها إلى سكنه الجديد، إلا أنهم أتوا فى المساء ولم يجدونه يجدوه الشنطة، وكان بها منشورات ولما عاد علم بما حدث ووجدها فرصة للهرب.

وكلفنى بمهمة عاجلة وهى توصيل بعض المعونات المالية لأسر الزملاء، التى بدأت تعانى من انقطاع موارد معيشتهم بسبب اعتقال الزوج أو الابن. وانفلت منى سؤال منزعج لماذا اخترتنى لهذه المهمة، فأجاب وهو يحدجنى بنظرة طويلة أغرقتنى كلماته فى عرق الخجل من نفسى. بأنه يعفينى لو كنت أرى مخاطرة على نفسى من ذلك، وقد ذكرتنى على الفور بحكاية سمعتها عنه منذ أيام قليلة تحكى أن والده وهو شخصية اقتصادية كبيرة فى الإسكندرية سعى حتى حصل له من عبد الناصر شخصياً بوعد بتسهيل خروجه من مصر إلى أى بلد أوروبى بدعوى استكمال تحضير رسالته للدكتوراه، ولا يعود إلا بعد أن تستقر الأمور ولكن المفاجأة وربما لعبد الناصر نفسه وليس لوالده فقط. أنه هو الذى رفض ذلك العرض المغرى وقال للذين

أبلغوه به أن ضميره لا يقبل له أن يفر بجلده ويترك زملاءه بالسجون يواجهون مصيرهم المجهول.

لحظتها أحسست بنفسى صغيرة جداً أمامه وحتى أخفف ارتباكى علقت متضاحكة (دا أنتم لسه ناس بتوع مبادئ أهو) ولم أعد أتردد فى تقديم أى معونة تساعده على مواصلة الهروب، فبحثت له عن شقة مفروشة بالإيجار وذهبت معه وقلت لصاحب البيت أنه أخى وأننا من الإسكندرية، وأنه مختلف مع العائلة وأنا أخته الكبيرة، كما كنت حلقة وصل. فبدأ يتصل بى عن طريق شخص آخر أظن كان النشار. وأعطانى أموالاً وكشفاً بالعائلات التى سيتم التوزيع عليها، ووقتها اقتربت من عدد من زوجات وأمهات المعتقلين. فرأيت أم محمد عثمان هذه السيدة العظيمة. ولم أكتف بهذا بل كنت أذهب أيضاً للداخلية لاستخراج تصاريح زيارة باسم غير اسمى، وأحياناً كانوا يحتاجوننى فى كتابة تظلمات، كما قمنا أكثر من مرة بمظاهرات فى الشوارع، ولم يتركنا البوليس طبعاً بل كانوا يجرون وراءنا ويضربوننا.

وظللت هكذا حتى قبض عليه بعد حوالى ثمانية شهور، وقدم للمحاكمة مع زملائه وكان نصيبه خمس سنوات سجن قضاها كاملة.

وأريد باستعادة هذه الحكاية القديمة أن أقول أن التجربة علمتنى ألا أقع فى مصيدة تعميم الأحكام لأن الاختلاف غالباً ما يكون فى الطبيعة البشرية للأفراد وليس فى المبادئ ذاتها.

الخط السياسى والوحدة

عشت فترة فى جاردن سيتى مع أخى، كان فاروق ثابت مسئول المنطقة، ثم ذهبت لبيت أمى فى العباسية. وهناك ظللت فترة بدون ارتباط مع أحد. وفى هذه الفترة كان موضوع أزمة الوحدة. كنت أسمع كلاماً من هنا ومن هناك، ولكن لم أستطع الحكم على الموضوع لأنى لست متداخلة فيه. وذات يوم جاءنى أحمد الرفاعى وطلب منى أن أصحبه لمقابلة عبد العظيم أنيس -وكان عبد العظيم أنيس فى الجناح الآخر (الراية)- للاشتراك فى مناقشته فى الاتهامات المثارة حول عملية الوحدة. وذهبت معه ورغم محاولتى الدفاع عن موقف حدتو، إلا أننى خرجت وفكرى مضطرب بعشرات الأسئلة عن الحقيقة فى الاتهامات التى أطلقها عبد العظيم أنيس حول الكشوف التى شملت الجميع التى قدمتها حدتو بأعداد مبالغ فيها عن أعضائها

خاصة بالنسبة للمستويات العليا -اللجنة المركزية والمناطق بهدف الحصول على مقاعد أزيد فى هذه المراكز فى تنظيم الموحد الجديد، ولأننى كنت بعيدة عن هذه الخلفيات فقد قصرت مناقشتى معه على الخلاف حول الخط السياسى. وانتهت المناقشة وخرجنا ولم نصل إلى شئ.

وفى الطريق، طلبت من أحد أن يبلغ القيادة بضرورة عمل تحقيق، وأن يأتى مسئول ليجلس معى و يناقشنى ويرد على كل هذه النقاط وإلا فإننى لا أستطيع الاستمرار بعيون مغمضة وأرفض الأساليب الملتوية بطبيعتى. فبدلاً من أن نضع قيماً جديدة نفعل ذلك! وانتظرت أن يرد على فلم يسأل ،وظللت ستة أشهر لا أذهب لأى مكان ولم يرد أحد .وقلت احتمال لأنى انتقلت إلى منطقة أخرى لم يتصلوا بى إلا أننى لم أجد أى إجابات. كان كل هذا قبيل الاعتقالات مباشرة، فكنت ضائعة بين الاثنين.

استراتيجية التنظيم ولائحته

لم أكن متداخلة فى العمل التنظيمى. فى هذا الوقت كنت صحفية لامعة ،وهم ضمونى إليهم بهذا الشكل، لكن لم أكن محتكة تماماً بما يسمى المطبخ أو الشئون التنظيمية.

ولكن طبعاً كان له برنامج ولائحة. وكانت هناك نشرة تصدر للعمال وتوزع بشكل كبير جداً.

قضية الثورة الاشتراكية مرحلة واحدة أم مرحلتان وعلاقة التنظيمات بالفلاحين

كانت هذه القضية مثارة داخل التنظيمات ،فالبعض كانوا يرون أن ظروف الشعب المصرى لا تسمح بقيام ثورة غداً. وهذا أيضاً كان يعود لعجز فى التنظيمات السياسية. فالتنظيمات السياسية لم تكن تصل مثلا لأعماق الريف. بالرغم من أن الفلاح هو عماد البلد ،ففى ثورة ١٩١٩ وصل نداؤها إلى أعماق الريف والكفور من خلال جمع التوكيلات فى البداية ،ففى الحقيقة الذى قام بالثورة هم الفلاحون فى مصر والإسكندرية.

وفى الاتحاد السوفيتى كان للفلاحين دور كبير جداً فى الثورة البلشفية وليس العمال فقط،وبفضل لتنظيمات البلشفية التى كانت موجودة رغم أنهم كانوا يُضربون ويتم نفيهم وإعدامهم،لكن استطاعوا أن يصلوا لقلب لريف. والفلاح الروسى كان يستشعر الظلم إلى الحد الذى لا يجعله يخاف من اشتراكه فى الثورة.

لذلك كان هناك ناس يرون أن الشعب المصرى لم يصل لدرجة لوعى التى تجعله يقوم غداً بثورة شعبية، فكانوا يقولون بمرحلتين : الأولى لابد أن يحدث فيها إيقاظ للشعب وتوعيته، ثم عندما يصل الشعب لمرحلة امتلاك الوعى الكامل- تكون هذه هى المرحلة الثانية.

وكانت حدتو أفضل التنظيمات بالنسبة للاقتراب من الفلاحين، أما باقى التنظيمات كانو كلهم مثقفون، بل حتى ليست لديهم لغة لمخاطبة الفلاح، وكانت حدتو تحاول أن يكون لها عدد من الأعضاء فى أكثر من قرية.

وكنت أرى أن الثورة كما يقولون عنها هى عملية جراحية. ولابد أن يمتلك الثائر القدرة على التقييم السليم للموقف. وليس أن نهلك أنفسنا. فالفرد يمكن أن يهلك نفسه ويموت وحده، دون أن يحقق شيئاً، فأنا نظرياً كنت أرى أن الشعب المصرى يتحرك بدون دعوة فى حالة الأزمة الوطنية، وهذا كان واضحاً فى ثورة ١٩١٩، لكن الأزمة السياسية تحتاج لوقت وعمل سياسى قوى جداً يصل للريف، وللمصانع.

دور المحترفين فى التنظيم

تجربة الاحتراف منتشرة فى العالم كله، ولكن له شروط. وليس مجرد أن شخصاً يريد أن يتفرغ للحزب. فلا بد أن يكون المحترف لديه العقل المفكر والمنظم الذى يستطيع أن يعطى ويرسم استراتيجيات. وألا يكون هناك شئ آخر يشغله ،وعلاقاته تكون فى خدمة لعمل. أى يكون قائداً. ليس زعيماً ولكن قائداً للعمل. ومن هذه الزاوية لابد أن يحتاج أى حزب للاحتراف.

والمشكلة إذن فى اختيار المحترف. لابد من الدقة الشديدة فى اختيار المحترف بحيث أن تكون لديه المواصفات التى تعطيه الحق فى الاحتراف.

ولأنى لم أكن مندمجة فى الأشياء التنظيمية. فلا أستطيع أن أقدم أسماء محترفين أدو دورهم على الوجه الأكمل.

دور اليهود فى الحركة والقضية الفلسطينية

فى الفترة الأولى من حياتى أثناء زواجى،كان الزوج فاقد الثقة فى هذه الأحزاب لنشأتها وتكوينها على يد اليهود فأنا كنت أسمع منه، وأذكر أنى تناقشت مع كورييل ذات مرة عندما

طلب منى الانضمام للتنظيم. وقلت له أنا لى ملاحظات وأنت يهودى ومؤسس التنظيم ،إلا أنه قال أنه ليس مع إسرائيل ولكن مع أصحاب الأرض. وأعطانى محاضرة شرح لى فيها أن الشيوعى ليس شوفينياً بل دوره أن يرتفع عن التحيز الجنسى والعرقى فلا يكون ضد المرأة أو اليهود أو السود ،وإذا تحيز لا يكون شيوعياً،ثم قال لى أن حدتو تضم أقل عدد من اليهود وأكثر التنظيمات تمثيلاً للطبقة العاملة ،وأذكر أنه قال إن الشيء الذى ينقصنا ونعمل على استكماله هو الوصول إلى القرية.

ومن جانبى كان كل ما يشغلنى كيف نستطيع تكوين مجتمع فاضل بداخله أناس لهم مثاليات وأخلاق وشرف لا يتفق مع روح الاستغلال.

فأنا لست ضد الأجانب كأجانب، ولكن أنا ضد الأجنبى المتحيز الذى لديه روح الشوفينية. لذلك يجب أن نفرق بين الإسرائيليين واليهود. كما يجب مراعاة أن اليهود لديهم- حتى غير المتعصبين منهم - تكوين تاريخى محفور داخلهم ،يجعلهم يعتقدون أنهم شعب الله المختار وأنهم ظلموا تاريخيا.

ومن ثم فهذا الموضوع لا نستطيع أن نضع له قاعدة يمكن إطلاقها على الجميع. فحالة كوريل يقابلها حالة الزميلات فى سجن الأجانب اللاتى فرحن عند انتصار اليهود-كما ذكرت سابقاً- فالفاصل أن يكون شيوعياً حقيقياً .

ولا أستطيع أن أدعى أننى كنت أعرف موقف الحزب من القضية الفلسطينية فى فترة الحرب، فلم أكن منظمة. ولكن كنت أعرف أن موقف التنظيمات عموماً تأييد قرار التقسيم، على أساس أن الاتحاد السوفيتى تبناه وإن كنت قد اكتشفت فيما بعد أن الاتحاد السوفيتى لم يقل بالتقسيم منذ البداية،لكن عندما وجد مؤازرة الإنجليز لليهود وترك السلاح لهم عاد الاتحاد السوفيتى وأحدث تفعيلاً للموقف. أصبح قرار التقسيم إنقاذ ما يمكن إنقاذه خوفاً من استيلاء الإسرائيليين على فلسطين كملة.

وهذا ما ذكره الذين دافعوا عن قرار التقسيم ،حيث قالوا إنه أفضل للعرب أن يعيشوا ويتعايشوا فى مجتمع مع اليهود، وكانت الحسبة أن اليهود أقوى، فلو العرب استطاعوا أن يتعايشوا مع اليهود فى تكوين مجتمع ديموقراطى فإن هذا سيكون جيداً. إلا أن الفلسطينيين فى المرحلة الأولى مكنوا اليهود من خلال بيع أراضيهم ورحيلهم، فلم يكن الفلسطينيون

متنبهين أن المسألة ستصل إلى حد الصراع.

وأنا طبعاً مع أن يكون للفلسطينيين وطن، فهم لهم حق الأرض وهذا حق تاريخى والمفروض ألا يفرط الإنسان فى أرضه، أوعلى الأقل يأخذون نصف الأرض.

أما رأيى وقتها فى قرار التقسيم، فكما شرحت سابقاً كنت ضد قرار التقسيم أنا وزوجى، فكنا نخاف من قرار التقسيم، كنا نعرف أن الفلسطينيين ليست لديهم خبرات بناء دولة أما الآخرون متقدمون، فكلهم مهاجرون من دول متقدمة، وكنا نشعر بهذا الشكل أنه سيتم وضع الذئب بجانب الحمل، وأن اليهود بقرار التقسيم سيكون لديهم وجود شرعى يمكنهم من السطو على الأرض العربية.

لكن المؤامرة التى حدثت وقتها (الحرب ودخول العرب فيها) مكنت اليهود من الاستيلاء على فلسطين بحد السيف!

وفى البيان الذى قبض علينا بسببه كما ذكرت لم نتعرض فيه لقرار التقسيم، بل تعرضنا لهذه المؤامرة.

الاحتلال الإنجليزى واتفاقية الجلاء سنة ١٩٥٤

ذكرت تجربة أبى فى مقاومة الإنجليز والمطالبة بالاستقلال، وكنت أؤمن بأنه لابد أن تكون هناك هبة شعبية، أى أن الإنجليز لن يرحلوا بالكلام، ولو أدى الأمر إلى حرب عصابات لابد أن يشعروا بقوة الشعب المصرى لكى يرحلوا. وقد نظم فتحى إضراباً عن الطعام سنة ١٩٥١ لإلغاء معاهدة ١٩٣٦ فى نادى الكتلة الوفدية. وبالفعل جذب الإضراب الكثيرين. وأعطتهم الحكومة وعداً بأنها ستفكر فى إلغاء المعاهدة. وتصورنا أن هذه الوعود فقط لن تكفى لحل المشكلة لذلك فكرنا بأنه لابد أن نشارك فى المقاومة، لأن هذا هو الضغط الحقيقى. فالشعب كله يجب أن يشترك فى مقاومة القنال لإخراج الإنجليز.

وبدأت تنتشر فرق المقاومة، كان وقتها فؤاد سراج الدين وزير الداخلية، وقيل إنهم كانوا يرسلون ضباط الجيش ليدربوا الفدائيين- وهذه من الأشياء القليلة التى قام بها الوفد- وبدأت الصحف تكتب ومنها جريدة المصرى.

وذهبنا أنا وفتحى واثنان من الزملاء لبورسعيد لنرى تطور الموقف وسألناهم عن كيفية

مساندتهم ؟ فطلبوا منا توفير السلاح لضرب الكامبات الإنجليزية.

وعندما عدنا إلى القاهرة بدأنا بكتابة بيان لتوزيعه على عساكر الإنجليز نقول فيه على ما أتذكر- (نخاطبكم بأن تعودا إلى بلادكم، وترفضوا من يقودونكم لاحتلال بلاد الناس،فاطلبوا أن تعودوا). واستمر فتحي في كتابة منشورات.

ولكن ظلت فى ذهنى مسألة كيفية توفير بعض السلاح للفدائيين، وخصوصاً بعد أن سألت وأنا فى بور سعيد من أين يأتون بالقنابل؟ وقالوا إن هناك بعض الكيميائيين المصريين يصنعون قنابل مولوتوف فلو وجد أحد الكيميائيين العاطفين على الحركة يمكن أن تحل المشكلة .فبدأت أسأل من أعرفهم، وعندما جاء لزيارتنا أحد الأصدقاء وهو سعد زغلول فؤاد ذكرت له الموضوع ووعدنى بأنه سوف يتولى هو البحث لتوفيرها ،وبعد ثلاثة أو أربعة أيام قال لى أن هناك شخصاً مهتماً بالحركة وهو (عزيز المصرى باشا) وقد وعدنى بأنه يستطيع بسهولة توفير ذلك بحكم تردد الضباط عليه، فمن الممكن أن يأتوا له بأسلحة. إلا أنه طلب أن أقابله عندما عرف من سعد بأنى وراء الموضوع ،وكان وقتها مفروض عليه الإقامة الجبرية فى عين شمس فى فيلته وحولها سور وأسلاك وعسكرى يقف على الباب ، فذهبت وقابلته بعد أن تسللت من خلال جزء من السور لم يكن عليه سلك. ووعدنى فعلاً بأنه سوف يرسل مع سعد هدية لى خلال أيام.

وبعد أسبوع جاء سعد ومعه شنطة،وقال لى إنه رتب لسفرها إلى بورسعيد،إلا أن هذا سيكون غداً ،ومن ثم لابد أن احتفظ بالشنطة حتى الغد.ووضعتها تحت السرير ولم أبلغ فتحى- يمكن نسيت أو خفت أقول له- ولم يعرف إلا عندما أتى سعد فى الصباح ليأخذها. فثار فتحى متسائلا هل كنت أنام طوال الليل فوق هذه القنابل.

وأذكر أيضاً ذات مرة أثناء زيارتنا لبيت أناس فى الإسماعيلية من الذين يعملون فى المقاومة، تحدثنا كثيراً عن كيفية توفير السلاح وكان هناك طفل عمره تسع أو عشر سنوات. سمع المناقشة، ثم فوجئت بعد يومين وأنا أقرأ فى جريدة المصرى ،حيث كانت تنشر كل يوم الحوادث التى تقع فى القناة. عن طفل اسمه نبيل منصور أخذ معه زجاجة كيروسين، ومر من الأسلاك الشائكة و خلع قميصه وبلله وألقى به على كامب إنجليزى، وطبعاً الإنجليز قتلوه. وقد ذكرنى ابنى لينين بأن هذا الولد هو الذى قابلناه فى بيت الإسماعيلية، وهذه القصة نشرت

فى جريدة المصرى بشكل بطولى، كما كتب فتحى عنه .

وقد ألف لبنين وكان عمره تسع سنوات كتاباً عن نبيل منصور، وطبعه فتحى له.

وبعد إلغاء المعاهدة بدأت المسائل تهدأ، ثم جاء حريق القاهرة، ثم ثورة يوليو.

اللجنة الوطنية للطلبة وللعمال

لم أكن فى الجامعة، لكن كان هناك زملاء من اللجنة أعرفهم وأتصل بهم. ففى يوم أرسلت لى لطيفة الزيات وكنا أحياناً نقوم بعمل جماهيرى معاً، كتوزيع منشورات ... فذهبت إليها ،وكانت طالبة فى السنة الثانية تسكن أسرتها فى شارع نوبار.وبدأت تشرح لى أنهم كونوا فى البداية لجنة للطلبة، ثم فكروا فى ضم عمال إلى الطلبة. فضموا عمالاً رجالاً فى البداية، ثم اقترحت لطيفة تمثيل للعاملات فى اللجنة. فطلبت منى ترشيح عاملة لتنضم للجنة. فرشحت حكمت الغزالى وهى أخت زميل لنا .كانت هذه العائلة غريبة. فيها الوفدى (سيف الغزالى) وفيها الإخوانية (زينب الغزالى) والثالث شيوعى (عبد المنعم) وكانت حكمت تعمل فى شركة غزل ونسيج بشبرا الخيمة، فذهبت إليها وكلمتها وحددت لها موعداً مع لطيفة. ثم ضموها للجنة وكانت لطيفة البنت الوحيدة الطالبة، وهى العاملة فى اللجنة المركزية . وأصبحت اللجنة الوطنية للطلبة والعمال.

وقد بدأ الطلبة المظاهرات ثم انضم إليهم الشعب. قامت مظاهرة من ميدان الإسماعيلية ومظاهرة أخرى فتح فيها كوبرى عباس على طلبة جامعة فؤاد -القاهرة الآن. وأنا خرجت فى المظاهرة الأولى، لكن لم أخرج فى مظاهرة كوبرى عباس.

الموقف من الأحزاب والقيادات الحزبية الأخرى قبل عام ١٩٥٢

عائلتى كانت وفدية.وأبى قبل أن يكون وفدياً كان فى الحزب الوطنى، ثم حلوا الحزب الوطنى وشتتوه فأصبح وفدياً كما سبق الإشارة ،وعندما كنت تلميذة فى الابتدائية كنت أخرج فى المظاهرات..

الوفد كانت له شعبية، لكن قيادته فى النهاية غلب عليها الإقطاعيون، فبدخول سراج الدين ومجموعة من الإقطاعيين، سيطروا على سياسته ،ثم مر الحزب بأزمة شديدة عندما فرض الإنجليز على الملك أن يتولى مصطفى النحاس الوزارة فى فبراير ١٩٤٢ . من بعدها بدأت

شعبية الوفد تهبط تماماً ،وفى هذا الموضوع كلام كثير فبعض الناس قالوا أن الوفد ارتمى فى أحضان الإنجليز من أجل السلطة. لكن الحقيقة أن الإنجليز استخدموه فى حركتهم، بعد خوفهم من دخول الألمان مصر،فأرادوا أن تكون هناك حكومة قوية حتى لو كانت وطنية لأن الشعب كان يهتف فى الشوارع (إلى الأمام يا روميل).

فى هذا الوقت حدث شيء مهم. أسس عزيز فهمى وكان ابن باشا من أعضاء حزب الوفد- لكن كان فى داخله اشتراكيًا- (لجنة الشبيبة الوفدية..)وظل ينمى هذا التيار بين الشباب الوفدى-وكان علنياً للطليعة الوفدية- وكانت مجموعة متقدمة، تكاد تكون معارضة داخل الوفد.

وعزيز فهمى كان له ثقل عند اليساريين،كان أحد أصدقائنا ،ولديه مكتب فى ميدان مصطفى كامل،فكنت أذهب إليه أحيانا عندما نقوم بنشاط أو نصدر بيانًا أعطيه له. كان متعاطفاً جداً، وحزنا كثيرا لموته.

حركة أنصار السلام

كان فيها يوسف حلمى وأظن يوسف درويش وسيزا نبراوى وإنجى أفلاطون- أنا عرفت بعد تأسيسها ، لكن لم يدعنى أحد للمشاركة فيها.

وقد يرجع ذلك لأن أكثر هذه التنظيمات كانت على علاقة سيئة بفتحى، لأنهم كانوا يرون أنه فردى وأحيانا كان هذا ينعكس على بالرغم من أنه كان مشروعًا علنيًا.وكنت أعرف إنجى جيداً إلا أنها مارست المكر معى ولم تذكر شيئا، كما كان هناك اختلاف بيننا من الناحية الفكرية فقد كنت أقرب لفكر حدتو، رغم أننى لم أكن منظمة فى هذه الفترة.

لكن كانت لدى علاقة قوية جداً بسيزا نبراوى.. ويمكن أكون أنا الوحيدة التى كتبت عنها فى روز اليوسف عند وفاتها.

سلطة يوليو وتنظيماتها

كان هناك تياران وتيار عريض ينظر إلى الثورة على أنها حركة انقلاب عسكرى ،بل ويعتبرها سرقت منهم الثورة الشعبية الحقيقية - ومنهم فتحى الرملى- فكانوا يرون أن الشعب بعد حريق القاهرة وتوالى تغير مجموعة وزارات غير محبوبة من الشعب وانكشاف السراى

بشكل واضح جداً، كل هذه الظروف كانت مهيأة لثورة شعبية. وكان ينقصها عود كبريت وتنفجر.

الخط الثاني كان لا يعادي ثورة يوليو،كان يختلف معها في أشياء ،ولكن وقف بشكل عام مع خط الثورة.

وأنا كنت أميل للخط الذي اتبعته منذ البداية والذي كان مع ثورة يوليو.ومع الإصلاحات التي قام بها عبد الناصر بالرغم من أنها ليست إصلاحات اشتراكية كاملة ،إلا أنه عندما أتى عبد الناصر وجعل التعليم مجانا ووزع الأرض على الفلاحين، وبعد أن كانت هناك بطالة شديدة قبل الثورة قام بتشغيل الخريجين فوراً، سواء ولداً أو بنتًا، وكانت هناك الضمانات الاجتماعية، كل ذلك جعلني أميل للثورة .وكنت أرى لديهم رغبة مخلصة في التغيير وفي إنقاذ الشعب. لكن ليس لديهم التمرس أو الخبرة أو النظرية التي تجعل هذه الثورة في صالح مطالب الشعب، وهذا ما أخذ عليهم من البداية منذ إعلان النقاط الست-مبادىء الثورة- فالثورة عندما قامت كان أول شيء فعلته أن ألغت الأحزاب والصحف كلها واستخدمت الأسلوب الديكتاتوري في التنفيذ، وحاولوا أن يقيموا عدالة اجتماعية. ويقيموا نوعاً من تكافؤ الفرص،لكن بأسلوب عسكري، وطبعاً كنت بفكري أؤيد الأسلوب الديمقراطي،فالديمقراطية بالنسبة لي هنا هي تمكين الشعب من التعبير عن نفسه و تحمل المسؤولية.

وأعضاء التنظيم لم يكونوا يدافعون عن الجانب غير الديمقراطي للثورة. لكن كانوا يقولون أن دورنا إحداث نوع من التأثير والتوجيه بتحلل الثورة.وهذا مشروع بدلاً من التضحية بكل المكاسب التي حصل عليها الشعب،خصوصاً أنه لم تكن هناك قوة أخرى مستعدة أن تحل محلهم، وهذه أيضاً من الأشياء السيئة للثورة إذ أنها حجمت كل القوى السياسية الأخرى ،بحيث يومها لو كان عبد الناصر وقع، لم يكن يوجد البديل.

الشيء الثاني الذي كنت آخذه عليهم أنهم كانوا يبنون الاشتراكية بناس غير اشتراكيين. فالضابط الذي يسرق في الجيش يضعونه رئيساً لمؤسسة ! فيها إنتاج عام تابع للدولة تحت مظلة أهل الثقة أهم من أهل الخبرة!! والتنظيمات السياسية التي أقامها هي التي نضت على كل مكاسب الثورة، بما فيها الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعي.فكلها كانت تنظيمات ليس

لديها فكر أو استراتيجية، بل تنظيمات هلامية والشعب لم يؤمن بها ولم تحرك فيه شيئاً. بالعكس كانت تعطى صورة سيئة للقيادة الموجودة وبالتالى لم تبن الثورة قوة سياسية اشتراكية أو حتى ليست اشتراكية بل متقدمة فى فكرها وأميل إلى الشعب وإلى قضاياه. لو كان هذا حدث، لم يكن السادات وجد الفرصة لينقلب بهذه السرعة ،فقد قال أنا فرقتهم بعصا ،وهذا يرجع إلى أن الجهاز السياسى الموجود لم يكن يملك لا النظرية ولا الفكر أو التكوين ولا حتى الانتماء الطبقى الذى يجعله يستطيع أن يصمد ويدافع عن مكاسب الثورة.

فكان جمال عبد الناصر محرك الأشيا ،،وكان يملك ميزة وعيباً. عيبه أنه كأى رجل عسكرى يخاف من الشعب.والميزة التى كانت فيه أنه شخصية قابلة للتطور .ليس استاتيكياً يظل واقفاً مكانه.

وقد فهم أن أمامه قوتين يمكن أن تنافساه على السلطة، ليس على السلطة كسلطة،بل القوة التى تستطيع أن تجتذب الشعب أكثر. وهما الإخوان المسلمين، واليساريون، رغم أنه كان حذراً من الإخوان إلا أنه لم يكن يخاف منهم، لأن دعوتهم وأسلوبهم واضح .

أما الذين كان يخاف منهم ويؤثرون فيه فهم الشيوعيون وقد تركهم فترة،لأنه لم يكن يشعر بخطرهم بعد ،وكان يعلم أنهم لم يصلوا لأعماق الفلاحين والعمال، ومن ثم فتأثيرهم على الهامش-إلا أن الأزمة بدأت بعد الوحدة مع سوريا.فقد تصور الشيوعيون أنهم سيقيمون وحدة بمعنى أن الوحدة التى بين البلدين، سيتبعها وحدة بين الحزبين. هذا الكلام قيل وكتب عنه.وعندما ضربت الوحدة، شعر عبد الناصر بخطر الشيوعيين، فبدأ القبض عليهم. وكانت لديه قدرة أن يغير ويبدل عن الآخرين. ففعل شيئين. حبس الشيوعيين، لكن أخذ شعاراتهم ونفذها وهم فى السجن لاحول لهم ولا قوة ،أخذ الشعارات البراقة وأسماها قرارات اشتراكية-ليست مجرد قرارات وطنية أو ثورية- هو نفذ ما يعجب الناس والذى يسحب الأرض من تحت اليساريين. وهذا يبين لك أنه يستطيع أن يتطور، لكن فى أى اتجاه؟ فى مصلحة الناس أم فى مصلحة الحكم لحماية نظامه؟!

بالنسبة لجمال عبد الناصر أنا بينى وبين نفسى انقسام نحوه ،وعندما أجروا حواراً مع لينين ابنى فى جريدة الأهالى كان المانشيت (اختلفت مع أمى الشيوعية حول عبد الناصر)، فهناك جزء وجدانياً داخلى يحب عبد الناصر، ويعود ذلك لظروفى. أما أولادى الجيل الجديد

فلديه قضية الديمقراطية هى الفيصل وعبد الناصر فعل الكثير لمسح البؤس عن الطبقات المحرومة من الفلاحين والعمال والنساء. لكن بقرارات فوقية بلا ديمقراطية.

بالنسبة لأحداث كفر الدوار

طبعاً أدنت ما حدث وكل الناس أدانته، وكان رد فعلها سيئاً على الحكم. حيث كشفت مباشرة خوفه من هؤلاء العمال، خصوصاً وأنهم خرجوا فى مظاهرة ليست ضد البلد أو أحد، ولكن من أجل حقوقهم. فاتضح من ذلك أن النظام هو الذى يعطى الحقوق أو لا يعطى. لكن أصحابها ليس لهم حق التعبير عن أنفسهم أو عن حقوقهم. وهذا أسوأ شىء!

هبة مارس ١٩٥٤

طرحت فكرة بين قيادات الثورة أننا أزحنا النظام الفاسد الظالم، وعلينا أن نرجع لثكناتنا ونأتى بناس وطنيين يكملون. فحدث خلاف بين الثوار فى القيادة وحدثت هبة مارس.

كان فيها خالد محيى الدين، وتقريباً اتحد نجيب مع خالد. وباختصار بصرف النظر عن الأشخاص. كشفت هذه الأزمة عن موقف الخط الموجود فى السلطة هل سيكون مع الديمقراطية أم لا؟ وأكثر اليساريين لم يقفوا مع خط عبد الناصر. حتى العمال الذين خرجوا فى مظاهرة ضد نجيب كانوا عمال الترام واستأجروهم، ومنهم رئيس إحدى النقابات اسمه الصاوى-رجل مأجور - أما العمال كعمال فكانوا مع محمد نجيب لكن لم يكن فى يدهم شىء.

الموقف من ضرب السلطة للإخوان المسلمين سنة ١٩٥٤

المرء كان يتمنى ذلك، لكن الطريقة بينت أنهم ضربوا ليس لأنهم كانوا خطراً على البلد،أو كانوا يهددون الشعب وقيمه وحضارته،بل لأنهم تجمع يهدد السلطة.

بالنسبة مؤتمر باندونج وصفقة الأسلحة التشيكية

خرجنا أنا وفتحية العسال وعدد من الزميلات فى مظاهرة استقبلنا بها عبد الناصر عند عودته من باندونج. كما أيدنا صفقة الأسلحة التشيكية.

ملخص موقفى، أنا لست ضد أشخاص، أنا أريد أن يكون فى البلد ديمقراطية وعدالة اجتماعية، وألا يكون هناك استغلال، فالذى يحقق ذلك أباركه، والذى يريد أن يقيم نظاماً

جديداً بكرس الاستغلال والفوارق، طبعاً لست معه بصرف النظر عن الأشخاص.

وأيدت وسعدت بقرارات عبد الناصر الاشتراكية، رغم أن زملائي كانوا ما يزالون في سجونه. بينما أحزن الآن عندما أقرأ من يطالبون بخصخصة البنك الأهلي بقدر ما أسعدني تمصيره من قبل.

انتخابات مجلس الشعب سنة ١٩٥٧

كنت رقتها في التنظيم. قالوا نحن سنؤيد أحمد فؤاد، وكان مدير بنك مصر وشخصية وقد رشح نفسه عن دائرة الدقي، فذهبت إلى الدقي لأرى الموقف كصحفية، وكانت أمامه مرشحة اسمها راوية عطية، واكتشفت مدى جماهيريتها ،فكلما دخلت بيتاً أو محلاً يواجهونني سننتخب راوية عطية.. وكانت هي مدرسة وأيام العدوان على بور سعيد لبست ملابس كاكي وذهبت إلى هناك. فكانت مثالاً للشجاعة عند الناخبين على أنها بنت، وعندما عدت قلت لهم لن أستطيع الوقوف ضد هذا التيار لأنه تيار شعبي وسحبت نفسي، وقفت معها، ليس ضده، لكن شعوري كان معها ونجحت راوية عطية وكانت أول سيدة مصرية تدخل البرلمان، ولم يكن لها اتجاه كانت مجرد وطنية وشجاعة،أما هو فكان رجلاً في البرج العاجي. وكانت السيدة الثانية التي دخلت البرلمان هي المرشحة نادية شكري في الإسكندرية، وكانت ممرضة وتقوم بعمل اجتماعي.

والاثنتان نجحتا بتفوق وهذا بين كيفية تحضر الشعب المصري ،وخصوصاً أن الاثنتين امرأتان بسيطتان.

الموقف من تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦

كان نتحي الرسلي يصدر جريدة اسمها البشير، وضعتها استمارة استفتاء عبارة عن سؤال هل تؤيد ردم القناة؛ أم تأميمها أم مد امتياز تأجيرها وفعلاً انهالت عليه الخطابات، وكانت أغلبها تؤيد التأميم ،كان هذا قبل التأميم.

وبالنسبة لموقفنا كنا نشعر أن القناة هي قلعة الاستعمار في مصر. لذلك عندما تم التأميم كنا سعداء به جداً.

وقد قمت خلال العدوان الثلاثي بعمل كبير من المحتمل أن يكون هو سبب انتباه الحزب لي، فبمجرد بدء العدوان الثلاثي ذهبت كصحفية واثنان صحفيان معي للقناة ورأينا الضرب

والخراب الذى حدث.

وباختصار عندما أتت لى سيزا نبراوى فى روزاليوسف لتسألنى عن ماذا نفعل؟ قلت لها: نكون لجان مقاومة شعبية. أنا التى أسستها ،كانت لسيزا ابنة أخ مدرسة فى مدرسة خاصة فى شارع صفية زغلول. فوفرت لنا مكانا نبدأ فيه لأن المدارس كانت مغلقة. وكتبت دعوة نشرت فى روزاليوسف ودعوت مجموعة كبيرة من الشخصيات النسائية منهن حكمت أبو زيد.. ،، وقررنا تكوين لجان، وبدأنا فى منطقة لمنيا، وطلبنا من الحكومة التدريب العسكرى فرحبوا بذلك، وخصصوا لنا مكانا للتدريب فيه على السلاح. وكونا مجلس إدارة -قيادة لجنة مركزية.

وكونا فى القاهرة ست عشرة لجنة.وكنا نريد أن نصل لنساء السيدة زينب فاقترح جمال غالى علىّ أن أذهب إلى سيدة هناك كان يعرفها هى وزوجها أثناء هروبه ،حيث أقام فترة فى منزلهما وقال لى أنها ربة بيت لكن ممتازة جداً وشعبية جداً وبنت بلد. وكانت تسكن فى حارة اسمها درب البهلون وذهبت إليها وعندما عرضت عليها الموضوع قالت لى:أنا معكم. وكانت لها شعبية كبيرة جداً فى المنطقة وقد اتضح ذلك عندما سرنا معاً طوال شارع زين العابدين، فبائعات الخضار والمحلات ينادينها بست توحة،ويحكين لها مشاكلهن، فرأيت فيها بالفعل قائدة شعبية وتولت تكوين لجنة مقاومة فى السيدة زينب، ودخلت معنا مجلس الإدارة وهى فتحية العسال.

وعندما انتهت المعركة عقدنا اجتماعاً لمجلس الإدارة، لتقرير مصير هذه اللجان ،فقد كنا نرى أن وصولنا للأحياء الشعبية يعتبر مكسبا كبيرا. فاقترحت سيزا نبراوى تحويلها إلى اتحاد نسائى.

إلا أنه خطر فى ذهنى أن سيزا تقصد إنشاء اتحاد نسائى على مستوى الاتحاد النسائى الأرستقراطى السابق أيام هدى شعراوى، لذا اقترحت استمرار هذه اللجان الشعبية لتقديم خدمات لنساء الأحياء الشعبية مثل محو أمية ... الخ.

وعندما احتد النقاش أخذنا بالتصويت، يومها فتحية وقفت معى وأذكر كانت معنا ليلى وعنت الشال وأنجى افلاطون وزميلات أخريات، وحصلنا على الموافقة على اقتراح اللجان الشعبية. وأخذنا قراراً بوضع خطة عمل للجان كل لجنة حسب موقعها الجغرافى واهتماماتها وطبيعتها. إلا أننا فوجئنا فى اليوم التالى بمنعنا من الدخول إلى مقرات اللجان. وحتى الآن أحياناً يراودنى إحساس بالندم على عدم موافقتى على فكرة سيزا .لكن اعتقد أيضاً أن الأمور

لم تكن ستستقر على كل الأحوال إلا أن ما قمنا به كان له صدى كبير وقتها.

وأثناء الوحدة مع سوريا، بدأ وقتها توحيد القوانين (قانون الأحوال الشخصية،قوانين العمل) كنت أعرف وقتها أحمد فهيم- كان رئيس اتحاد عمال مصر-كان رجلاً ممتازاً جداً ولديه ميول يسارية. وعندما عقد مؤتمراً فى الإسكندرية لمناقشة مشروع قانون، ذهبت إلى هناك كصحفية عن روزاليوسف وكانت هناك عايدة فهمى.ونزلنا معاً فى فندق متروبولتيان فى محطة الرمل وعندما قرأنا القانون السورى وجدنا فيه أشياء متقدمة. وقلت لعايدة إن هذه فرصة ،فلو مكثنا مائة سنة نطالب بحقوق المرأة العاملة فربما لا تتاح لنا مثل هذه الفرصة. أما الآن فهم مضطرون لتوحيد القوانين فالقانون المصرى بالنسبة للمرأة لم يكن يعطى لها أكثر من خمسة عشر يوماً إجازة وضع، ولا توجد دور حضانة. أما قانون سوريا ففيه إجازة أكبر ودور حضانة .فتحدثت مع أحمد فهيم وبعد مناقشة طلب أن اشترك مع عايدة فهمى فى وضع بنود جديدة خاصة بالمرأة العاملة، فظللنا طوال الليل ندرس مواد القانون السورى التى فى صالح المرأة، وزدنا عليها ،ووضعنا مشروعًا بعشر نقاط. عشر مواد هى الموجودة فى القانون الآن. أخذها منا أحمد فهيم ووضعها فى القانون. فجعلنا إجازة الوضع خمسة وأربعين يوما، مدفوعة الأجر وتوفير ساعة رضاعة أثناء اليوم،وإنشاء دور حضانة فى الشركات التى تزيد عن مائة عاملة.....الخ.

الصراعات السياسية والتنظيمية داخل المعتقلات والسجون

كنت أسمع كلاماً، لكن لا أستطيع أن أعرف الحقيقة. كانوا يقولون إن هناك صدامات وصراعات بين التنظيمات. فبانتقال الأعضاء من تنظيم إلى آخر كان من الطبيعى أن تنتقل معهم خلافاتهم وتشبثاتهم .لكن فى النهاية لابد أن وحدة الظروف ووحدة المعاناة ووحدة العذاب الذى لاقوه فى السجون، أكيد قربت فيما بينهم ، فمثلا أكيد أثر قتل شهدى عطية فى الجميع، حزبه وحزب الآخرين. بل أثر فى الناس الذين فى الشوارع وعلى المقاهى.

الموقف من الاتحاد السوفيتي وسياساته فى بناء الاشتراكية

أنا أحب فلاديمير اليتش لينين. وأعتبره أعظم زعيم فى القرن العشرين برغم الانقسام الذى حدث فى بداية تأسيس الاتحاد السوفيتى بسبب اختلافه مع تروتسكى حول السياسة الزراعية. فى اعتقادى أن أنضج مرحلة فى تاريخ الاتحاد السوفيتى كانت مرحلة قيادة لينين، وأن

أصعبها كانت مرحلة ستالين، وإن كان ذلك يجب ألا يمنعنا من الاعتراف بفضل ستالين فى كسب الحرب فلولا ذلك لتغيرت خريطة العالم ومصيره ولما أمكن للاتحاد السوفيتى أن يفرض وجوده بعد ذلك على الساحة الدولية كقوة عظمى أو أن ينفتح الطريق أمام تجربة الاشتراكية إلى عدد من دول أوروبا بعد النصر الذى حققه الجيش الأحمر ... والواقع أن المرء يحار فى فهم شخصية ذلك الرجل عندما يضع فظاعة أسلوبه فى تصفية خصومه السياسيين باسم تأمين المجتمع السوفيتى إلى جانب عبقريته فى إدارة الحرب وكسبها من هتلر وجيشه الذى اكتسح دولاً أوروبية عريقة كفرنسا. كيف نجح فى إقامة صناعة للسلاح وفوق جبال الأورال فى عز المعارك الدائرة على أرض بلاده؟ وكيف أدار معركة المقاومة الشعبية فى مدينة ستالينجراد التى كان صمودها الأسطورى نقطة التحول فى سير معارك الحرب الثانية أجمع؟.. بعده جاءت المرحلة الثانية التى تعاقب فيها عدد من القيادات من النوع الاستاتيكى، فرضت الجمود على حركة المجتمع وحولت سلطة البروليتاريا إلى سلطة بيروقراطية فى خدمة مصالح أباطرة الحزب. ربما باستثناء خروتشوف ذلك القائد الفلاح الذى حاول أن يضخ دماء نقية فى شرايين الدولة والنظام بكشفه وإدانته لديكتاتورية ستالين خلال المؤتمر العشرين الذى كان يمكن أن يكون فاتحة عهد جديد فى الاتحاد السوفيتى لكن منتفعى السلطة والحزب لم يمهلوه لإنجاز حلمه وتحقيق التغيير.

ثم فى النهاية.. يأتى جورباتشوف ويلعب لعبته تحت عباءة سياسة الانفتاح والمصارحة والله يعلم من كان وراء دعوته.. مصلحة الوطن وارتقاؤه أم مصلحة العم سام. واليوم لا يملك المرء أمام دراما انهيار تراثم البناء الاشتراكية فى الموطن الأول سوى أن يتساءل هل هى نهاية المطاف أم بداية تصحيح المسار فى عالم كل شىء فيه يتغير ويتطور والفائز فيه هو من يستطيع إعادة حساباته ومواجهة أخطائه لينجو من طريق سيزيف الذى لا نهاية له ولا شطآن.

حل الحزب

بعد اعتقالات عام ١٩٥٩ وتعرض الشيوعيين لعملية تعذيب شديدة جداً- وأنا أؤمن دائماً بأن يراعى الإنسان البعد الإنسانى عندما يحكم - فأتساءل هل لو كنت عذبت هذا العذاب وقالوا لى حلى حزبك هل كنت سوف أحل أم لا ؟ هم عذبوهم بشكل غير معقول والإنسان له

قدرة والإنسان الذى لم يعذب ليس له أن يحكم. نعيد الناصر لعب لعبته وأخذ شعاراتهم كما ذكرنا سابقاً وقطع الطريق عليهم. بعدها بدأ يجرى حوارات معهم داخل السجن. وحدثت المفاوضات والمساومات حول حل الحزب ودخول بعض القادة فى حزب عبد الناصر، بحيث يكونون جزءاً من النظام. فالبعض قال (هو تبنى أفكارنا وسيشغلنا معه، إذن نحن جزء من النظام. ولن نعاديه من أجل المعاداة). بل تصوروا أنهم ستكون لديهم فرصة للتأثير باعتبارهم مستشارين كما وعدهم خصوصاً بعد صدور القرارات الاشتراكية.

وقبل خروجهم .. البعض أعطيت له العضوية فعلاً فى التنظيم الطليعى، ومنهم أخذت مجموعة ووضعت كقيادات للحركة الثقافية فى مصر كخالد محيى الدين وعلى الراعى ومحمود العالم .الخ .ويمكن هنا أن نعذر الذين قاموا بالحل، نتيجة للتعذيب أو الإغراءات أو الاقتناع .

الطابع الانقسامى للحركة

هناك شيئان يصعب الاختيار بين أحدهما للحكم على ما حدث : **الأول** إنها من الممكن أن تكون حركة تخريبية .. لأنه ثبت عندما تمت الوحدة وحدث الانفصال أن كان هناك اختراق للمنظمات من البوليس. فقد كان لدى البوليس الكشوف كاملة بالأسماء التى قبض عليها، ولو أن هذا الشكل سيعطى شبهة أنه كان هناك عناصر فى القيادة أو من لهم تأثير على اتصال بالبوليس وهذا الذى يخيف، ولكن لا أستطيع الحكم به.

الشىء الثانى عيب فى المصريين وهو الذاتية ،العنصر الذاتى يتغلب على المصلحة،وقد ظهرت أكثر فى أيام مناقشات الانفصال. فكل حزب يريد أن يقول أنا الأقوى .. أنا الذى عددى أكبر، أنا الذى خطى السياسى أصح. ولذا من حقى أكون فى اللجنة المركزية وليس فى المنطقة، وذلك كان لدى البعض أهم من أن تتم الوحدة أم لا. وبدلاً من أن يذوبوا فى بعضهم اصطدموا ، وهذا التصادم ليس حول الأفكار فقط،بل تصادم حول المواقف، والذاتية فيها جزئية شهوة الزعامة لأنها كانت تحدث بين الكبار وليس الصغار. ومن ثم لم تكن التكوينات البشرية الموجودة على المستوى. فالمفروض إذا كنت مخلصاً أن أتجاوز عن بعض الأشياء فى سبيل المصلحة العامة

أنا أتصور أن هذين السببين لعبا دورا فيما حدث من انقسامات،والدليل على ذلك محاولاتهم للوحدة أكثر من مرة ،وفي كل مرة تتكرر نفس المشكلة.

أزمة الحركة الشيوعية المصرية قبل ١٩٦٥

-أولا : عدم الوصول إلى القواعد الشعبية. فهي التي تعطى أو لا تعطى القوة..

- التفتت، ولا نستطيع أن نقول عدم وضوح الرؤية بل يوجد تضارب في الرؤية وليس خطاً واحداً ،وبالتالي لا توجد استراتيجية واحدة. بالرغم من أن الهدف في النهاية واحد. فللوصول إلى الهدف المشترك لابد أن تكون هناك استراتيجية على الأقل متقاربة.

ولا أركز بقوة على موضوع الأجانب بأن لهم تأثيراً في النشأة،لأنها مرحلة وانتهت. فبعد موضوع فلسطين، انكمش الأجانب خصوصاً اليهود، بعد أن أصبحت هناك روح معادية للصهيونية ،والناس العاديون لا يفصلون بين الصهيوني واليهودي. وحتى إذا كانوا يريدون أن يلعبوا دوراً في أزمة الحركة الشيوعية والانقسامات التي تمت،لم تكن الفرصة متاحة لهم تماماً. في البداية نعم بحكم تأسيسهم للحركة،لكن أصبحت كلها قيادات مصرية بعد ذلك وتربت كوادر مصرية كثيرة في كل مكان.

بالنسبة للرفاق الذين ادوا دوراً وينبغي اخذ شهاداتهم

محمد الجندي ونبيل الهلالي وجمال غالي وفاطمة زكي .

هناك رفاق من الذين ماتوا كنت أعجب بهم وكان يمكن أن يضيفوا الكثير، منهم محمد عباس، وأم محمد عباس، وكان له أخ اسمه صفوت محمد عباس كان مدرساً. وقد ظل محمد عباس شيوعياً بعد أن حلوا الحزب ويعتبر نموذجًا للمناضل المتمسك بعقيدته ولا شيء يزحزحه،مع أنه من أسرة بسيطة.

وهناك أناس استشهدوا في السجن منهم محمد عثمان الذي لم يُعرف طريقه ،وكنت وقتها أرى والدته ضمن الأمهات. فمرة يقولون لها أنهم نقلوه طنطا ومرة المنصورة، ولم يجدوه في أي مكان وقيل إنه قتل.

شهادة

سعيد مصطفى[1]

البيانات الشخصية

الاســـــــم : سعيد مصطفى أحمد حماد

محل وتاريخ الميلاد : ١٥ سبتمبر ١٩٣٠ بطنطا

المؤهــلات : الابتدائية وقد حصلت عليها وسنى حوالى ١٦ سنة ولعدم تمامى للتعليم حكاية لها صلة بالعمل التنظيمى سأذكرها فى مناسبتها. والمهنة التى عملت بها منذ حوالى سن الثانية عشر، هى الطباعة.

فترات السجن والاعتقال : السجن لمدة سبعة أعوام فى المدة من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٢، واعتقلت مرتين كل مرة نحو أربعة شهور أو أكثر عام ١٩٧٥ ، ١٩٧٧.

بيانات عائلية :

سأحاول بقدر الإمكان أن يكون الكلام الذى اكتبه قريباً من الحقيقة لأننى للأسف لم أكتب أى شئ عن حياتى يمكن الرجوع إليه عند كتابة هذه الشهادة التى تعد الأولى التى أدلى بها.

كنت أحب التعليم كثيراً، وكنت أحب أن أكمل تعليمى لكن ظروفى العائلية والشخصية لم تساعدنى على ذلك وهذا شئ آسف له كثيراً، ويمكن أن يكون الأشخاص الذين ارتبطت بهم عند انضمامى للحركة الشيوعية قد لعبوا دوراً فى عدم اكمالى تعليمى وهذا ما أذكره ولا انسه أبداً. فقد حصلت على الابتدائية وكنت ادرس للحصول على الاعدادية فقيل لى ماذا ستفعل بهذه الدراسة وهذا التعليم، نحن لا نحتاج له، فى المستقبل لن نحتاج لهذا النوع من التعليم، ماذا تتعلم فى المدرسة ، أتعرف كم عدد أرجل النملة؟ .. أنا لا أنسى هذه الحكاية أبداً .. وكان باق أيام على دخولى امتحان الإعدادية فاقتنعت بهذا الكلام ولم أدخل الامتحان.

وبالنسبة لنشأتى الأسرية فقد نشأت فى أسرة متوسطة الحال. كان والدى تاجر منسوجات على قده، كان له محل صغير فى طنطا. وقد ربتنى خالتى التى كنت أعرف أنها أمى حتى سن الثامنة حين أخذتنى أمى التى لا أبالغ إذا قلت إنها كانت امرأة عظيمة جداً برغم أنها لم تكن تعرف القراءة والكتابة. لا يمكن أن اقول عنها إنها أمية لأنها برغم أمية القراءة والكتابة

---

* أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب - عضو لجنة التوثيق.

لم ألتق بامرأة مثلها فى حياتى، كان لديها قدرة كبيرة على تربيط الناس، وكان لابد لكل من يعرفها أن يحبها. كانت قادرة على جذب الناس وكسب ثقتهم وحبهم لها، وهي أيضاً لم تكن تعرف غير أن تحب وقد كانت تخصنى بحب خاص. لقد تأثرت بها وتعلمت منها الكثير برغم أننى لم أعرف قدرها الحقيقى إلا بعد وفاتها.

انتقلت أسرتى إلى الاسكندرية فى مستهل الأربعينيات. للاستقرار بها بعد أن كان قد سافر لها أخى الأكبر فتحى ومن بعده سعد للعمل فى الطباعة اتى كانا قد تعلماها من ابن خالتى الذى كانت له مطبعة فى طنطا، وظللت أنا فى طنطا مع خالتى التى ربتنى وكنت متعلقاً لها، وأخيراً سافرت إلى الإسكندرية عام ١٩٤٢ وعملت فى مطبعة اسمها مطبعة النهضة.

وبالنسبة لارتباطى بالفكر الماركسى فعندما جئت إلى الإسكندرية كان والدى بلا عمل لأنه كان كبيراً فى السن، وكان متديناً، ينادى بالشيخ مصطفى، وكان مرتبطاً بجماعة انصار السنة المحمدية، وكان وفدياً ويبدو أن هذا كان بالوراثة، يعنى سعد زغلول كان كل شئ بالنسبة له، كان كل ما يفعله أنه يذهب إلى المسجد ويأتى من المسجد، وكنت دائماً معه وكنت متديناً أصلى وأصوم وأتكلم فى الدين بشكل جيد لاننى طوال عمرى كنت أحب القراءة جداً. كان الكتاب لا يفارقنى ولا أفارقه. تعرفت على جماعة أنصار السنة لمحمدية وارتبطت بهم، وأحببت ناسٌ منهم، وظللت فترة طويلة معهم بعد أن تأثرت بفكرهم، وبعد ذلك ارتبطت بالإخوان المسلمين وأسست شعبة أنا وشخص أذكره جيداً اسمه محمد الحصري كان ممتازاً وأحببته منذ أن جلست معه، كانت الشعبة التى أسستها شعبة ابن الخطاب فى محطة مصر (الإسكندرية) وظللت فتره مع الإخوان، ولكنى لم أقتنع بفكرهم تماماً، لم أجد فى الإخوان المسلمين تمسكاً بالدين الذى تشبعت به وفهمته من أنصار السنة المحمدية، كانت صدمتى الأولى هى رؤيتى لصورة حسن البنا معلقة فى شعبة محسن باشا إحدى شعب الاخوان بالإسكندرية، وقد كنت احفظ الحديث الذى يقول إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صور وتماثيل، وتناقشت مع رئيس الشعبة وقد كنت طفلاً بالنسبة له فأبدى اقتناعه بوجهة نظرى وطالبته بانزال الصوره فعبر عن عدم قدرته على ذلك. المهم تركت الإخوان وعدت إلى أنصار السنة المحمدية، ومنها ذهبت إلى الشيوعية .. كيف؟.

في المطبعة التي عملت بها وبعد ثلاثة أو أربعة أعوام من عملي بها وجدت أنها تطبع مطبوعات نيل لي إن المفروض الا يعرف عنها أحد شيئًا. احسست بأهمية الأمر وشاركت في الطبع وفي التخلص من الورق (الدشت) وأخيراً عرفت أن ما يطبع هو أوراق شيوعية، كان يقوم أساسًا بالطباعة أسطى بالمطبعة وكان اسمه فاضل القليوبي. وكان صاحب المطبعة يقوم بالطباعة من منطلق أنها تحقق له ربحًا أكثر. لكن فاضل القليوبي كان مرتبطًا بالشيوعيين الذين كانوا يأتون لأخذ المطبوعات، وكان يحضر إلى المطبعة اشخاص عرفت منهم الشيخ محمد صفوان وعبد العزيز عوض وآخرين. وعن طريق عبد العزيز عوض دخلت الحركة الشيوعية.

طبعًا لأوراق التي كنت أقوم بطبعها يرجع تاريخها إلى ١٩٤٥، ١٩٤٦، ١٩٤٧ أي قبل نشأة «الحزب الشيوعي المصري» «الراية» الذي انضممت إليه بعد ذلك. ولابد أن تلك المطبوعات كانت تخص «حدتو» وطبعًا لم يكن مسموحًا لي ولا متاحًا وأنا أطبع أن أقرأ المطبوعات. وأعطاني عبد العزيز عوض كتابات لأقرأها فوجدت الكلام جديداً تمامًا خلاف ما كنت أسمعه وأقرأه، كن بالنسبة لي سهلاً جداً، وكان يرد على الأشياء التي كانت تدور في ذهني وكانت تحيرني ولم أكن أجد أجابات عنها، ووجدت نفسي في تلك الكتابات فعلاً.

بعد فترة حدثني عبد العزيز عوض عن الحزب، وأبلغني أنني أصبحت عضواً في الحزب الشيوعي المصري، وأذكر هنا محمد عبد الكريم الذي حببني في الشيوعية وكان أستاذي فعلاً.

وكان طبيعيًا أن أعمل في الأجهزة الفنية ووجدت نفسي مسئولاً عن الجهاز الفني بالاسكندرية. استأجرنا شقة في العطارين على أنها مكتب محاسب ومارست فيها عملي. هو إعداد المطبوعات وتجهيزها لتوزيعها على البلاد الأخرى. وكان في الشقة أيضًا مكتبة الحزب، وكان يشاركني العمل الزميل درويش مصطفى القليوبي قريب فاضل القليوبي والذي أجر هو الآخر شقة فيها رونيو لطباعة المطبوعات التي تطبع على الرنيو.

كانت مجلة «الراية» تطبع في المطبعة التي افتتحها فاضل القليوبي بعد أن ترك مطبعة النهضة، والتحقت أنا بالعمل عنده، والكل يعرفون جودة طباعة مجلة «الراية»، مجلة الحزب الشيوعي المصري التي كانت تطبع بالحرف بلونين، ولعل ما كان طبع في مطبعة النهضة وكنت أشارك فيه وأنا صغير هو الكتب الخضراء.

مدى ارتباط التنظيم بالطبقة العاملة

من حيث العضوية كان الحزب الشيوعي المصرى (الراية) يضم فى عضويته عناصر عمالية، كانوا فى اعتقادى من خيرة الطبقة العاملة، ونسبتهم كانت معقولة إلى حد بعيد، وهذا ينطبق أيضاً على الفلاحين.

أما المعارك التى خاضها الحزب فأنا للأمانة لا أستطيع التحدث عنها لأننى بحكم طبيعة عملى فى الجهاز الفنى كنت بعيداً عن أى عمل جماهيرى لدواعى الأمان طبعاً.

المجلات التنظيمية والجماهيرية التى كان يصدرها التنظيم

بالنسبة للمجلات التنظيمية التى كان التنظيم يصدرها يمكن أن أقول إن الحزب الشيوعى المصرى كان يتميز عن باقى التنظيمات الأخرى فى هذه المسألة، وهذه حقيقة يعترف بها الكل لدرجة أن الحزب كان متهماً باهتمامه بالفكر والنظرية على حساب العمل، وأعتقد أن الحزب كان من أوائل التنظيمات التى كانت تملك- يعنى عند اعلان وجوده - كل المقومات الأساسية من تكتيك وبرنامج ولائحة تنظيمية، طبعاً سبق هذا محاولة لدراسة الواقع المصرى بعنوان «ثورتنا المقبلة» والتى على ضوئها تحددت طبيعة الثورة ومهامها وقواتها وحلفاؤها. بعد ذلك كانت هناك مجلات ونشرات وكتب عديدة. هذا بخلاف التقارير التى كان يصدرها الحزب فى مناسبات مختلفة، وأذكر منها بالنسبة للمجلات (مجلة الانتصار) ومن الكتب (من هم الشيوعيون المصريون؟وماذا يريدون؟) وهذا كان كتابا فى غاية البساطة، والذى يقرأه إذا لم يصبح شيوعياً لابد أن يحب الشيوعية، ومن الكتب أيضاً (الخدعة الكبرى والخدعة الصغرى) وكتابات عديدة عن العادلين والشنديين، وهذه نسبة لأسماء زملاء من تنظيمات أخرى - وكانوا طبعاً متهمين بالانتهازية، كان الحزب يرى أنه لا أحد شيوعى غير الذى كان فى الراية. وهذا ما تعلمته من الحزب، وتلك الكتابات كان يكتبها الرفيق خالد والرفيق غالب، وبالمناسبة عندما دخلت السجن اكتشفت وجود آخرين من غير الأعضاء فى الحزب الشيوعى المصرى، وهؤلاء كان يقال لهم زملاء لارفاق لأن صفة الرفيق كانت لا تطلق إلا على عضو الحزب الشيوعى المصرى، وبالمناسبة أيضاً أنا كنت ومازلت احترم جداً جداً فؤاد مرسى، هو دون كل الذين قابلتهم وعرفتهم وعشت معهم فى السجن، فى الخارج طبعاً لم أكن اعيش مع أحد لكن

فى السجن قابلت الكثيرين، وفؤاد مرسى شئ آخر تماماً، وبالرغم من كل المآخذ التى يمكن أن تؤخذ عليه الآن، فإنه كان قيمة كبيرة لا يستطيع أحد أن ينكرها.

دور المحترفين

الاحتراف التنظيمى شئ هام جداً وضرورى ولا غنى عنه لكن بشرط أن يكون احترافاً ثورياً ولا يتحول الاحتراف إلى عمل وظيفى، لأنه فى رأيى من أخطر الأمور على حياة الحزب وحيويته أن يتحول الكادر الثورى إلى موظف، وبالتالى يتحول العمل الثورى إلى روتين، ويصبح الارتباط بالحزب ارتباط مصلحة حياتية.

موقف التنظيم من التنظيمات الأخرى

كما سبق أن قلت لم يكن الحزب الشيوعى المصرى يعترف بوجود شيوعيين خارج الحزب، وكانت هناك مقولة مشهوره تقول «لا شيوعية خارج الحزب» كل الذين خارج الحزب انتهازيون. هؤلاء يسار وهؤلاء يمين. أنا شخصياً لم أعرف ولم أقابل احداً من خارج التنظيم قبل السجن، وبالبتنى كنت قد قابلت فربما كانت النظرة قد تغيرت.

وقد تغير موقف الحزب من الأخرين بالطبع وتمت الوحدة، وكان الحزب طبعاً مع وحدة الحركة الشيوعية وبشكل خاص القواعد، القواعد من كل التنظيمات.

الموقف من الأجانب واليهود

الحزب كان ضد تواجد عناصر يهودية، ولم يكن هذا على الإطلاق موقفاً عنصرياً من وجهة نظري - بل كانت اسبابه سياسية - لم تكن المسألة هى الدين اليهودى بقدر ما كانت المسألة أجنبية العناصر إذ كانت المسألة توضع فى شكل وجود وعدم وجود الأجانب وليس اليهود، بدليل أن الحزب كان يضم بين اعضائه نسبة كبيرة من غير المسلمين، ولم يكن يدور بخلد أحد مسألة المسلم والمسيحى مثلاً. وبالنسبة لليهود فلا شك أن الحساسية تجاه تواجدهم كانت بسبب مشكلة اسرائيل، ولو ناقشنا المسألة من زاوية من الأقدر على تفهم مشاكل بلادنا: أهلها أم الوافدون عليها من الخارج؟ وإذا كنا نضع شروطاً لصفات عضو الحزب أن يكون كذا وكذ فمن باب أولي أن يكون مواطناً مصرياً. هذا رأيى بالنسبة لفكرة عدم وجود أجانب فى الحزب فالمسألة لم تكن مسألة يهود، واليهود لم يكن لهم وجود فى الحزب الشيوعى المصرى.

موقف التنظيم من سلطة يوليو

الكلام الذى يقال هنا مفروض أن يؤخذ من الوثائق باعتبارها المرجع الأساسى لموقف التنظيم. والمعروف أن تقييم الحزب الشيوعى المصرى (الراية) لثورة يوليو عندما قامت كان أنها انقلاب عسكرى فاشى، وهذا الموقف انعكس على مواقف الحزب السياسية المختلفة. قانون الإصلاح الزراعى كان فى نظر الحزب مثلاً الخدعة الكبرى أو الصغرى. أحداث كفر الدوار كان الحزب بالطبع ضدها وكان مؤيداً ومدافعًا عن عمال كفر الدوار الابطال، وطبعًا أحداث كفر الدوار كانت تدعم موقف الحزب حتى مؤتمر باندونج وذهاب عبد الناصر لحضوره كان مجرد(فاشى مصر المفلس .. راح يبحث عن المجد فى باندونج). وقد أصدر الحزب بياناً بهذا المعنى.

يعنى حتى باندونج كان هناك إصرار على الفكر الخاطئ والمنهج كان خاطئا. كنا نريد أن نكيف الواقع لفكرنا وليس العكس، يعنى كنا عميان عن الحقيقة وبعد ذلك تغير الموقف خصوصا بعد صفقة الأسلحة التشيكية وتأميم قناة السويس.

حل المنظمات الشيوعية لنفسها

بالنسبة لقرار حل الحزب لم يحدث أى اتصال بى قبل الحل لأخذ رأيى، وعرفت بحل الحزب من الصحف. لكن رأيى أن قرار حل الحزب - مهما كانت الأسباب والمبررات التى قدمت وقتها - هو قرار خاطئ، واعتقد أن كلمة خاطئ هذه ليست كافية، أنا اعرف أنها جريمة، واعتقد أنه لا أحد منا الآن، سواء كان الذين قالوا نعم أو لا لهذا القرار يستطيع أن يدافع عنه الآن،هو خطأ جسيم لكنه نتيجة لأخطاء جسيمة فى السياسة والتنظيم، وأنا فى الحقيقة لا أميل إلى تخوين كل الذين وافقوا على الحل، ولا إلى تبرئة كل الذين رفضوا الحل فهناك من أدان الحل بالمصلحة، والواقع الآن يؤكد هذا، فكثير ممن ادانوا الحل وكانوا أبطالاً أين هم الآن أو ماذا فعلوا، هذا ليس معناه أننى ابرر، والموضوع لابد أن يناقش فى إطار الظروف التى أحاطت به، ولا ننسى أن الحزب فى الحقيقة والواقع لم يكن موجوداً قبل قرار الحل، لم يكن موجوداً فعلاً.

مسألة أخرى، لابد أن نفرق بين اللى نظر والذى قاد للحل وبين الذي أطاع ووافق، وأود أن

أقول إننى لا أرى فائدة كبيرة يمكن أن تعود علينا وعلى مستقبلنا من النقاش الطويل فى هذه الأمور ، وأخشى أن يتحول آخر الأمر إلى ضياع الوقت. صحيح أن المسألة مهمة ومهمة جداً لكن لا ينبغى أن تضيع حياتنا الباقية فى التساؤل عمن كان مع الحل ومن كان ضده ، وإن كان الكل مسئولين، لا أحد منا لا يتحمل مسئولية الموافقة على الحل.

أسباب أزمة الحركة الشيوعية حتى عام ١٩٦٥

أرى أن الأسباب كثيرة جداً منها مثلاً أن الفكر الاشتراكى والماركسى بشكل خاص معظمه جاء منقولاً وجاهزاً ، وبالتالى كان غريبًا على الواقع المصرى. كانت هذه هى البداية، البداية فكر لا يعبر عن الواقع، فكر خاطئ، فكر منقول كما هو، والماركسية علمتنا غير ذلك، يعنى الماركسية ليست عقيدة، ليست ديناً، ليست نصوصاً، الماركسية منهج، وعندما يأتى فكر لا يعبر عن واقعنا لابد أن تكون هذه نهايته، أقول إنه إذا كانت البداية هكذا فلابد أن تكون النتيجة هى ما وصلنا إليه، فلا يمكن أن ينتظر من حزب بدأ بفكر خاطئ، يساريًا كان أو يمينيًا أن يصل إلى نتائج صحيحة.

أريد أن أقول إن تكوين الحزب كان يحمل معه بذور الانقسام والأزمة والنهاية، وهذا شئ طبيعى، أقصد نتيجة طبيعية للبداية، يعنى فى الحقيقة التاريخ لم يظلمنا.

والسبب الثانى أنه لم يكن هناك شيوعيون حقيقيون، أنا أعرف أن هذا الكلام كبير؟ معذرة مرة أخرى، وليتنا عندما نسمع هذا الكلام ولا يكون متمشيًا مع الكلام الذى فى رؤوسنا لا نرفضه مباشرة بل نفكر فيه، ونضع احتمال أن يكون الرجل الذى يجازف بهذا الكلام صادقًا أو مقتنعًا بما يقول وإن كان مخطئاً. أقول لم يكن هناك شيوعيون حقيقيين أى شيوعيون بالدم واللحم، كان الموجود شيوعيين بالفكر على الأكثر، وليته كان الفكر السليم، هناك من دخلوا الحزب من أبواب جانبية غير باب التضحية والفداء من أجل البلد وليس من أجل أى شئ آخر، وهؤلاء هربوا عند أول فرصة.

ومن بين الأسباب أن الماركسية فهمت خطأ. فهمت على أنها فكر لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه، الماركسية فهمت على أنها آخر كلمة، وهذا طبعًا خطأ نتج عنه الجمود الذى وقعنا فيه فعلاً، لقد اصبحت الماركسية فى ايدينا أقرب إلى شئ يشبهالكتاب المنزل، ونتج عن

هذا الجمود الفكري الذي يؤدي إلى كرثة، الجمود الفكري عمى بصر وبصيرة، مع أن المفروض أن الماركسية هي نظرية نسترشد بها لدراسة واقعنا، ونخرج منها بحلول للمشاكل الموجودة. كان كل همنا أن نعرف ماذا قال ماركس وماذا قال لينين وماذا قال ستالين، والذي قالوه كان لابد أن يسري علينا، وكان المفروض أن نعرف كيف وصلوا هم لمقولاتهم، وطريقة البحث التي جعلتهم يصلوا للنتائج التي وصلوا إليها، نحن أخذنا النتائج جاهزة وتركنا المنهج وطريقة التفكير وأساليب البحث التي اتبعوها ووصلوا بها للنتائج التي وصلوا إليها. نحن أخذنا من الآخر (بدون وجع دماغ) على طريقة التجار (هات من الآخر).

لقد حولنا المقولات إلى حقائق مطلقة مع أن الماركسية علمتنا أن الحقيقة المطلقة الوحيدة هي أنه لا توجد حقائق مطلقة غير الحركة، لا توجد حقائق ثابتة.

وأريد أن أقول إنه لا أحد منا خالٍ من المسئولية، لا أحد أبداً معفى منها مهما كان، الصغير والكبير الذي ربى الصغير تربية خطأ، لكن بالرغم من كل هذا، بالرغم من تلك الأخطاء الجسيمة فلا يمكن أن نتنكر لماضينا، لايمكن أن نتخلى عنه لأننا لوفعلنا ذلك سنكون في الحقيقة قد تخلينا عن أنفسنا.

المفروض ألا ننقطع عن هذا الماضي بل نتواصل معه، لكن التواصل بالنقد والبناء، فمن غير الممكن في رأيي سقوط المعاني الانسانية للاشتراكية التي كنا نناضل من أجل تحقيقها، من غير الممكن سقوط هذه المعاني لمجرد سقوط تجربة محددة حاولت أن تبني الاشتراكية وفشلت في هذه المحاولة. بالنسبة لنا، بيتنا هدم. نعم. لكن أصحاب البيت لازالوا أحياء مستيقظين، ويمكن أن يبنى البيت على أساس جديد تماماً .. جديد بحق لأن الترميم لا يمكن أن ينفع.

المطلوب إعادة النظر في المفاهيم التي تحولت في أذهاننا إلى مسلمات لا تقبل النقاش، المطلوب دراسة الواقع دراسة واعية وشاملة، دراسة ينتج عنها فكر يعبر عن هذا الواقع.

المطلوب فكر مصري .. نعم فكر مصري مسترشد بالنظرية الماركسية، وأظن أنه لم يعد من الممكن الاعتماد على عبقرية فرد لتحديد مهام الحركة الاشتراكية وصياغة رؤية لمستقبل هذه الحركة لأن الماركسية لم تعد حكراً على أحد ولا على حزب، ولابد أن نتخلى عن رهبة التحريم والتخويف وعقلية الوصاية وأسلوب التجريح والتشهير.

وفى النهاية أريد أن أقول إن أفضل أيام عمرى هى الأيام التى قضيتها فى السجن، ولست نادمًا على شىء بالرغم من أننا لم نفعل شيئًا ، أو أن الذى فعلناه لم يصل إلى الذى كنا نريده وكانت النهاية مؤسفة جداً جداً ، وأرى الآن أنه إذا كان الناس الآن يحبوننى فإن الحب الذى أحظى به سببه هو ارتباطى بالحركة الشيوعية التى لو لم أرتبط بها ولو لم أدخل السجن ولو لم أعش مع الناس الذين عشت معهم لكان ممكنًا الآن أن أكون شخصًا تافهًا جداً ، فأنا لم أخسر شيئًا ، بالعكس أنا كسبت.

شهادة

شريف حتاتة

شهادة

شريف حتاتة

البيانات الشخصية

الاســــــم : شريف يوسف فتح الله حتاتة.

تاريخ وموطن الميلاد : ولدت في لندن سنة ١٩٢٢، في ١٣ سبتمبر.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : انضممت للحركة الشيوعية سنة ١٩٤٥، كان عمري اثنتين وعشرين سنة.

المؤهلات الدراسية والمهن التي عملت بها : حاصل على بكالوريوس الطب والجراحة. والمهنة الثانية مناضل سياسي، والثالثة كاتب روائي.

فترة السجن والاعتقال : كلها ثلاث عشرة سنة سجن وسنة ونصف هارب من السجن في المنفى. أما بالنسبة لفترة السجن فكانت عشر سنوات أشغال، وثلاث سنوات متفرقة.

المناصب العلمية : عملت فترات خبيراً للهجرة والسكان في منظمة العمل الدولية في الهند وأفريقيا وآسيا. وعملت أربع سنوات أستاذاً زائراً في جامعة (ديوك) بأمريكا.

بيانات عائلية :

جدي كان إقطاعياً، وكانت لديه أراض كثيرة، وعندما وزعت الأرض أصبح والدي من الطبقة المتوسطة. تعلم في الخارج، في جامعة كمبردج بي انجلترا وتزوج انجليزية، وولدت في انجلترا ثم جئت هنا وعمري خمس سنوات تقريباً. فأنا ابن ثقافتين، ثقافة إنجليزية وثقافة عربية، وكان لهذا تأثير على حياتي، جعلتني في بداية حياتي معزولاً عن المجتمع المصري، نشأت أتكلم الانجليزية. لم أتعلم اللغة العربية ، إلا عندما حصلت على شهادة معادلة في كلية الطب. ثم عندما نشطت سياسياً. تعلمت العربية تحت السلاح وهذا فيه عيب لكن فيه ميزة، أن لغتي بسيطة. تعلمت من خلال الخطابة والكتابة ثم بعد ذلك من خلال الكتابة الروائية، واهتممت بالقراءة. لكن نشأتي كانت كلها بعيدة عن الثقافة المصرية وكنت أشعر بالاغتراب. ربما لهذا ميزة، أنه في سن مبكرة جداً لم يكن لدي إحساس بالتفرقة بين الأديان أو

أجرى الحوار أ. رمسيس لبيب – عضو لجنة التوثيق.

الاجناس أو القوميات وكنت منفتحًا على الثقافة الأجنبية وبعد ذلك على الثقافة العربية وهذا التزاوج كان مفيداً .

كيفية التعرف على الفكر الماركسى

تعرفت على الماركسية بطريقة قد تختلف عن عدد كبير من الزملاء. كنت طوال حياتى الدراسية فى كلية الطب طالبًا مجداً. كنت من النوع الذى يحقق الترتيب الأول باستمرار. حقيقة لم أكن أجلس فى الصف الأول ولم أكن أحفظ المعلومات عن ظهر قلب مثل الكثيرين لكنى لم أكن مهتماً بأى شئ آخر غير الدراسة وظللت منعزلاً عن المجتمع المصرى.

وفى آخر سنة لى كلية الطب، كان معى طالب اسمه عصام الدين جلال، كان قوميًا متعصبًا إلى حد ما، ويساريًا- هو كان يعتبر نفسه يساريًا فى فترة من الفترات، لكنه لم يكن كذلك تمامًا، كان أساسًا قوميًا - ومتحمسًا جداً ضد الإنجليز وضد الاحتلال الانجليزى وكان وطنيًا جداً وطموحًا من الناحية السياسية. فعندما بدأت الحركة الوطنية تشتد فى نهاية الحرب العالمية الثانية، اخذنى معه لأحضر اجتماعات الطلبة فى الجامعة، لم أكن أدرك ما يدور بالضبط ومع ذلك بدأت أنفتح على عالم جديد بالنسبة لى، وأخذت تنكسر العزلة التى كنت أشعر بها . وكانت المناقشات التى تدور ثرية لأنها كانت بين اتجاهات مختلفة فى الجامعة، وكان المشاركون من المتحمسين جداً وقتها، وكان يدور حوار حقيقى فحضرت هذا الحوار، ثم وجدت نفسى دون أن أعرف كيف، وبدون أن أشارك فى الانتخابات، عضواً فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة. لذلك أشعر أن الذين يؤرخون للجنة «العمال والطلبة» يهندسون الاشياء ويضعونها فى أطر معينة، بينما كان فيها قدر كبير من التلقائية والفوضى، وكانت هذه إحدى نقاط ضعفها، لكن كانت إحدى نقاط قوتها أيضًا. لأنه دخل فيها أعداد كبيرة من الناس. فوجدت بنفسى عضواً فى اللجنة الوطنية للعمال والطلبة، وقابلت صدقى باشا فى اللقاء الذى حدث بين مندوبى اللجنة وبينه، وتناقشنا فيه حول المفاوضات ومشروع صدقى بيفن، ووجدت نفسى جزءًا من الحركة السياسية. وكانت طبيعتى ألا آخذ الاشياء على سبيل المزاح. عندما درست فى المدرسة كنت آخذ الدراسة بجدية، وعندما كنت فى كلية الطب كنت أريد أن أكون طبيبًا ناجحًا، وعندما دخلت الحركة السياسية كنت أريد أن أكون سياسيًا

ناجحا، فأخذت الأمور بجدية.

وانضممت للحركة الماركسية. انضممت لايسكرا فى البداية من خلال «مركز الأبحاث»، والذى ضمنى فيما أظن هو على الشلقانى. لا أذكر تماماً هذه الأشياء لأنها لم تكن لها أهمية كبيرة عندى.

وبعد أن انضممت لايسكرا، حدثت الوحدة مع الحركة المصرية للتحرر الوطنى، وأصبحت فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى.

انضممت للحركة الماركسية بهذه الطريقة، انضممت أولاً عن طريق الاشتراك فى معركة الطلبة. أى لم أعرف الماركسية إلا عندما أصبحت عضواً فى الحركة اليسارية، لم آت اليها عن طريق القراءات وإنما جاءت المعرفة أساساً عن طريق الممارسة السياسية.

الارتباطات السياسية قبل الماركسية

كانت اشياء بسيطة، يمكن أنا بدون أن أدرى كنت أبحث. أتذكر أنى حضرت كذا اجتماع للحزب الوطنى القديم، عندما بدأ فتحى رضوان ونور الدين طراف يجددان فيه.

أتذكر أيضاً أنى ذهبت للإخوان المسلمين فى الحلمية الجديدة، وحضرت اجتماعاً فوق السطح وحاولوا أن يجندونى. لكنى بحكم تكوينى كان من الصعب أن أتعاطف مع الإخوان.

ثم كان لى نشاط سياسى غريب بعض الشئ فى هذه السن، قبل الماركسية وقبل أى شئ. انشأت جمعية اسمها (جمعية الارتقاء الذهنى والثقافى)، وأتيت بعدد من الناس فى هذه الجمعية وكنت نشطاً فيها، وكان من ضمن أعضاء الجمعية المرحوم فريد حداد، وكنا صديقين حميمين. لكنى لم أعرف أنه انضم للحركة الماركسية فيما بعد. هو انضم إلى (د.ش.) وكانت سرية جداً، ولم يكن أحد من اعضائها يصرح بشئ.

كيفية الاستمرار فى الحركة الديمقراطية

حدث أنى تخرجت وأصبحت طبيباً، ولأننى كنت من المتفوقين، عينونى فى القصر العينى، وفى فترة القصر العينى هذه نشطت نشاطاً كبيراً جداً رغم أن أحداً لا يعرف هذه الحقيقة. كنت أوزع خمسين عدداً من الجماهير فى هذه الفترة على الاطباء والممرضين والممرضات فى المستشفى، وأنا أول من أقام نشاطاً مع الممرضين، عندما قاموا بإضراب سنة ١٩٤٨.

صلتى بهذا الإضراب

فى هذه الفترة عندما قام الممرضون بالإضراب كنت فى الاسكندرية لكن التنظيمات الأولى وسط التومرجية أنا الذى قمت بإنشائها، أتذكر أن عدد المنضمين كان ثمانية كان هناك شخص اسمه محمد إمام وشخص أبيض البشرة اسمه عبد الغنى - كان هو رئيس النقابة فيما بعد. ستجد اسمه فى الغالب موجوداً، قد يكون أحد ذكره قبلى. واتصل بهم فيما بعد مصطفى أغا وأدخلهم فى الاضراب الفاشل الذى أدى إلى فصل جميع المرضين. كنت أذهب لهم فى بيوتهم، وكان عدد كبير منهم يسكن فى حوارى مصر القديمة، وكنت أذهب إليهم فى هذه الحوارى وأجتمع معهم فى البيوت وجندنا عدداً كبيراً من التومرجية فى هذه الفترة.

النشاط الجماهيرى الآخر بعد ذلك

بعد ذلك لم يكن لى نشاط جماهيرى لأن الذى حدث، أنه عندما تمت الوحدة. عرضوا علىّ التفرغ للعمل السياسى - فتركت الطب وكل شئ وسافرت للإسكندرية، وأصبحت مسئولاً تنظيمياً فى الاسكندرية، وكانت لجنة الاسكندرية على ما أتذكر تضم عبد العظيم أنيس، وكان مسئولنا كمال عبد الحليم، وكان معنا أيضاً عبد المنعم ابراهيم العامل النقابى وآخرون وكنت موجوداً فى الاسكندرية اثناء الاضرابات الكبيرة التى حدثت فى القاهرة وفى الاسكندرية فى هذه الفترة. وعندما حدث إضراب الكونستبلات، نزل الناس إلى الشوارع وحملنا لافتات مكتوب عليها «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» وسط مظاهرات ضخمة جداً وكذلك فى مظاهرات مارس ١٩٤٧، ووزعنا منشورات، ثم قبض علىّ فى أول قضية فى الاسكندرية، فى يونيو سنة ١٩٤٨. والذى قبض علىّ هو ممدوح سالم الذى أصبح رئيس وزراء فى عهد السادات وظللت فى القضية ستة شهور، ثم أفرجوا عنى، فى الغالب قالوا ده ابن ناس ولن يستمر فى النشاط، فلنعطه فرصة ونفرج عنه.

لكن كان هناك دفع قانونى فوقتها لم يكن قد صدر بعد قانون صدقى باشا- الدفع القانونى هو أننى وكمال عبد الحليم كنا نسكن فى بيت واحد، فالمحامون قدموا دفعا بانه لا يوجد ضمن القضية شئ بخط يد أحد الطرفين، والمضبوطات على المشاع، ممكن تخص هذا أو ذاك. ممكن يكون أحدهما برئ نظلمه. فأفرج عنى على هذا الاساس.

خرجت، وتم القبض على مرة أخرى أيام ابراهيم عبد الهادى - بعدها بمدة قصيرة بحوالى أربعة شهور - وأودعت فى سجن الأجانب ثم تم ترحيلى لسجن مصر، وفى سجن مصر ظللت فترة بعدها احتجزت في القصر العينى، وهربت من القصر العينى فى مايو ١٩٥٠ وسافرت للخارج وظللت فترة فى فرنسا.

لكن الشئ الذى أريد أن أذكره أنه منذ أن حدثت الوحدة تعاطفت مع زملائى فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى أكثر من تعاطفى مع ايسكرا.

والحركة المصرية للتحرر الوطنى كانت أقرب للمصريين وأقرب للشعب، وبالتالى كان من الطبيعى أن أتعاطف أكثر مع أعضائها أكثر من التعاطف مع أعضاء ايسكرا الذين كنت أراهم يقيمون حفلات فى الاحياء الراقية، ولى رأى قلته عندما كنا نتناقش فى مركز البحوث العربية وهو أن المشكلة الكبرى للحركة الشيوعية كانت ايسكرا أكثر من المنظمات الأخرى، رأيى أن الحركة المصرية للتحرر الوطنى، التى أصبحت الحركة الديمقراطية فيما بعد و(د. ش) - رغم اختلافى مع الأخيرة - كانا يمثلان شيئاً مرتبطاً بالحركة الوطنية. إنما ايسكرا كانت بعيدة عن الحركة الوطنية للشعب. وجميع الاتجاهات المتطرفة فى الحركة اليسارية ظهرت بعد ذلك من ايسكرا بشكل أساسى. الأخرون كانت لهم أخطاء وأحياناً ينحرفون يساراً أو يميناً ولكن أخطر الاتجاهات اليمينية واليسارية نشأت أساساً من ايسكرا.

المحاولات الحقيقية لدراسة الواقع المصرى

كانت هناك محاولات، لكن الذى حدث أن المسائل لم تأخذ فرصتها للنضوج خلال مراحل طبيعية. مثلاً الخط الذى هوجم بشكل شديد جداً وكانوا يسمونه خط يونس (خط القوات الوطنية الديمقراطية) اتجاهاته الأساسية كانت مبشرة، ليس بمعنى أنه كان كاملاً أو ليس فيه نواقص أو ليس فى حاجة لأن يتطور. إنما لأنه استطاع أن يرى حقيقة أساسية فى الموقف، وهى أنه حتى تلعب الحركة الشيوعية دوراً فى المجتمع المصرى لابد أولاً أن ترتبط بالحركة الوطنية ضد الاستعمار وضد الانجليز وضد الطبقات المتحالفة مع الاستعمار. وبالتالى فإن طبيعة المرحلة التى نعيش فيها طبيعة وطنية ديمقراطية. والذين هاجموه قالوا عنه إنه ليس اشتراكياً وليس طبقياً، وهذا كلام خطأ، لأن الحركة الوطنية كانت حركة طبقية أيضاً، لأنها كانت تحالفاً

بين طبقات معينة ضد طبقات أخرى، وكانت مرحلة لابد أن تنتقل فيما بعد لمرحلة أخرى. وفى رأيى أن هذا الخط كان ناتجًا من دراسة الواقع المصرى والاحساس به، وأن هذا الإحساس لا ينشأ فقط من قراءة الكتب، ستجد حتى من قرأوا الرافعى وقرأوا تاريخ ثورة ١٩١٩ لسعد زغلول وتاريخ الوفد أنهم ظلوا بعيدين عن فهم الواقع.

وفى رأيى أن السبب الرئيسى هو أن الحركة المصرية للتحرر الوطنى كانت على علاقة بالناس - بأحاسيس الناس - وطبعًا أنا رأيى أن هذا جزء كبير من الفكر والنظرية. النظرية ليست كتبًا. النظرية تجربة تتحول لكتب وليست كتبًا تتحول لنظرية هى تفاعل مستمر بين الاثنين. طوال عمرنا نقرأ النظرية ونقول نطبقها على الواقع. لا هذا خطأ. النظرية تأتى من الواقع. ثم أنت ستعود للواقع مرة أخرى وتطورها. ثم يخرج شئ جديد من الواقع فتغير فيها. هناك علاقة جدلية بين الواقع والنظرية، ونقطة البداية فى - رأيى - هى الواقع. ماذا تعنى النظرية؟ طريقة فى التفكير، أنا أشعر، أننى أفكر بطريقة يمكن أن تسميها اشتراكية أو مادية جدلية أو ماركسية ورغم أننى لا أقرأ كثيرا فى النظرية فإننى أفكر الآن بطريقة أسلم كثيراً من الطريقة التى كنت أفكر بها وأنا شاب أنهل من الكتب الماركسية. ومع ذلك عندما تقول لى وما النظرية التى تطبقها؟ أقول: أطبق بعض البديهيات، أن العالم يتغير باستمرار، أن هناك تناقضات، وأن هذه التناقضات تؤدى أحيانًا إلى التحول ... وأشياء أخرى من هذا القبيل. وهناك ناس فى رأى يفكرون بطريقة جدلية وقد لا يكونون قد قرأوا لينين أو ماركس.

وهناك ناس قرأوا لينين أو ماركس ولا يفكرون بطريقة جدلية أبداً وهذه المسألة شغلتنى، لأن المشكلة كانت أننا لم نكن نفهم أن النظرية تأتي من الواقع أولاً وفي الأساس، لأنك مهما قرأت فى الكتب، لابد أن تعيش وتدرس وتلاحظ.

غير ذلك - غير هذا الخط - كانت هناك اشياء أخرى فى الحركة المصرية للتحرر الوطنى. أولاً كان هناك قسم للجيش خلافًا لأى تنظيمات أخرى. ثانيًا كان فيها قسم للأزهريين دونًا عن النظمات الأخرى. هناك شيوعيون فى هذه الحركة كتبوا عن الإخوان المسلمين، وأذكر أننى كنت أحضر معهم اجتماعات أحيانًا، وكان لابد أن يتوقف الاجتماع، ليصلوا ركعتين ثم يعودون. هذا دليل على أنه كان هناك تغلغل فى الفئات المختلفة التى تشكل المجتمع المصرى. أتذكر عندما أقيمت مدرسة للكادر، نوقشت فيها قضية المرأة في فترة مبكرة جداً... الاهتمام

بالعمال، بالفلاحين بالنساء، صحيح أن كل هذه كانت اشياء بدائية لم تكن متبلورة، وكان هناك نواقص، لكن كانت تدل أن هناك حاسة معينة، وهذه الحاسة المعينة هى التى كانت تنبئ أنه يمكن أن يحدث تطور فى الاتجاه السليم وهذا لم أشعر به عندما كنت موجوداً فى ايسكرا.

الاحتراف فى الحركة الديمقراطية أم فى ايسكرا

فى ايسكرا لم أكن أعرف هل كان يوجد محترفون أم لا. يهيئ لى لا. يبدو لى أن فكرة المحترفين جاءت من الحركة المصرية، والذى عرض علىّ الاحتراف كان زميلا من الحركة المصرية، حيث كان هناك اهتمام بموضوع المحترفين. كنت أعيش وقتها بأربعة جنيهات فى الشهر، وكان يطلب منا عمل كثير جداً، لكن فى الوقت نفس الشئ الذى كان يضايقنى أنه كان هناك تعامل مع الناس ليس فيه مساواة أو ديمقراطية مثلا كنت موجوداً فى الاسكندرية فى فترة الانقسامات. لم أعرف شيئاً عن هذه الانقسامات أبداً إلا عندما تمت، لم تكن هناك مناقشة. لم يكن هناك الإحساس بأن الأعضاء يجب إشراكهم فى المشاكل المختلفة ومعرفة رأيهم.

كان وقتها كمال عبد الحليم يسافر إلى القاهرة ويعود ولا يقول لنا شيئاً. هناك أشياء كثيرة فى القاهرة مفروض أن تعرفها. كان هناك نوع من التعالى على الناس ومن الإحساس بأن هناك قيادة وأنفاراً باسم السرية وباسم الامان، صحيح هناك أشياء ليس من الضرورى أن نقولها للناس أو نناقشها. لكن لم تكن هناك فعلاً ديمقراطية.

مؤتمرات وكونفرنسات

أما بالنسبة للمؤتمرات أو الكونفرنسات - ففى رأيى أننا ضربنا بسرعة جداً. مثلاً أنا التحقت بالحركة اليسارية سنة ١٩٤٦/٤٥. فى مايو ١٩٤٨ بدأت الانقسامات. وقبلها كان الناس يوضعون فى السجون والمعتقلات، وكان الكثيرون منا يحملون التنظيمات اليسارية اكثر من طاقتها، من باب الحماس أو عدم الخبرة، والكلام الكثير عن الكونفرنسات والمؤتمرات. في رأيى لم يكن عملياً تماماً فى هذه الفترة - الديمقراطية ليست كونفرنسات - هى موقف فى الحياة، هى موقف من الناس من حولك، تأخذ رأيهم، تحترم رأيهم، تناقشهم أم لا؟ هل تؤخذ القرارات جماعية أم لا؟ هل توجد توعية أم لا؟ هذا أهم، أما الكونفرنسات نتحدث

كل ثلاث أو أربع أو خمس سنوات. الديمقراطية لم تكن موجودة، كان هناك تشديد على فكرة المركزية. الديمقراطية موقف، وممارسة يومية.

الموقف من الوحدة والانقسامات التى حدثت

طوال تاريخى فى الحركة اليسارية لم أتنقل بين التنظيمات. التحقت بإيسكرا . ثم الوحدة- أى الحركة الديمقراطية، وظللت معها وهى تتحد أو وهى تنقسم. والسبب بسيط جداً، ليس لأن رأيى أن الحركة الديمقراطية كانت على حق دائماً، إنما لإحساس أن هؤلاء أقرب إلى السلامة عن باقى الحركة اليسارية، هذا كان السبب الوحيد.

الموقف من الانقسام الذى حدث والمسئول عن الانقسام

الحقيقة أحيانًا كثيره جداً لم يكن أحد يعرف من المسئول عن الانقسام، لأن كل طرف يتهم الطرف الآخر. وكان الطرفان يقومان بأعمال انقسامية فى نفس الوقت. مثلاً فى الحزب الأخير الذى ضم كل التنظيمات، من الواضح أنهم كانوا جميعاً يلعبون لعبة انقسامية منذ البداية- وهذا وارد فى المرحلة الأولى ولابد من الصبر حتى تستقيم الامور- لكن الكثيرين لم يكونوا مستعدين للكفاح الحقيقى حفاظًا على الوحدة.

الوحدة الاندماجية والانقسام

من الطبيعى أن الفكر الانقسامى يظل موجوداً لفترة زمنية معينة. إنه لا ينتهى فى يوم وليلة، لم تترك الفرصة لكى تعيش التنظيمات مع بعضها حتى فى شكل كتل تتوحد بالتدريج. كان العداء أعمى، والجمود مستشرياً.

الموقف من قضية الأجانب فى الحركة الشيوعية ودور الأجانب واليهود فى الحركة

التاريخ شاء أن تجئ الماركسية إلى مصر عن طريق الأجانب، وأغلبهم من اليهود، كان هناك أيضًا إيطاليون ويونانيون وبعض الانجليز وقتها. هؤلاء الناس لعبوا دوراً أساسيًا فى مولد الحركة اليسارية وقدموا تضحيات. والكثيرون منهم فيما بعد رفضوا أن يذهبوا إلى إسرائيل. وهذه أشياء لا نستطيع أن ننكرها، ربما حاولت الحركة الصهيونية أن تلعب دوراً

داخل الحركة الشيوعية المصرية. كما كانت تلعب المباحث داخل الحركة اليسارية. وكانت المباحث تتعامل مع الصهاينة، بل وتتعاون معهم. كانت مع الصهاينة ضدنا. المشكلة بالنسبة لليهود أنه عندما أخذت الحركة تتطور كان مطلوبًا أن تحدث تغييرات فى القيادات. وفى رأيى أن المشكلة فى كل الحركات السياسية أن القيادات كثيراً ما لا تكون مستعدة للتنازل عن دورها. تريد أن تبقى، حتى لو كان من الضرورى أن تحل قيادات أخرى محلها وحتى لو كانت عاجزة، عن التطور مع الزمن. نادر جداً أن تجد من يتطور دائمًا مع الزمن، ونادر جداً أن تجد قائداً يشعر أن دوره انتهى ويقول سوف أخلى مكانى لغيرى. هذا ينطبق بدرجات مختلفة على كل القيادات لكنى شخصيًا لا أساوى مثلاً بين يونس وبين اليهود الآخرين مثل هليل شوارتز مثلا. رأيى أن يونس كان لديه من الناحية السياسية تبرغ وقدرة على الإحاطة بأشياء كثيرة جداً وكان قادراً على أن يحس الناس، وأنا شخصيًا عندما رأيته كنت سعيداً به، ليس لأنه بلا أخطاء، ولكن لأن لديه مقتضيات القيادة، لديه ما يسمونه بالكاريزما، وهذا مهم. وكان صاحب كثير من المبادرات، كأن يكون هناك قسم فى الجيش ويكون هناك قسم للأزهريين وأن يناقش موضوع المرأة، وأن يكون هناك قسم للسودانيين. كل هذه أشياء لابد أن توضع فى الاعتبار. لكن الخطأ هو أن ينقسم الناس لأن يونس فى القيادة. هذا الذى فعله شهدى، باسم أنه ضد وجود يهود فى القيادة، رأيى أنه خلق مشكلة ألعن من المشكلة الأولى، لأن تغيير القيادات عملية تاريخية. القيادات تتغير ويحل محلها قيادات جديدة وبنضال منظم وأساليب ديمقراطية. أنا رأيى أن شهدى مناضل وشهيد ولعب دوراً لا ينكر وظل خمس سنوات فى زنزانة وحده، ولكن رأيى أن مواقفه السياسية لم تكن سليمة دائما حتى فى مواقفه الأخيرة. فأنا مع تأييد الثورة، لكنى أرى أن التأييد كانت فيه مبالغة. هو كان من النوع المتطرف. ممكن يكون التطرف ناحية اليمين أو اليسار، هو كان مثل الفنانين. هؤلاء لديهم ميل للتطرف.

أحيانًا الناس، وهذا شئ تعملته من السيرة الذاتية التى كتبتها، لا تدرس نفسها، النوازع الانسانية معقدة. من الممكن أن أكافح لأقيل اليهود من القيادة، لأننى أريد أن أكون أنا القيادة. المسائل ليست بسيطة وسهلة، كان رأيى أن يترك اليهود القيادة ... ولكن هل يرحلون كلهم فى نفس الوقت أم لا؛ هذه هى المسألة لأن الكفاءات كانت مختلفة. كيف

يرحلون؟ وبأى طريقة. كل هذه كانت مسائل مهمة. وأنا مثلاً لى رأى خاص فى موضوع الوحدة، وتقريبًا كل الناس ضدى فى هذه الحكاية. أنا الآن ضد الوحدة التى تمت بين الحركة المصرية وايسكرا. أنا لست ضد الوحدة بشكل مطلق. أنا مع الوحدة. لكن متى وكيف وفى أى ظروف؟ وهل تكون مفيدة اليوم أم لا؟ حتى الانقسام يمكن أحيانًا أن يكون مفيداً. لينين انقسم عن الدولية الثانية. هل هناك قول مطلق بأن الانقسام خطأ؟ هل الانقسام يدفع بالحركة الثورية للأمام أم يشدها للخلف؟ إذا استطاع أن يقدمها للأمام يكون سليمًا أما إذا شدها للخلف يكون الانقسام خطأ.

الطابع الانقسامى للحركة الانقسامية

هذا الطابع له أسباب كثيرة. رأيى أن بعض القيادات اليهودية كانت تريد أن تظل فى مناصبها. فى هذه الفترة. شخص مثل هليل شوارتز،كان يعمل خلف الستار بعض الشئ، وحرص علي الانقسام. بدأت المسألة تدخل فى تنظيم أكبر، لو أحس أنه لن يلعب الدور القيادى الذى كان يلعبه ربما تصرف حتى بشكل غير واعٍ. فالانسان قادر على التبرير لأشياء كثيرة تتعلق بمصالحه. الشئ الثانى: يسكرا - الاجانب والطلبة الكثيرون و الطبقة المتوسطة التى ليست لديها فكرة عن الحياة. إن الحياة ليست سهلة. إن هذه المسائل تحتاج أن يكون لدى المرء صبر ويكون ثابتًا. طابع البورجوازية الصغيرة والمتوسطة لأن الانقسامات أتت من هؤلاء، وهم الذين أنشأوا م.ش.م، عندما نفكر فى م.ش.م اليوم، يمكن أن تقول هؤلاء كانوا مجانين. كان لى قريب فى السجن اسمه (الخرادلى) لم يكن يكلمنى .. حتي الموقف اليومى للناس العاديين لم يكن موجوداً عندهم. ثم الهلع من ضربات البوليس. نجد الناس لا تعرف أن تفكر، أو تفكر بطريقة متعجلة فى المسائل. طبعًا الانقسامية توجد فى بلاد كثيرة جداً وليس فقط فى مصر، لكنها كانت ظاهرة موجودة فى مصر أكثر من أى مكان آخر، ولازالت حتى اليوم، الشرذمة هى طابع الفترة السياسية التى نعيشها اليوم.

الموقف من خميس والبقرى

موقف الحركة الديمقراطية بدءًا من أواخر ١٩٥٣ أوائل ١٩٥٤ أصبح معارضًا للجيش لسببين أحدهما كان خطأ والآخر كان صحيحًا. الخطأ هو رفض المفاوضات مع الانجليز لأنه ثبت أن المفاوضات يمكن أن تكون وسيلة لحل المشاكل إذا كانت مسنودة بالقوة. الفيتناميون أجروا

مفاوضات وأوقفوا الحرب، وعبد الناصر أجرى مفاوضات وأخرج الانجليز. كانت كلمة المفاوضات عندنا عقدة، وهذا نوع من التفكير الجامد. ولذلك عندما بدأت المفاوضات عارضت الحركة الديمقراطية الثورة.

الامر الثانى، عندما بدأ ضرب الحركات اليسارية قبل أزمة مارس كان رد الفعل طبيعيا، رد الفعل البشرى الطبيعى عندما يضربك أحد، تقول أنا أيضا سوف أضربه. تحتاج اتزانا شديداً جداً لتعرف كيف تعالج الوضع، لأنه كان مفروضاً أن يستمر التأييد المشروط للثورة. بمعنى أننا مع هذه الثورة لأنها فعلت كذا... أخرجت الملك، وقامت بعمل إصلاح زراعى، ولكن هناك إجراءات نحن ضدها. يجوز أن هذا لم يكن ليغير شيئا. لكن على أقل تقدير كان هذا هو الموقف المناسب. الحركة الديمقراطية استمرت تعارض الثورة فترة، حتى باندونج وتأميم قناة السويس.

الموقف من قضية فلسطين

كان موقف التنظيم الموافقة على التقسيم ... سنة ١٩٤٨.

وجهة نظرى قبل قرار التقسيم

قبل قرار التقسيم كانت وجهة النظر دولة موحدة فيدرالية. لست متذكراً تماما، لكن أعرف أنها دولة موحدة، أعتقد كان هناك كلام عن الفيدرالية، دولة ديمقراطية علمانية موحدة بين العرب واسرائيل. عندما طرح قرار التقسيم وافقت عليه الولايات المتحدة ووافق عليه الاتحاد السوفيتى. الحركة الديمقراطية وافقت على قرار التقسيم. وأنا كنت موافقاً عليه، حتى اليوم لازلت ميالاً للموافقة فى ضوء ما حدث بعد ذلك. هذه ربما تاريخياً قد لاتكون طريقة سليمة. عندما تنظر اليوم لعشرين أو ثلاثين أو خمس وثلاثين سنة مرت، من السهل أن تقول أنا كنت على صواب. الظروف تغيرت. لكن مع ذلك ثبت أن الحكومات العميلة أخذت الجزء العربى من فلسطين ولم تعد هناك دولة فلسطين، وإسرائيل أخذت الجزء الخاص بها وأكثر وأصبحت هناك مشكلة فلسطين. لو كنا وافقنا على قرار التقسيم، هل كانت ستوجد دولة فلسطينية؟ يقول البعض إن الشارع المصرى كان ضد القرار، وأنت عزلت نفسك عن الشعب المصرى وأصبحت متهماً بالصهيونية. أنا رأيى أن هذه قضية قديمة. أنت مواجه باستمرار بسؤال هل فى كل وقت

تختار الموقف الذى يجعلك تسير مع الجماهير. هتلر سارت الجماهير معه فى الفاشية. هل يأتى وقت معين تقول فيه سوف آخذ موقفاً مبدئياً فى هذه المسألة موقفاً سلبياً، وسوف أخسر الناس لكن فيما بعد سوف أكسب نتيجة هذا الموقف لأن سلامته ثبتت فيما بعد. اليوم هذا الاسلوب انتهى تماماً .. وأصبحنا نعيش فى السياسة من يوم ليوم وتسير المسائل حسب المنفعة العاجلة، روح من الانتهازية. لكن الاشتراكية علمتنى أنك أحياناً تأخذ موقفاً تخسر فيه الناس لأن هذا هو الموقف السليم.

التبعية للحزب الشيوعى السوفيتى

لقد لعبت التبعية للحزب الشيوعى السوفيتى دوراً كبيراً فى هذا الأمر. لكنه فى نفس لوقت صادف أن كان تقديرا سليماً. وعندما يتفق الاتحاد السوفيتى وأمريكا على القرار، من الذى سيعارضه؟ كيف سيعارضه؟ ولم تكن هناك أى دراسة للواقع ولا للقوى الموجودة ولا للدول العربية وتدخلها وما الذى سيترتب عليه. كانت هناك تبعية فكرية حقاً للاتحاد السوفيتى، إنما يظل صحيحاً أن حدتو اخذت مواقف أخرى مستقلة، منها موقفها من حركة الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

الموقف من أنصار السلام

لم يكن لى دور فى أنصار السلام.

الفرق بين المعارضة والارهاب

هناك فرق بين المعارضة والارهاب. وهذه نقطة لابد نضعها فى اعتبارنا. رأيى أنه من المفروض يكون لكل القوى السياسية الموجودة فى مصر الحق فى تكوين أحزاب، بما فيها الاخوان حتى لو كان الاخوان يلعبون بشعار الديمقراطية، لكن عندما يقتل بعض الناس، لابد أن نضع من قتلهم فى السجن. العنف يقابل بالعنف.

وطبعاً تمصير الشركات والبنوك كان التنظيم معها.

موقف التنظيم من وحدة مصر وسوريا وحركة القومية العربية فى ١٩٥٨

مرقف التنظيم كان وحدة فيدرالية على أساس ديمقراطى وكان رأيى هكذا.

قرارات التأميم ١٩٦١-١٩٦٢

كنت أؤيدها شخصياً. والتنظيم أيضاً أيده. على أساس أنه يضرب الرأسمالية الكبيرة، طبعاً بعض التأميمات ضربت الرأسمالية المتوسطة وامتدت أكثر من اللازم. كأن يقول عبد الناصر من الإبرة للصاروخ وكان هناك شئ من التطرف فى موقف التأييد الذى اتخذناه. كان هناك تفكير أن هذا يمكن أن يؤدى للاشتراكية. كنا نعيش متأثرين بتجربة كاسترو - اذ لهذا أسباب كثيرة:

١) السجن الطويل والانعزال عن الواقع.

٢) السجن الطويل يؤدى للاحلام. نريد أن نخرج متعجلين الاشتراكية. تتحول آمالنا الى حقائق. فطبعاً إذا كنا نسير فى الاشتراكية، سنخرج قريباً.

٣) عدم تقدير سليم لطبيعة الصراع الطبقى، لحقيقة وحدود ثورة يوليو التى أنجزت أشياء كثيرة كنا نؤيدها، لكن بينها وبين اليسار كان هناك صراع. فهى ثورة بورجوازية لها حدود. واليسار ليس بالقوة والنفوذ بحيث يدفعها فى طريق الاشتراكية، ويعزل عنها الاتجاهات المعادية كما حدث فى كوبا مثلاً.

الصراع لابد أن يوضع فى الاعتبار، و إن لم أكن ضد الكلام عن أن هناك مجموعة اشتراكية، فعبد الناصر كان يتطور كثيراً خلال فترة الحكم.

فترة المعتقل بعد الزملاء

كان محكومًا علىّ بالسجن. فمدة العشر سنوات انتهت بالنسبة لى فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٦٣. قبل ذلك عندما كانت تنتهى المدة وينزل المفرج عنه للقاهرة، كانوا يعيدونه إلى المعتقل. لكن يبدو أنه كان قد اتخذ قرار فى هذا الوقت بالإفراج عن الشيوعيين. فبدلاً من أن يعيدونى تم الإفراج عنى مثل آخرين قبلى - صلاح حافظ ومحمود توفيق.

الصراعات داخل السجن

كان هناك صراع حول الأفكار، وكانت هناك عوامل شخصية وعداوات تاريخية، إنما كانت هناك أساسا صراعات فكرية مثل التى كانت موجوده بالخارج، الفرق بين التنظيمات .. الفرق بين تنظيم حدتو وتنظيم الراية، بين الحركة المصرية والراية ود.ش. كانت هناك فروق فى العقلية

وفى النظرة والسياسة، فى عادات الحياة. نحن كنا شعبيين أكثر، كنت تجدنا دائما فى الأشياء التى تؤدى إلى تحسين الحياة المادية والمعنوية، والفنية، فى البناء، نعمل فى مزرعة. نحن الذين بنينا المسرح وجامعًا للإخوان. كنا أناساً بسطاء ويحبون العمل. ويجوز أننا لم نكن منثقفين تمامًا بالمعنى الجامعى، إنما إيدينا فى الحياة أكثر، أنازن بالراية مثلا. لكن فى نفس الوقت كانت الضغائن الشخصية والمنافسات بين القيادات تلعب دوراً، لم أكن متداخلاً تمامًا فى هذه المسائل. كنت أعمل طوال النهار.

حل التنظيمات

عندما عقد الاجتماع الذى اتخذ فيه قرار الحل، لم أحضره، لم يدع إليه أحد. كنا أخذنا قراراً ونحن داخل المعتقل أنه إذا عرض علينا أن ننضم للاتحاد الاشتراكى، ننضم. وعلى ما أتذكر- لست متأكداً - كان هناك كلام أن المرء يمكن أن تكون علاقته التنظيمية ليست واضحة تمامًا ماذاء يعمل فى الاتحاد الاشتراكى، مع بقاء الشكل التنظيمى. أنا لم أحضر المناقشات الاخيرة التى تمت بين مارس وابريل عندما خرجوا. إنما عندما تم حل التنظيم بصراحة شعرت بالراحة. أولاً لأنى تعبت ولم يكن لدى استعداد لأن أدخل السجن مرة أخرى و بدأت أشك فى جدوى هذه العملية. ثم إذا دخلت ماذا سيحدث لنا؟ عشر سنوات فى السجن، انعزلنا ولا نتيجة. لقد قضيت حياتى كلها تقريبًا فى السجن منذ سن ثلاثة وعشرين و خرجت وعمرى واحد وأربعون سنة. أى كل شبابى. فأريد أن أعيش وأرى ما الذى فى الدنيا، هذا لعب دوراً بالنسبة لعدد كبير من الناس، لكن ليس لديهم استعداد أن ليعترفوا بهذه الحقيقة، ويحولوها لقضية سياسية. رأيى لا، هى لم تكن فقط قضية سياسية. هى قضية الرغبة فى التخلص من القيد الذى يمكن أن يعيد المرء للسجن مرة أخرى ليقضى باقى حياته خلف القضبان، وقد كان هناك ناس لم تكن تجد طعامًا وناس لم تكن تجد عملا... والروابط الاسرية وعوامل كثيرة.

لكن أنا رأيى أيضًا أن حل التنظيم هنا كان تحصيل حاصل من الناحية العملية، كانت التنظيمات انتهت على أقل تقدير أنا أتكلم عن التنظيم الذى كنت أنتمى إليه، وأعتقد أن هذا ينطبق على الباقى. هناك سابقة تاريخية. أتذكر أن الحزب الفيتنامى حل نفسه مرة، لكنه

كوّن نفسه مرة أخرى، وكانت هذه الفكرة واردة. أن تحل تنظيمك، ثم ترى الناس الذين لديهم قدرة على المواصلة وتبني تنظيمًا جديداً لأن أغلب الذين كانوا موجودين لم يعودوا صالحين للاستمرار.

فرغم أنني لم أحضر القرار، لكن لم أكن معارضًا له.

أزمة الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

رأيي في أزمة الحركة الشيوعية أن تجربة الاشتراكية والفكر الاشتراكي تجربة خطيرة جداً، لأنها عبارة عن ثورة كاملة في أسلوب الفكر وفي الفلسفة وفي النظرة للحياة. وفي تنظيم المجتمع في الاقتصاد والثقافة والدين والجنس. المجتمع عاش طوال عمره مجتمعاً طبقيًا. ثم أنت تقول إنك تريد أن نسير نحو مجتمع يلغي الطبقات. عملية معقدة جداً. ولابد أن تمر بتجارب كثيرة، إن الفكر المتعلق بالاشتراكية ثبت أنه بعد ماركس، حتى أيام لينين نفسه، لم يتطور بشكل يمكن أن يتمشى مع الظروف المتغيرة التي وجدت في مصر، بدليل أن اليسار في أشياء كثيرة جداً مازال يفكر بطريقته القديمة الجامدة حتى اليوم. عندما تناقش الناس تجد أن نفس أساليب العمل والتفكير لازالت موجودة حتى اليوم.

فأزمة الحركة الشيوعية المصرية هي أزمة الفكر أولاً، فالفكر لا ينفصل عن الواقع إنها أزمة فكر بمعنى عدم القدرة علي ملاحقة التطور السريع الذي يحدث في العالم. الرأسمالية تتطور بطريقة سريعة جداً - اقتصاديًا وسياسيًا وعسكريًا وعلميًا وفكريًا - رغم أن نظرياتها ضد الانسان، لكن هي تطور فكرها لتخدم مصالحها أما الفكر الاشتراكي لأنه جديد ولأنه بادئ ولأنه يعيش في قلب المجتمع الطبقي ووسط أجهزة طبقية، وفلأنه لا يتمتع بإمكانيات الرأسمالية.. لم يستطع أن يطور فكره ليتمشى مع التطورات السريعة بنفس المعدل الذي كان موجوداً. وهذه هي الازمة الاساسية.

بعد ذلك فإن لانقسام جزء منها وكذلك الديمقراطية، المواقف السياسية الخاطئة جزء منها، كل هذه الاشياء. وهذا هو التحدي الموجود. عندما تنظر للوضع الموجود في العالم تجد الناس لا تعرف أين تذهب. عندما تبحث عن الفكر الاشتراكي ماذا يقول في الموقف الجديد؟ هناك اجتهادات بدأت وستنمو ستجد فكراً رأسماليًا موجوداً وله مواقف معينة وكتب ودراسات

ويعمل على الانترنت والميديا . أما الحركة الاشتراكية فلأنها وتبعثرت وانهارت فى المعسكر الاشتراكى ولأنها تواجه مشاكل كثيرة جداً، لديها أزمة فكرية خطيرة. وأنا رأيى أن الأزمة الفكرية اليوم هى امتداد للأزمة الفكرية القديمة، وهذه مرحلة تتطلب أن يُبذل جهد كبير فى هذا المجال. وبالفعل توجد بدايات فى أماكن مختلفة من العالم. ولكن علينا ايضًا أن نتعلم من الحركات الجديدة التى تنشأ كل يوم. من حركات النساء، والبيئة، وحركات التحرير جديدة وغيرها ، فالفكر الاشتراكي فى المستقبل سينهل من روافد كثيرة ومنها روافد بورجوازية رأسمالية، تمامًا كما نهل ماركس منذ أكثر من ١٥٠ سنة من السابقين، والمعاصرين له.

شهادة

عبدالعال البسطاويسي

البيانات الشخصية

الاســــــــــم : عبد العال إبراهيم البسطاويسي جمال الدين بكر

محل وتاريخ الميلاد : ٧/ ١٩٢٦ - شبراوين مركز أجا - دقهلية.

العـــــمـــــل : من سنة ١٩٣٢ أعمل مع والدى بقريتنا فلاحًا صغيراً لا يزيد عمره عن خمس سنوات حتى سنة ١٩٤٠. ثم عامل فى عدة مصانع.

الظروف التى عشتها مع والدى من ١٩٣٢ حتى ١٩٤٠

عملت فلاحًا مع والدى أسرح وأرجع معه وأتحمل أعباء أسرتنا معه، حيث أننى الابن الكبير. وفى هذه الظروف عملت فى بلد. كانت بلدتنا لا تملك أحد فيها أكثر من فدانين للأسرة الأسرة التى يعولها فرد واحد- وكان والدى يملك من الأرض فدانًا ونصفًا. وكانت له أمه ووالدتى التى هى زوجته. وفى ظروف من سنة ١٩٣٢ حتى سنة ١٩٤٠ عشت ظروفًا قاسية جداً كانت تعيشها قريتنا، وكنا فى ذلك الحين نفرح فى الأعياد أثناء لبس الجلابية الجديدة. والحذاء لأنه كان الفرد منا يلبس الجلابية والحذاء. وطوال السنة يمشى حافى القدمين يزرع ويقلع.

نزرع القطن ونجنى القطن وننقى آفاته ونجنى الذرة ونباشر زراعتنا مع والدى. وفى هذه الفترة كانت بلدتنا أغلبها ناس فقراء لا تملك حوالى ٦٠٪. وكان حوالى ٢٠٪ يملكون نصف فدان فأقل. وكان هناك ناس تملك فدان. المهم إن القرية كانت ملكيتها عبارة عن ناس لا يملك رب الأسرة فيها أكثر من نصف فدان بالتساوى، إذا وزعنا الأرض كلها على أهل القرية.

فى هذه الفترة كان والدى يعيش ظروفًا صعبة مثل أهل قريته، وكان أغلب البلد- حوالى ٦٠٪ - يخرجون للعمل بالأجرة عند الإقطاعيين فى شمال الدلتا وشرق الدلتا خاصة الدقهلية وكفر الشيخ. كان ملاكها الإقطاعيون الباشوات، عائلة سراج الدين وعائلة الأتربى. وكان فى ذلك الوقت أيضاً عائلة البدراوى عاشور. فكان والدى وأمثاله من بلدتنا ومن أغلب القرى المصرية. خاصة مركز أجا لأنه كان مركزاً فقيراً ليس فيه أثرياء إلا الأتربى وشخص

---

* أجرى الحوار كل من أ. رمسيس لبيب، أ. نجاتى عبد المجيد عضوا لجنة التوثيق.

اسمه محمود عبد النبى. فهؤلاء كانوا هم الأثرياء، وكان بعض الخواجات اليونانيين يملكون أرضًا فى مركز أجا. فكان الفلاحون فى القرى - التى هى بلاد فقيرة -بخرج الناس يشتغلون بالفأس والكوريك. يحفرون ترعًا ومصارف، وكان والدى أحد هؤلاء الناس. فكانت ظروف حياة والدى صعبة جداً، وعانيت أنا نفس هذه الحياة.

فى سنة ١٩٤٠ - وكان عمرى أربعة عشرة عاماً - اقترح والدى علىّ أن أعمل فى المحلة. وبيننا وبين المحلة حوالى ١٨ كيلو. نحن شرق الدلتا، والمحلة وسط الدلتا. فذهبت إلى المحلة، والتحقت بعمل فى شركة المحلة، وعملت فى قسم اسمه قسم الزوى فى الشركة. عملت حوالى سبعة شهور، وفى أثناء سنة ١٩٤٠ فى هذه الشركة كانت العمال ظروفهم صعبة جداً، كانت الأجور بسيطة جداً. أربعة قروش اليومية ثمانى ساعات، واثنتى عشرة ساعة أربعة قروش. فكان العامل يئن تحت ظروف القهر داخل الشركة وضعف الأجور.

وكان فى هذا الوقت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٠ كانت لازالت مشتعلة. وكان لعمال يعتبرون ظروف المعيشة صعبة جداً، وفى ذلك الحين أصدروا بطاقات تموينية تعطى الناس سكراً وزيتًا وتعطى بعض الناس المواد التموينية. لكن فى نفس هذه الظروف كانت العمال تبحث - فى داخل الشركة وخارجها فى صناعة النسيج اليدوى- عن المخرج من الأزمات التى يعيش فيها العمال. أزمات الأجور والمعيشة الصعبة. وكل عائل لا يستطيع أن يعيش فى هذه الظروف.

فى ذلك الحين - كانت توجد نقابة عباس حليم وكان هناك حزب الأخوان المسلمين وحزب أحمد حسين الذى هو مصر الفتاة؛ وكانوا يجتذبون العمال على أساس أنهم ينشئون جمعية للعمال. لعمال شركة المحلة. وكانوا يعدون العمال بإنشاء نقابات معظمها فى ظروف ١٩٤٠-١٩٤١ - رجل اسمه عبد الحميد لطفى. وعبد الحميد لطفى هذا كان محامياً. العمال تقابلوا معه وفكروا فى اجتماعات معينة فى الظروف القاسية التى يعيشها العمال، وكان فى هذه الفترة ١٩٤٢-١٩٤٣ هناك غلاء. ففكر العمال أن ينشئوا نقابة ليواجهوا بها ضغوط الشركة وعنف وديكتاتورية الشركة داخل العمل على العمال. ولم يكن هناك شئ اسمه قوانين عمالية يتعامل بها العمال فى الشركة. لكن فى هذا الوقت كان العمال يحاولون أن يجدوا شكلا من أشكال العمل القانونى على أساس أن العمال يتفاهمون مع إدارة الشركة على

لكيفية التى بها يحصلون على حقوقهم.

فى هذه الفترة عبد الحميد لطفى كان يعتبر نجمًا للعمال، وقيادات العمال ارتبطت به، فكانت مجموعات من هذه العمال يعتبرونه داخل المحلة نجمًا صاعداً جداً جداً. وفى نفس هذه الظروف أنا دخلت اجتماعات هؤلاء العمال فى نقابة عبد الحميد لطفى التى بدأت ١٩٤١-١٩٤٢ . ولم يستمر عبد الحميد لطفى أكثر من سنة. طبعاً العمال تركوا نقابة عباس حليم، وفى ظروف عمل الإخوان. كانت الناس أيضاً قد ارتبطت بالإخوان المسلمين كحزب سياسى، ولكنه لا يحل مشكلات العمال. لكن العمال رأت أن نقابة عبد الحميد لطفى هذه هى التى فيها الحل. فانقرضت نقابة عباس حليم تماماً. ثم ظهرت محاولات العمال وعبد الحميد لطفى لتسجيل النقابة لتأخذ شكلاً قانونياً لإيجاد تشريعات عمالية تحمى العمال من بطش الشركة. لأن الشركة فعلاً تعامل العمال على أنهم شئ لا يتعامل بقوانين، وهذا الذى كان يجعل العمال يبحثون عن نظام قانونى يخفف من ضغوط الشركة وعنفها مع العمال.

وكان فى هذا الوقت الشركة عندما تفصل عاملاً لكثرة عيوب أو غياب أو أى شئ، تفصله ولا توجد أى قوانين تحمى. وكانت شركة المحلة هذه تابعة لبنك مصر، فتتعامل بقوانين وبأسلوب غير إنسانى وبأسلوب غير حضارى نهائياً. فى هذه الظروف العمال بحثوا وكانوا يبحثون دائماً عن نقابة تحميهم وعبد الحميد لطفى عندما أراد أن يؤسس النقابة ويحصل على ترخيص بها، فعلى ما أظن فى هذه الفترة لم يصدر ترخيص وقبضوا على عبد الحميد لطفى وانتهى عبد الحميد لطفى فى حوالى ١٩٤٢ من المحلة. وبدأت العمال تبحث عن شكل آخر من أشكال النضال ضد سياسة الشركة مع العمال، وكان عمال الشركة فى ذلك الحين تعدادهم حوالى أربعين ألفًا. لأن هذه الشركة كانت واسعة جداً. وكانت تعتبر أكبر شركة فى مصر، بل فى العالم العربى وفى أفريقيا أيضاً. ثم فى هذه الظروف بدأت العمال تتمرد وبدأت تعمل حركات وبدأوا يقبضون على ناس ويعملون لهم إرهاب وتخويف وناس يخرجونهم وناس يدخلونهم.

فى هذه الظروف ذهبت لشركة المحلة ناس تقابلوا مع ناس خارج المحلة، وكان هناك شخص اسمه عبد المنعم اسحلى. كان سنة ١٩٤٣ والحرب دائرة. فى عام ١٩٤٣ بدأ عمال النسيج اليدوى وعمال محالج الأقطان يتجمعون. والعمال هى اللتى تجمع نفسها ويحاولون أن يعملوا

شكلاً من أشكال العمل النقابى على أساس يتعاملون مع القطاع الخاص وشركة بنك مصر التى هى شركة المحلة هذه. يتعاملون معها على أساس أن يكون هناك شكل قانونى يربط العمال بالشركة، لكى يحصل العمال على حقوقهم.

كيفية تعرفى على الفكر الماركسى

وصلنا لسنة ١٩٤٤. ثم فى ١٩٤٥ نُصلت من الشركة لكثرة عيوب عندى. المهم عملت فى القطاع الخاص، وكنت تعرفت على عبد المنعم السحلى، وكان ميكانيكيًا فى مصنع قطاع خاص. وأنا كنت أسكن مع ناس أقاربى فى المحلة، كنا نسكن حوالى خمسة فى غرفة واحدة، كانت ظروف المعيشة أيضاً صعبة جداً جداً. لكن فى الفترة التى عشتها فى بلدنا كنت أشعر رغم الظروف الصعبة التى عشتها فى العمل فى شركة المحلة والعمل الصناعى والأجور بسيطة وساعات العمل ١٢ ساعة، كنت أشعر أنها بالنسبة لعمل قريتنا فهى كانت أفضل بالنسبة للراحة لأن الزراعة نروى الأرض ونحرث ونجنى القطن ونقطع الذرة إنما هنا كنا نستريح يوم الجمعة فى داخل الشركة.

فى ١٩٤٥ ظهر عبد المنعم السحلى هذا، وبدأ يتصل بالعمال هو وناس آخرون. لكننى عرفت أن عبد المنعم السحلى هذا هو وناس آخرين بدأوا ينظمون العمال ويعملون تجمعات وتكتلات تناقش العمل النقابى وتناقش سياسة العمال فى المحلة وسياسة الأجور، أمراض العمل كيف تأتى؛ والعمال ليس لهم أطباء. فالعمال بدأت تغنى بنغمة جديدة وبأفكار جديدة داخل المحلة سنة ١٩٤٥.

وفى سنة ١٩٤٦ كان عبد المنعم السحلى قد حصل على ترخيص رسمى لجريدة الجماهير بشكل يعطيه الحق أن يكون له جريدة لها قرار من الشعب المصرى. ثم هذه الجريدة كان عبد المنعم السحلى يديرها عن طريق ناس، وعندما ارتبطت بهم بدأ يأخذ معى مواعيداً. فى أن أتقابل معه، فبدأ يناقشنى فى أمور خاصة بالنقابة والعمال والسياسة. ثم أقرأ (الجرنال) فلا أجده كالجرائد الأخرى. كانت هناك آخر ساعة والأهرام والأخبار. كنت أرى جريدة الجماهير هذه- الكلام الذى فيها والمانشيتات والكتابة والخطوط العريضة - تختلف فى مضمونها عن الأهرام والأخبار وجريدة الزمان وآخر ساعة. فقد كانت جريدة الجماهير تطرح أفكاراً جديدة.

فبدأت الدولة وشركة المحلة وأصحاب رؤوس الأموال التجارية في القماش والقطن يشعرون بأنه معاد لهم. فبدأت الدولة عن طريق أجهزة الأمن تفتش على عبد المنعم السحلي، وهرب في ١٩٤٦، وبعد ذلك لم أره.

في ١٩٤٦ كانت هناك أمراض جلدية ــ شبه جرب طبعاً هذا الجرب ظهر نتيجة سوء تغذية ونتيجة عادات سيئة حيث تجمع أعداد كبيرة في غرفة واحدة، فظهر هذا الجرب في أيادي العمال وأقدامهم وبدأت أشياء مخيفة جداً.

سنة ١٩٤٦ كانت المحلة في حركة صراع ظاهر وخفي بين عمال الشركة والحكومة، ثم اضطرت الشركة أن تعمل نقابة داخل المصنع، فأتت بشخص اسمه عبد الحميد سليمان مدير أحد أقسام الشركة وجعلته رئيساً لها والعمال سارت معه ولكن العمال اكتشفوا أن عبد الحميد سليمان لن يحقق لهم مطالبهم، وإن هذه النقابة لن تصنع لنا شيئاً؛ لأنها نقابة الشركة، وبدأت في سنة ١٩٤٧ تظهر في المحلة وفي مصر كلها أمراض الكوليرا أنا كنت أعمل طبعاً في القطاع الخاص بعد فصلي من الشركة بسنة. ثم فكرت أن أسافر إلى مصر. وفي هذه الظروف أقامت الدولة كردوناً حول المديريات التي أصبحت الآن محافظات، وكان مدير المديرية - المحافظ حالياً - وكانت وزارة الصحة قد أعطت تكليفات للمديريات على مستوى الدولة ألا يخرج أحد من مديرية إلى مديرية، خوفاً من انتشار المرض واتساع نطاقه. وأنا في هذه الظروف ظللت أعمل حتى آخر سنة ١٩٤٧. وفي أوائل ١٩٤٨ خفت حدة هذا المرض بعض الشيء، ثم استخرجت تصريحاً من مكتب الصحة في المحلة على أنني أريد أن أذهب لمصر لأن عمي هناك، وأريد أن أعمل هناك. وكشفوا عليّ. المهم إنني أخذت التصريح وسافرت إلى مصر سنة ١٩٤٨ تقريباً في شهر فبراير.

نسيت أن أقول عندما كنت أقبض كانت ماهيتي أربعة قروش في الشركة. كنت أقبض ٤٨ قرشاً في ١٢ يوم عمل. نصف شهر. كنت أعطي والدي ثلاثين قرشاً أو ٣٥ قرشاً وأصرف الباقي في ١٥ يوماً وهو ١٣ قرشاً، فقد كنت أسافر إلى بلدتنا كل أسبوع وأحضر أكل من البلد لكي أعيش عليه، وأدفع ١٢ قرشاً للسكن. لأن الحجرة كان يسكن فيها خمسة أو ستة.

سنة ١٩٤٨ نزلت القاهرة لأبحث عن عمل . نزلت مصنعاً كان قد أنشئ حديثاً اسمه

مصنع جوزيف فاخورى فى دار السلام. ثما هناك كانت العمال تنام فى بيت عمدة البساتين. ثم ذهبت للتعيين وكان قد جاء ناس كثيرون من المحلة فلم يتم تعيينى وكنت أعرف ناس أقاربى شخص اسمه منصور أبو حليمة ومحمد أخوه كانوا فى شبرا الخيمة. كنت أعرف مكانهم. ركبت مواصلات من مصر القديمة للعتبة، وأفاجأ فى العتبة بجنينة اسمها جنينة الأزبكية وجدت فيها ضباطًا محجوزين، ثم سألت عرفت أن ضباط البوليس هؤلاء يقومون بإضراب فى شهر فبراير على ما أعتقد أو مارس، إضراب ضد سياسة الحكومة ، قلت يا سبحان الله. إذا كان الشعب المصرى فى ظروفه التى يعيشها فلاحيه وصانعيه وحرفيه البسطاء فما القول بالنسبة لضباط البوليس الذين يحصلون على أجور جيدة، ويلبسون بدل جيدة وملابس نظيفة؟ لماذا قاموا بالإضراب؟ ومن هذا اليوم شعرت إن فكرة الإضراب فعلاً وسيلة يلعب بها المظلومون والمقهورون على أساس الضغط لتحسين مستوى معيشتهم. لكن أنا بدأت أقول : ضباط البوليس هؤلاء لهم مطالب ليقوموا بإضراب يطالبون بمطالبهم.

هذا يوم لا أنساه طوال حياتى. قلت على مصر بلد عظيمة وفيها عمال وفيها ناس جيدون جداً وصلوا إلى أن ضباط البوليس يقومون بإضراب. فهذه مصر الحرية والأشياء الجميلة. وسألت على الترام فلم تكن هناك وسيلة مواصلات غيره من العتبة إلى شبرا المظلات. ثم سألت على منصور حليمة وأخوه. وجدت (حدايد) يجلس على مقهى. (حدايد) اسم آخر، اسم شهرة لمحمد. فعرفته وأخذنا بعضنا بالأحضان. المهم ظللت معهم يومين، قال لواحد من بلدنا أيضاً خد عبد العال شغله معاك. وكان هذا الشخص - الله يرحمه - اسمه أبو كامل الشريف. نزلت معه واستلمت العمل فى مصنع رجل اسمه رمضان شحاته فى شبرا مصر حى الشماشرجى وكان مصنع نسيج. يشتغل قماشًا غريبًا جداً. كانوا يقولون عليها خراطيم مطافئ. والحاج رمضان شحاته هذا كان له ابن، رئيس الغرفة التجارية. وكان عنده مصنع شنط وصناعة جلود. ففى ظروف سنة ١٩٤٨ هذه كان فى شبرا الخيمة والقاهرة صناعة نسيج وعمال عاطلة. لكن الحركة كانت لم تظهر تماماً. وكان العمل بسيط. وفى مصنع رمضان شحاته كانت أجوره بسيطة. فتركته ونزلت المصنع الذى يعمل فيه منصور فى شبرا الخيمة.

وفى شبرا الخيمة اكتشفت أن بها عمالاً أول مرة يبهروننى جداً

بحكم إننى إنسان نشأت فى الريف والمحلة أيضاً منطقة ريفية. فلأول مرة أري عمالاً

يتكلمون فى القوانين والتشريعات والسياسة. وتعرفت على العمال ونقابة العمال والإضرابات والمظاهرات، فبهرت جداً بمنطقة شبرا الخيمة، وبدأت أجلس مع العمال على المقاهى وأماكن الاجتماعات العامة الخاصة بهم، والنقابة لمناقشة العمال فى رفع الأجور والإضراب والضغط على أصحاب المصانع وشكاوى إلى وزارة الشئون- فى ذلك الحين لم يكن هناك وزير عمل- فكانت وزارة الشئون الاجتماعية هى التى تتولى حل مشكلات العمال مع أصحاب الأعمال.

فعملت فى هذا المصنع وكان يعمل به ناس من بلدنا ثم فى فترة عملى عملت حوالى أكثر من سنة. وكان أيضاً عناد أصحاب الأعمال مع العمال، وكانت طبعاً سلطة أصحاب الأعمال أقوى على العمال.

نسيت أن أقول إن فترة ١٩٤٥ وأنا فى المحلة. كان قد قُبض على عمال. عندما قبض على عبد المنعم السحلى وآخرين معه. قُبض على عمال من شركة المحلة، وهؤلاء العمال أيام جريدة الجماهير قُبض على حوالى سبعين أو ثمانين عاملاً. وكان منهم اثنان من بلدنا. أحدهما اسمه محمد جبر والآخر اسمه سليم محمد أبوإسماعيل. وقُبض على حوالى ثمانين أو تسعين عاملاً أرسلوهم إلى سجن طنطا. هذه الحكاية أحدثت هزة سياسية فى مصر. وعرفت أنا فى المحلة أن هناك فى مصر سياسيين أرسلوا ناسًا من نقابة المحامين ليدافعوا عن هؤلاء العمال. لأن هؤلاء العمال مظلومون ويطالبون بحقوقهم وليس من المفروض أن تفصلهم الشركة وترمى بهم فى السجن، هى والدولة. وكان العمال فى ذلك الحين فى مناقشات أن هذا النظام الملكى نظام ظالم فاسد وهو الذى ينهب أصحاب الشركات والأموال من خلاله حقوق العمال، والملك فى صف أصحاب الأعمال ولم يكن فى صف العمال. وفى هذه الظروف جاء وفد نقابة المحامين من القاهرة إلى طنطا للدفاع عن العمال_ فى محكمة طنطا- وأخيراً أخذ العمال براءة لأنه لم تكن هناك أسباب أو أى شئ أو أى جرائم تستدعى محاكمتهم. فخرجوا براءة. وكان الأمر أنها قضية رأى وهؤلاء العمال يريدون أن يكوّنوا نقابة وهذا من حقهم. وهذا شئ طبيعى.

أعود مرة أخرى لموضوع عملى فى شبرا الخيمة. أنا عملت أنا ومحمد جبر - الذى قبض عليه- عملنا فى المحلات الصناعية حوالى أكثر من سنة. ثم فصلونا. وبعد ذلك كنا دخلنا على سنة ١٩٤٩ أوائل ١٩٥٠.

فى أوائل الخمسينات بدأت مصانع تتوقف ومصانع تعمل. ففى هذه الفترة العمال تناقش وإضرابات ومظاهرات. هذا الجو كان جديداً علىّ. فبدأت أجلس مع العمال أريد أن أتعلم شيئاً أنا أحبه وهو الدفاع عن حقى كعامل فى وسط هؤلاء العمال ، وأن أتكلم وأدافع عن نفسى فى داخل المصنع، وفى أى مشكلة توجد داخل العمل، كيف أدافع عن نفسى وكيف آخذ حقى حتى لا أفصل كما فصلت من شركة المحلة؟ والظروف التى فصلت فيها قالت الشركة أسباب عيوبى، ولم يكن لى فى هذا الوقت أن أعرف سلاح حق الدفاع عن نفسى إلا عندما رأيت العمال فى شبرا الخيمة يقومون بهذه الأعمال. شعرت أن هنا عقولاً، توجد طبقة عاملة. هنا ناس تتناقش ، يوجد ناس يريدون أن يأخذوا حقوقهم.

فى هذه الظروف جاءت سنة ١٩٥١ ، وبعد أن فصلت عملت فى ساحل روض الفرج بعض الشئ، ثم عملت فى مصنع شخص اسمه الخواجة شازار. ثم حدثت أزمة الحرير الصناعى فى كفر الدوار فتوقفت. وكان طبعاً طبيعة أصحاب المصانع والشركات والرأسمالية كانت هى وسيلة للتخلص من العمال. على أساس كانوا يعطون مكافآت للعمال حتى لا يعمل العامل أكثر من سنة أو سنتين؛ حتى لا يحصل على مكافآت، لعبة يعلمها أصحاب المصانع بالاتفاق مع اتحاد الصناعات. كانوا يعملون العملية على أساس أن يكسبوا العمال وليس أن يكسب العمال حقوقهم من أصحاب الشركات.

وفى هذه الفترة كان هناك شخص اسمه محمد عبد الله، توفى صاحب مصنع النسيج فى ساحل روض الفرج فى مصنعه. فقابل شخصاً من عمال النسيج هو يعرفه وقال له: يا عبد الحفيظ أنت وسعيد عبد الصمد تحتاجون عمال. المهم جمع حوالى عشرين عاملاً وذهبنا لشخص اسمه عبد المجيد إسماعيل. وهذا الرجل فى عهد الملك بعد ذلك - كنا نعمل عنده - حصل على الباشوية. هذه الجزئية أقولها لأبين أن الفترة التى عملنا فيها فى دمنهور البحيرة كان معى ناس شيوعيون ولم أكن أعرف شيئا عن الشيوعية. لكن أحس وأقرأ. وقرأت اسم الشيوعية وبدأت تقع منشورات فى يدى أقرأها وأشياء فى الشوارع أقرأها. يأتى لى منشور شيوعى أقرأه لتنظيم طليعة العمال ، تنظيم حدتو. تنظيمات أخرى. الحزب الشيوعى المصرى.

عندما عملنا فى دمنهور البحيرة كنا حوالى سنة ١٩٥١، وكانت هناك لجنة السلام العالمى التى هى ضد الحرب، وكانت طبعاً الحرب انتهت سنة ١٩٤٥ ، لكن أيضاً كانت لجنة السلام

العالمى موجودة ولها فروع فى مصر كثيرة جداً. فكانت هناك منشورات وكانت هناك حمامة سلام، وكان قد صممها الفنان العظيم بيكاسو. حمامة السلام كانوا يعلقونها شارة على الجاكيت. ثم عندما نزلنا دمنهور البحيرة. كان معى عشرون شخصاً. بدأنا نعمل لجان سلام فى دمنهور ونناقش السلام وآثاره على حياة الشعوب. فبدأ الناس فى دمنهور يتنبهون لأفكار هؤلاء الناس. وكان معى فى هذه الفترة من القاهرة. المصيلحى حمزة وسيد فايد وسعد العوضى الديب وهؤلاء، كانوا - فى ذلك الحين - فى تنظيم حدتو. وسعيد عبد الصمد كان منتمياً لتنظيم اسمه طليعة العمال. وكان هناك شخص اسمه عبد الرازق خفاجة، عرفت أيضاً أنه قادم من مصر مطروداً، لأنه يشتغل جاسوساً على العمال. من أصحاب المصانع والمباحث. ولذلك كانت العمال تتجنبه، وكنا طبعاً نضجر منه.

فى هذه الظروف قُبض على زملائنا المصيلحى حمزة وسعد العوضى الديب سيد فايد. ثم كان صاحب العمل قد أجّر لنا بيتاً، عمال مصر يقيمون فيه، وكنا فى هذه الفترة طبعاً نتعرف على الناس ونتناقش معهم، فالمصيلحى حمزة تعرف على شخص من دمنهور البحيرة، وكان هذا الشخص ينتمى إلى حزب مصر الفتاة. وبدأ المصيلحى حمزة بطريقة متعجلة يعطيه مطبوعات شيوعية ويعرفه أن هذه المطبوعات للشيوعيين الذين سيقومون بثورة وليس حزب مصر الفتاة، فحزب مصر الفتاة بدأ يراقب الشيوعيين ويرى أين يعملون هذه الأشياء.

كنا نسكن جميعًا داخل هذا البيت. فمصيلحى حمزة وسعد العوضى الديب وسيد فايد كانوا يسكنون فى غرفة وأنا وشخص اسمه عبد الحفيظ بيومى- الله يرحمه - وشخص اسمه رياض القاضى، كنا نسكن فى غرفة من البيت الذى أجّره لنا عبد المجيد بركات. أما سعيد عبد الصمد لأنه كان متزوجاً وكان أولاده معه كان يسكن فى بيت آخر خارج سكن العمال. فجاءت المباحث وقبضت على مصيلحى حمزة وسعد العوضى الديب وسيد فايد من السكن.

وعندما بدأوا يتساءلون عن من يكون أبلغ عنهم. فقالوا لابد أنه عبد العال هو الذى عملها لأنى كنت قد تشاجرت مرة مع سيد فايد بسبب مناقشات سياسية، ولأنى كنت قريب من سعيد عبد الصمد، حيث كنت أحب أفكاره وهدوءه، وأسلوبه الموضوعى فى حل أى مشكلة داخل مصنع بركات، فقد كان إنساناً هادئاً جداً، وبدأ يعطينى مطبوعات طليعة العمال التى كان منضماً لها وهى كانت مطبوعات موضوعية وجيدة

وقد أغضبهم ذلك. وقد قال لى سعيد عبد الصمد أنهم سوف يضايقوني، ويغضبوني لكي أتعامل معهم. إلا أنهم بعد خروجهم من السجن بشهر، اكتشفوا أن الذى أبلغ عنهم هو صاحبهم الذى كان فى حزب مصر الفتاة، واعتذروا لى بعد ذلك، واستمرينا فى العمل داخل المصنع.

وبعد ذلك بدأت الحكومة تبلغ عبد المجيد بركات أنه يأتى بناس شيوعيين، وبدأ عبد المجيد بركات يقول لمحمد عبد الله. وبدأت الأمور يحدث فيها تململ بين صاحب المصنع والعمال، مما أدى إلى أنه سرَّح عدداً من العمال. فعدد من العمال ذهب إلى الإسكندرية وأنا ظللت أعمل، ثم بعد ذلك عدت لمصر مرة أخرى. وعندما لم أجد عملاً فى مصر ذهبت إلى الإسكندرية فى أوائل ١٩٥٢.

وذهبت لعبد الصمد وكان يسكن فى منطقة اسمها غبريال فى الإسكندرية، وكان يسكن فى شقة مشتركة أيضاً. وعشت معه ليلتين رغم أنه كان متزوجاً، ثم بعد ذلك وجد لى سكناً فى منطقة الحضرة مع زميل لنا كنا نعمل معًا فى دمنهور اسمه حامد. كان يعمل فى شركة سيتا ويقيم فى الحضرة. عشت معه فى سكن إلى أن أعمل. ثم عملت فى شركة الطوبل. تمَّ تعيين حوالى ثمانين عاملاً كنت أنا من بينهم. وبعد خمسة عشر يوماً كنا فى أوائل شهر مايو. لم يكن هناك قطاع عام. فُصلت ووجدت أنه لم يعد لى عيش فى الإسكندرية.

فعدت مرة أخرى للمحلة الكبرى فى حوالى شهر يونيو أو يوليو. عدت لبلدتنا وظللت فيها فترة، ثم عملت فى المحلة.

وأثناء عملي فى المحلة قامت ثورة ٢٣ يوليو، وبعد حوالى شهرين زار الضباط الأحرار مديرية الغربية وخاصة المدينة الصناعية مدينة المحلة.

وجاء موكب الضباط الأحرار العسكرى بالحراسة من المديرية إلى شركة المحلة. كان محمد نجيب يركب عربة جيب ووراءه عربات جيش وحراسات من الداخلية والجيش. وكانت المحلة فى هذه الظروف مزروعة بشرأ شوارعها ومياديها، وهتافات للضباط الأحرار ومحمد نجيب. كنت أشعر أن الشعب المصرى استطاع فعلاً أن يلعب دوراً فى إضرابات، ومظاهرات شبرا الخيمة والمحلة، حيث قاموا العمال بالإضراب والمظاهرات، ورفع الشعارات ضد سياسات الحكومة والملك فى الهمس. وفى هذه الفترة قامت ثورة ٢٣ يوليو فكانت الناس تهتف بحياة

محمد نجيب كما لو كان محمد نجيب هذا الشخص شخصٌ ربنا أرسله لشعب المصرى من السماء. وفى المحلة لا أستطيع أن أصف صورة المظاهرات والجماهير، وخاصة المحلة الكبرى. كان شيئاً فظيعاً جداً. لدرجة أن هناك ناساً ماتت فى هذه الظروف.

وفى حوالى سنة ١٩٥٣ بعد الثورة، فكرت فى أن أعود إلى القاهرة مرة أخرى. وعدت لشبرا الخيمة. وعملت فى مصانع صغيرة عند امرأة اسمها أم عايدة لديها أربع ماكينات نسيج. وفى هذه الظروف بعد أن عملت عندها فترة- تعرفت علىّ شخص اسمه مصطفى الفلسطينى كان منتمياً لتنظيم اسمه الحزب الشيوعى المصرى. بالإضافة إلى معرفتى بـ محمد عبد الغفار ومحمود العسكرى وطه سعد عثمان والقيادات العظيمة المحترفة والناس المناضلين فى وسط عمال شبرا الخيمة. العمال الذين هم فى منتهى العظمة وفى منتهى التفكير. حتى العاملات المناضلات. كنت أشعر أن هذا شئ جميل جداً جداً. وقد نبهنى محمد عبد الغفار بأن عبد الرازق خفاجة الذى كان معنا فى دمنهور البحيرة كان جاسوساً وبوليس وكان يعمل لحساب أصحاب المصانع، والبوليس. فمحمد عبد الغفار بدأ يثق فىّ ويعطينى أشياء أقرأها بالإضافة للأشياء التى كنت أقرأها من سعيد عبد الصمد. فعرفت من سعيد عبد الصمد ومن محمد عبد الغفار أنهم فى تنظيم واحد هو طليعة العمال. وكانت مطبوعاتهم واضحة جداً وتناقش القضايا بطريقة مبسطة ولطيفة وبقدر الفهم البسيط نفهمه، وكنت أستريح لمطبوعاتهم.

وعندما التقيت بمصطفى الفلسطينى وبدأت أتعامل معه. اكتشفت أنه إنساناً مخلصاً جداً وإنساناً مناضلاً- الله يرحمه- ووجدت مطبوعات الحزب الشيوعى المصرى التى كان يعطيها لى أفكارها كبيرة على، أو لا أفهمها وليست واضحة. وكان فى ذلك الوقت هذا التنظيم- الحزب الشيوعى المصرى- يعتبر أن ثورة ٢٣ يوليو، الضباط الأحرار، ثورة فاشستية وديكتاتورية. وكانت هذه الرؤية تختلف عن تنظيم طليعة العمال.

وفى ذلك الحين بدأت أترك مصطفى. وقبل أن أتركه كنت أسكن فى بيت فى شبرا البلد عند سيدة، وأعمل فى مصنع شخص اسمه عبد الكريم محمد على. هذا الرجل الذى كنت أعمل عنده كنت أعمل ثمانى ساعات. أذهب الساعة الحادية عشرة مساء، وأنتهى فى السابعة صباحاً. ففى يوم أحد- كانت العطلة يوم الأحد- عدت للبيت. فصاحبة البيت قالت لى. وكنت

أسكن عندها فى غرفة كانت فى مسقط نور، لم يكن أحد يعرف أن هنا غرفة. وكانت لدىّ مطبوعات. ففى ليلة الأحد هذه - وأنا فى عملى فى المساء - جاءت عربة البوليس فيها - كما وصفت لى صاحبة البيت - عشرون عسكريًا وخمسة يرتدون ملابسًا مدنية. فدخل اثنان وقالوا : فتشوا البيت الدور الأرضى والدور الثانى، وقالوا: هناك شخص يأتى هنا ونراقبه منذ حوالى شهرين وهو يلبس جاكتته بنى وقميص كحلى وشعره طويل. ونحن نراقبه وهو يدخل ويخرج من هذا البيت.

فى هذا الوقت عندما قالت لى هذه السيدة. أنا قلت : سوف أتخلص من المطبوعات التى عندى. أشعلها فى الفرن، وكان معى ساكن واحد - الله يرحمه- اسمه عبد الفتاح محمد سعد. قلت له: يا عبد الفتاح هات فرشتنا . كان عندى سرير ومرتبة. قلت له : هاتهم وتعالى ساحل روض الفرج عند أم عبد العزيز، أم عبد العزيز هذه تملك مطعمًا مطعم وكنا نأكل عندها ونحاسبها فى نهاية المدة حين نقبض. فقلت لها : يا أم عبد العزيز أريد سكنًا. لأن السكن الذى فى شبرا البلد بعيد علىّ وأنا أريد أن أقيم هنا فالمهم وجدت لى زريبة، وهذه الزريبة كانت (زريبة) غنم خاصة بصاحب البيت ، ويبدو أن صاحب البيت باع الغنم بعد ذلك فسكنتنى فيه، وكان فيها طوالة ونخلة، المهم اضطررت للسكن فيها ، وبعد خمسة عشر يوماً وجدت سكنًا آخر. وبعد ذلك عشت فى ساحل روض الفرج ولم أعُد لشبرا الخيمة بعد ذلك. ثم بدأت أشتغل وأتعامل مع الناس.

فى هذه الظروف فى منتصف ١٩٥٤ قابلنى حسن الساكت وقال لى : يا عبد العال. نحن مرشحينك منذ سنة أو سنة ونصف، للدخول فى عضوية طليعة العمال ونحن نرحب بك. وننتظر ردك. قلت له : يا أخى أنا أجرى وراءكم منذ أكثر من شهور أو سنة. منذ أن قرأت مطبوعاتكم ، وأنا أريد أن أنضم إليكم وأعمل عملاً نقابياً وسياسياً. وفى هذه الظروف قال لى : سآخذ موعداً معك. سوف أقابلك بشخص، وهذا الشخص بعد ذلك ستقابله وتعمل معه. وتقابلت مع هذا الشخص وكان شاباً صغيراً، وكان يبدو عليه أنه ليس عاملاً، فالمهم اكتشفت أنه طالب. وبعد ذلك تم تنظيمى وكنت أنا وهو فى مجموعة من ثلاثة أفراد وكان هو مسئولها ، وبدأنا نناقش الأعمال السياسية والأعمال المالية والعمل النقابى، والعمل النضالى والإضرابات والمظاهرات والدفاع عن حقوق العمال وفتح باب المناقشات حول الوحدة السياسية،

وكانت المناقشات جميلة جداً. بدأنا فى أواخر ١٩٥٤، وفى مطلع ١٩٥٥ بدأ يقول لى: أنت مطلوب منك أو معروض عليك أن تعمل عمل آخر سوف نعرضه عليك ولك حق الاختيار.

أنت سوف تأخذ مسئولية عمل. طبعًا الوحدة التى نحن فيها وحدة سياسية ووحدة عمالية. فيها ناس تعمل عملاً جماهيريًا وتعمل وسط النقابة، وأنت لست معروفاً لأحد ولا لأجهزة الأمن. فنحن نريد أن تقوم بعمل وسنناقشك فيه. المهم عرض علىَّ أسلوب هذا العمل ونظامه. هذا العمل أن آخذ جهزًا لطبع المنشورات والمطبوعات التى تصدر، وبعدها عرّفنى العمل. وقال: نحن الاثنان نعتبر وحدة سياسية نتناقش سوياً. نناقش العمل الفنى، وهذا العمل الفنى والعمل النقابى والسياسى والتنظيم الحزبى نناقشه كله. لكن هذا العمل نناقشه أنا وأنت فقط لا أحد يعرفه غيرنا، وسيأتى شخص يتسلم منك هذه المطبوعات، نكون أنت وهو وأنا مسئولى هذه المجموعة، واتفقنا على ذلك، واستمر عملى فى الجهاز الفنى- جهاز الطبع - من عام ١٩٥٥ من منتصفها - إلى عام ١٩٥٧. وفى ١٩٥٧ كان هناك كلام عن وحدة الشيوعيين فى مصر وهناك كلام بين المنظمات الشيوعية فى مصر على أن يعملوا وحدة الشيوعيين فى حزب واحد. وفى هذا الوقت فى أواخر ١٩٥٧ كان للشيوعيين قد بدأوا يصلون لنتائج يعملون وحدة على أساسها، وحدة فهم سياسى ورؤية سياسية للحركة الشيوعية المصرية على المستوى الوطنى. وفى هذه الظروف كنت أتولى أيضاً الجهاز الفنى فى حزب طليعة العمال، ولكن يمًا فى هذا الوقت كان اسمها حزب العمال والفلاحين الشيوعى. ثم ظللت أعمل فى هذا الجهاز الفنى حتى أواخر ١٩٥٧.

وحدة الشيوعيين فى حزب ٨ يناير سنة ١٩٥٨

وفى أوائل ١٩٥٨ توحد الشيوعيون فى حزب ٨ يناير، وطُلب منى أن أسلم الأجهزة الفنية وكل ما يتعلق بها إلى التنظيم، وكانوا قد تسلمها الناس الذين كنت معهم فى حزب العمال والفلاحين. وبعد ذلك أخذت الأشياء، أعطونى عملاً آخرا مرتبطًا بهذا الجهاز الفنى. بدلاً من أن أعمل فى الطبع. كنت آخذ مطبوعات شبرا الخيمة ومطبوعات شبرا مصر. وتم عمل وحدات صغيرة فى شبرا الخيمة وشبرا مصر، وأنا كان علىَّ أن أسلم هذه المطبوعات لشخص معين، أو أشخاص معينة بترتيب وتنظيم حزبى دقيق جداً، وفى هذا الوقت بدأت أعمل فى هذا العمل

من ١٩٥٨ حتى سبتمبر حدثت القبضة على عدد من الشيوعيين. وبدأت حركة المقاومة بين الشيوعيين ونظام الحكم بدأت تظهر صراعات ومواجهات مباشرة.

ظروف القبض عليَّ

فى سبتمبر ١٩٥٨ قبض على مجموعة من الشيوعيين المصريين، وفى يناير ٥٩ قُبض على قيادة الحزب الشيوعى المصرى، ٨ يناير، وفى مارس ١٩٥٩ قُبض على يوم ٢٨ ، الموافق ١٧ رمضان لأنها كانت ذكرى لا أنساها. ظروف القبض عليَّ. كنت متزوجاً منذ عشرة شهور، زوجتى قالت لى : يوجد ناس ينادون عليك. فعرفت أن هؤلاء الناس قادمون للقبض علي، وقد كنت فى الحمام وقتها، وتذكرت العمال المتهمين الذين خانوا فى شبرا الخيمة وعبد الرازق خفاجة، وتذكرت المناضلين الشرفاء أمثال محمد عبد الغفار و محمود العسكرى وطه سعد عثمان وحسن الساكت وسعد عبد الصمد. تذكرت العاملات العظيمات داخل منطقة شبرا الخيمة. المناضلات لم يكن أقل من هؤلاء. الواحدة منهن تتحمل عبئاً أكثر وفى منتهى النضالية والشرف. ففى هذه اللحظة مرّ الشريط أمام عينى وحركات العمال فى شبرا الخيمة والحركات النضالية والعمل النضالى المستمر. هذا أعطانى دفعة قوية جداً. فى أن أقوم وأنا مُصِر إن أى شئ سيُطلب منى، ولا يوافقنى كعضو منظم فى الحزب الشيوعى سأرفضه. وكانت أول مرة يقبض عليَّ. وقلت على جثتى. وخرجت وأنا مقتنع تماماً وراضٍ تماماً عن كل ما يحدث لى. فالمهم وجدت اثنين يقفان أمام باب الحمام واثنين أمام باب الشقة.

كان يسكن معى شخص بالشقة سائق فى البلدية، شقة مشتركة أنا وهو، كان دخلى بسيطا وكنت أعمل فى شركة البطاطين (أفارينو) فى هذه الفترة. ثم جاء هذا الرجل اسمه فؤاد خليل. وقال لى : قل لنا يا ابنى من الذى أتى بك فى هذه النار الحمراء التى أنت فيها هذه والشيوعيين وهذا القرف، قلت له : الكلام الذى سيسألونى فيه سأجيب على الذى أريده، وأنت اذهب بى إلى أى مكان تريده بعد ذلك تخلى مسئوليتك. المهم أخذونى لشبرا الخيمة.

فى شبرا المظلات فى بر القاهرة قبل ترعة الإسماعيلية كنت أعمل فى مصنع. كنا رفعنا قضية غلاء على هذه الشركة. ثم عندما فُصلت من عملى عملت فى مصنع فى شبرا الخيمة يملكه شخص يهودى أعتقد اسمه شاؤول. وكان يعمل معى شخص اسمه محمد عبد الواحد كان

عضواً فى الحزب وكان هناك شخص نسيبه اسمه إبراهيم الخامولى متزوج أخت محمد عبد الواحد. عندما رأيته وأنا أركب العربة الملاكى المقبوض علىّ فيها من ظهره. عملت حركة حتى أريه وجهى وإننى مقبوض علىّ، فوضع يديه فوق بعضهم، فهززت رأسى بعد أن عدمها. وقلت له : نعم على أساس إذا لم يكن محمد عبد الواحد قد قُبض عليه يبلغه. ثم بعد أن ذهبت بعشر دقائق إلى قسم شبرا الخيمة وجدت محمد عبد الواحد ووجدت أعداداً ضخمة لا أعرفها، حوالى ٤٠٠ شخص فى مكان ضيق جداً مساحته عشرة أمتار فى عشرة أمتار. وكان زحام القسم كبيراً جداً وفى نفس هذا اليوم ظللنا ليلة فى قسم شبرا وفى صباح اليوم التالى رحلونا وركبونا العربات اللورى وحراسة الأمن. وزوجات الزملاء الشيوعيين الذين من شبرا الخيمة بدأن يقفن فى طريق مصر إسكندرية ويقمن بمظاهرات وعملن ثورة فى الطريق. وعندما ملأوا عربة لورى بدأت الناس تهتف. فالضباط والعساكر يضربون بعض الزملاء. بدأت حركة صراع رهيبة جداً وبدأ الجمهور يهتف ضد سياسة الحكومة فى هذا الوقت. ثم دخلنا مرة أخرى القسم. وظللنا ليلة أخرى بعد أن اتصل القسم بمباحث أمن الدولة. فقالوا لهم: أدخلوهم مرة أخرى.

معتقل القلعة وبداية مرحلة جديدة

وفى اليوم التالى تم ترحيلنا بحراسة قوية جداً جداً. وعملوا كردونًا رهيبًا جداً. حراسة حول القسم. على أساس نخرج ولعربات نسير ولا أحد يدركنا. وفعلاً حدث. ثم ذهبنا لمكتب مباحث أمن الدولة فى شارع شبرا المظلات ثم ذهبنا بعد ذلك لمعتقل القلعة، و فى معتقل القلعة وجدت حوالى ٢٠٠٠ شخص من الشعب المصرى من كل محافظات وقرى مصر من الإسكندرية للسويس. وفى هذا الوقت بدأت أرى ناسًا قممًا فى الذكر قممًا فى التضحية وقمماً فى العمل السياسى، وكان فيهم أطباء ومدرسون وعمال وفلاحون وكان معنا ناس عمال زراعة. وكانت مرحلة القلعة مرحلة جديدة فى حياتى.

فى القلعة بدأنا نتناقش. الناس تعمل وحدات ومجموعات سياسية وتناقش قضايا. ظهر أيضاً نوع من التكتلات داخل الحزب الشيوعى المصرى. وكان هذا شىء مؤسف جداً ومحزن جداً جداً. لكن بشكل عام الناس تتناقش عموماً كحزب شيوعى مصرى - حزب ٨ يناير-

يناقشون كيف نواجه سياسة الدولة، كيف نواجه عنف ثورة ٢٣ يوليو مع الشعب المصري ومع الطبقة العاملة المصرية ومع الشيوعيين وقيادة الشعب المصري؟ سنقوم بثورة العمال والفلاحين. وهنا وجدت أنني في عالم آخر. كل مرحلة تمر عليَّ أشعر أن فيها جديداً، فمراحل حياتي من عامل زراعي لعامل نسيج في المحلة، لعامل نسيج في مصر، لعامل نسيج في دمنهور البحيرة، لعامل نسيج في إسكندرية، كل دورة فيها دروس. فاكتشفت أن في داخل معتقل القلعة مدرسة للتربية وأنا كالطفل الصغير الذي يسمع كلاماً جميلاً جداً من أهله. وأظل أستمع لهذا الكلام على أساس أنه كلام عين العقل المفروض نسمعه اليوم، لكن الأصول التاريخية داخل حزب ٨ يناير لا زالت آثارها موجودة. والمهم ظللنا في ذلك الحين في القلعة حوالي أربعين يوماً.

في هذه الفترة جاء دوري في تحقيق النيابة.

نسيت أن أقول أنه عندما قُبض عليَّ وجدوا لدي مضبوطات كانت من المفروض أن تُسلم قبل ٢٨ مارس. كان المفروض أن تسلم قبلها بثلاثة أيام، وعندما قُبض على الناس حدث اضطراب وارتباك شبرا والقاهرة والإسكندرية وكل المحافظات. بدأت حركة الحزب والعمل السياسي تتجمد. ولم يأت إليَّ أحد يقول لي شيئاً. المهم احتفظت بهذه المطبوعات وخفت أن أرميها. وكانت هذه هي قضيتي التي حسنتها بعد ذلك. هذه المضبوطات كانت حوالي عشرين لفة. هذه العشرون لفة كانت عبارة عن منشورات ومجلات وكان أغلبها منشورات حوالي خمسة آلاف منشور. المهم قُبض عليَّ. ومع هذه المنشورات خطاب أرسله لي أخي يقول فيه : خالك محمد يبلغك أن تنتبه لنفسك لأن الظروف هذه الأيام سيئة. فعندما جاء وكيل النيابة يحقق معي في وزارة الداخلية. كنا حوالي الثانية صباحاً. فعندما دخلت قال لي : الاسم، قلت: عبد العال إبراهيم البسطاويسي جمال الدين. المواليد، قلت له : من شبروين مركز أجا دقهلية، ومقيم بالقاهرة في ساحل روض الفرج، ثم قال لي : وهذه المضبوطات تخصك؟ قلت له :لا ، قال لي : إذن هذه تخص منْ؟ الضباط هم الذين وضعوها لك؟ قلت : لا الشركة التي كنت أعمل فيها شركة البطاطين- ملك ونيس فلتس- الذي اشتراها بعد أن خرج اليهود من مصر. زوج ابنته نخري كرياكوس، وعندما رفعنا قضية الغلاء وأنا أعمل بالشركة وفصلوني لذلك. فونيس فلتس مرة أرسل لي في مكتبه وقال لي : أنا سوف أعرف أؤدبك وأعرفك.

كيف تقف أمامى فى قضية الغلاء هذه تتحدانى وتذهب لنقابة وتأخذ عمالاً. المهم أنا لحظة التحقيق رجعت بالشريط وكلام وحس فلتس لى وزوج ابنته فخرى كرياكوس. كان فى هذه الفترة يعمل مديراً فى الشركة، لكن كانت علاقته قوية بالقلم المخصوص الذى سمى فيما بعد بالمباحث العامة كان قد هددنى، لأنه ترك الداخلية وأصبح موظفاً بالشركة.

قال لى : سوف أعرف أؤدبك. فأنا فى التحقيق قلت لوكيل النيابة إن هذه المضبوطات ملفقة لى لأن فخرى كرياكوس هذا كان رئيسًا فى المباحث العامة، وطبعاً له ناس. فهذه الحكاية دُبرت لى وهى لا تخصنى. فقال لى: وهذ الخطاب؟ فقلت له: يخصنى.

ويقول لى : انتبه للشخص الذى معك لأنه يشرب مخدرات. والمهم وكيل النيابة يسألنى، فقلت له: الغرض من كتابة أخى لخطابه لى أنه يحذرنى من الرجل الذى يسكن معى فى الشقة. وقبل التحقيق كان موجوداً ضابط مباحث. وأنا احتجيت على وجود ضابط المباحث. وقلت : أنا لن أتكلم، فقال لى : إذا ضابط المباحث تكلم أى كلمة أنا سوف أخرجه. وهو سيجلس مستمعًا ليس له أى كلام معك. أنا الذى سوف أسألك وأنت الذى تريد أن تجيبنى عليه تجيبنى، والذى لا تريد أن تجيب عليه لا تجيب. وانتهى التحقيق على ذلك.

معتقل الفيوم والتعذيب

بعد أن خرجنا من عند وكيل النيابة عدنا بالعربات الساعة الخامسة صباحاً، ثم نمنا. وبعد فترة من التحقيقات حوالى شهر رحلونا فى مجموعات كل عشرة فى جنزير، ورحلونا على معتقل الواحات. نخرجنا من معتقل القلعة إلى معتقل الفيوم فى طريق صحراوى من الساعة الواحدة وحتى الساعة السادسة. وفى معتقل الفيوم فوجئنا بعلقة وضرب لا يتصوره عقل بشر. وفى هذا اليوم لم أضرب، ومن السنبر نمت. ثم صحونا الساعة الواحدة دخلنا دورة المياه، حول المعتقل طابور عساكر ونحن نخرج عنبر عنبر تذهب إلى دورة المياه ونعود بسرعة، وأخذنا جرادل معنا نتبول فيها. نظام رهيب جداً غير معتقل القلعة، لأن معتقل القلعة غرف ويغلقون علينا الزنازين. وفى النهار مَنْ يريد أن يذهب لدورة المياه يذهب. لكن فى معتقل الفيوم كانت هذه العنابر لا توجد بها دورات مياه. وضُرب فوزى حبشى فى معتقل الفيوم. وأصيب المعتقل بدعاية سيئة جداً ضد عبد الناصر. عندما ضُرب فوزى حبشى أذاعت وكالات

الأثناء احتجاجات دولية، ومن برلمانات وبعض الصحافة وبعض الهيئات الدولية الديمقراطية عملوا احتجاجًا على تعذيب الديمقراطيين الشيوعيين فى داخل معتقلات عبد الناصر، حملة شديدة جداً، فبدأ عبد الناصر يخلى سجونًا جديدة، وأماكن جديدة وبدأ ينقل الجزء الأكبر منهم إلى أبى زعبل، وشاءت الأقدار إن إننى لم أكن من ضيوف معتقل أبى زعبل، أو من نزلاء معتقل أبى زعبل. فظللت أنا وعدد من الناس، كانوا حوالى تسعين شخصًا، كان موجوداً معى -الله يرحمه- د. محمد الخفيف، وإبراهيم أبو حديقة وعدد من زملائنا كان شخص اسمه حماد عباس وسيد عبد العال أمين- وكان مريضاً بالقلب- وكانت الدولة تعتبرنا ضعفًا ولسنا عتاولة فى الحركة الشيوعية. فمن الممكن أن يؤثروا علينا وأفرجوا عنا. فى هذا الوقت كانت الدولة ترسل رئيس مباحث أمن الدولة من القاهرة للفيوم ويفتحون معنا مناقشات على أساس أنَّ مَنْ لديه استعداد أن يستنكر الشيوعية سيتركونه. وفعلاً حدث. كنا فى هذا الوقت حوالى أواخر ١٩٥٩، أوائل ١٩٦٠. وطبعاً طلبونى. وناقشنى ضابط المباحث. وقال لى: أنت شيوعى؟ قلت له: أنا رجل نقابى. طبعاً أنا لم أكن مكلفاً ماذا أقول، لأن الناس رحلت فجأة. وكان مسئولنا فى المعتقل سيد أمين عبد العال وحماد عباس فسيد أمين قال: لا تقل أنا شيوعى، قل: أنا نقابى فقط. على أساس أن هذا أسهل لك وهناك احتمالات أن تخرج. وإن لم تخرج هذا تخفيف. فالمهم قال لى الضابط: تستنكر الشيوعية؟ قلت له لا. قال لى: ماذا؟ إذن أنت شيوعى؟ قلت له: والله احسبها كما تريد. أنا لست شيوعيا ولكنى لا أستنكر الشيوعية. أنا أعيش مع هؤلاء الناس، وهؤلاء الناس ممتازون وأنا أحترمهم وهم يعاملوننى معاملة طيبة ويحترموننى، فأنا لن أستنكر الشيوعية. فهو بعد مناقشة شعر أننى لست متجاوباً معه، فقال لى: تفضل. وبعد ذلك بيومين أفرج عن إبراهيم أبو حديقة ود. الخفيف وباقى الناس، وسيد أمين عبد العال كان مريضاً بالقلب أرسلوه للقصر العينى وحماد عباس أيضاً كان مريضاً بالقلب. وأنا وحوالى ٣ أو ٤ وكان معنا دكتور- حاليا أستاذ جامعى- اسمه صلاح قنصوة، وإبراهيم فتحى الكاتب الروائى والناقد. فصلاح قنصوة كان خريجاً جامعياً حديثًا، وعندما طلب منه أن يعمل استنكاراً للشيوعية. لا أعرف ماذا فعل. المهم رجع معى.

أخذونا من الفيوم لبنى سويف، ومن بنى سويف أرى ميدان المحطة فى بنى سويف كأننا

قوة مكونة من آلاف لناس.. وزارة الداخلية كانت تعمل أشياء رهيبة جداً فى المحطة. وكنا فى عربة جيب. كنا أحد عشر شخصاً. وطبعاً ليس فيها غيرى وشخص آخر ٨ يناير والباقى مشكوك أنهم منظمون، لا شأن لهم بالشيوعية.

المهم خرجنا من معتقل الفيوم لبنى سويف الساعة السابعة مساء، وكان معنا قوة من الضباط وثلاثة شاويشية وحوالى خمسة عشر عسكريًا. ثم ركبت قطاراً من بنى سويف بعد أن أحضروا لنا طعمًا. نحن اشتريناه، وجلسنا فى القطار، سافرنا حتى السادسة صباحاً. نزلنا فى بلد اسمها أبو تشت تتبع محافظة قنا . وفى أبو تشت ركبنا قطارا صغيراً اسمه قطار ثالثة، كما كنا نسميه فى بحرى، وركبنا هذا القطار لسجن الواحات. هذا فى حوالى أوائل ١٩٦٠. وذهبنا لسجن الواحات.

وأحد الناس الذين كانوا مقبوضاً عليهم فى القلعة والفيوم الذين رحلوا وذهبوا إلى سجن أبى زعبل، كلهم جاءوا إلى سجن الواحات، أعداد منهم وأعداد أخرى لا أعرف أين ذهبت لكنهم موزعون على أماكن أخرى. ثم ظللت شهر فى سجن الواحات، وفوجئت إننى مطلوب أنا الزميل دكتور مختار محمود السيد -الله يرحمه- ومحمد مستجير مصطفى وعبد العزيز رشوان وعدد من الناس ونزلنا حوالى سبعة عمال إلى سجن القناطر بالقاهرة. وفى القاهرة فوجئت إننى ضمن قرار الاتهام. المتهم الأول فى قضية فيها خمسة وعشرين شخصاً منهم اثنين سيدات، السيدة زوجة المناضل حلمى ياسين وهو فى قضية الحزب الشيوعى المصرى. القضية القيادية - اللجنة المركزية- وزوجة د.مختار وهما موجودتان فى سجن النساء. انتظرت أن نحاكم، وبعد ذلك عشت حوالى ستة شهور فى القناطر. وبدأت المحاكمة فى القناطر. وبدأنا ننزل المحكمة، السيدات ينزلن فى عربة صغيرة، والرجال (ثلاثة وعشرون شيوعيًا) يركبون عربة كبيرة ووراءهم عربتان حرس. المهم ظللنا ننزل حوالى شهراً ونصفًا ونحضر محاكمات. وفى داخل المحكمة حدث شئ غير طيب، أريد أن أقول هنا أن الذى كان يشهد علىّ فى قضية الخمسة وعشرين هذه. بحكم أننى المتهم الأول فيها اتهمنى وقال لىّ: إننى عضو منظم ومؤسس فى الحركة الشيوعية.وأنا طبعاً لم أنف هذا الكلام. لكن ليس أنا المهم، المهم حسن المصيلحى، كان معروفًا لدىّ الشيوعين، وكان يقول لبعض لشيوعيين : إننى مكلف بالقضاء على الشيوعية فى مصر ، بل فى العالم العربى وأفريقيا. كان رجلاً مغروراً ومحظوظًا عند

ضباط ثورة يوليو.

أثناء نداء القاضى على الأسماء. قال لى : أنت شيوعى؟ قلت له : أنا أخذت تكليفًا من الحزب فى القناطر ألا أستنكر الشيوعية وألا أقول إننى عضو فى الحزب. وكان هناك رجل اسمه سيد سالم-الله يرحمه- بعد أن خرجنا كان موظفًا فى بنك مصر، هو الوحيد الذى يدافع عن قضية الحزب فى المحكمة وتكلم عن دور الحزب الشيوعى المصرى. لكن أنا كان تكليفى أن أعمل دفاعًا نقابيًا وديمقراطيًا، ثم كان كل منا مكلفًا. حتى ثريا أدهم زوجة حلمى ياسين أخذت دفاعًا ديمقراطيًا، وكان من أجمل الدفاعات الموجودة داخل القضية لأنها بهرت المحكمة وبهرت كل العائلات التى حضرت فى المحكمة.

المهم بعد أن سألنى القاضى قلت له: أنا نقابى، وأنا رجل ديمقراطى، وأنا أريد أن أتكلم عن ماهية الحركة النقابية ودور الحركات النقابية وآثارها على حماية العمال من أصحاب الأعمال. فقال لى : فى نهاية الجلسة، ولم يعطنى فرصة.

وتعامل مع الأربعة والعشرين على نفس المستوى، إلا أنه سمح لثريا أدهم لأن عمها سعيد باشا أدهم أيام الباشوية كان رئيس محكمة النقض العالى. فالقضاء أعطوها فرصة فى أن تقول دفاعها مجاملة لعمها وهو كان قد أحضر محاميًا للدفاع عنها وكان دفاعًا من أجمل ما يكون. وبعد ذلك بعد أن قال كل منا كلمته وأنا قلت طبعاً كلمتى لأنى أول متهم فى القضية. وبعد أن انتهت المرافعات. تم تأجيل القضية حوالى عشرة أيام. ثم بعد ذلك نزلنا لسماع الأحكام. حُكم علىّ أنا وشخص اسمه عبد العزيز رشوان من كفر الزيات و د. جميل إسماعيل حقى- وكان ممتازًا جداً- وسيد سالم عضو الحزب الشيوعى، المهم كنا حوالى خمسة، وكان معنا عزت زكى أخذنا كل واحد خمس سنوات. وكان هؤلاء أصولهم التاريخية من طليعة العمال.

نسيت أن أقول أننا فى داخل السجن فى ظروف أكل السجن الصعبة، جاءت لنا نقود من العائلات. فحاولنا أن نزيد المصروف أو السماح - أى بدلاً من أن يكون مسموح للشخص فى الكانتين باثنين جنية يكون بخمسة جنيهات فى الشهر على أساس أن نشترى طعامًا من الخارج يغير طعم أكل السجن، فالمهم إدارة السجن لم توافق، وكانت هناك مكتبة وصحف. غير مسموح لنا أن نقرأ صحفًا أو كتبًا أو نسمع نشرة أخبار راديو السجن التى كانت تصل

لعنابر سجن القناطر. في وقت النشرة يغلقون السماعات، ولم يكن مسموحاً لنا بأي شيء ولا طوابير مثل الإخوان المسلمين والآخرين مثل الإقطاعيين. كان سراج الدين معنا في السجن وكان طوال النهار في ساحة السجن في العنابر. فنظمنا إضرابًا عن الطعام وكنت أنا وسيد سالم وعبد العزيز رشوان وعزت زكي براهيم. وجميل حقي وعدد من الزملاء الذين هم أصلاً من أصل تاريخي واحد، لكن هم داخل حزب ٨ يناير. نحن دخلنا معركة إضراب عن الطعام لتحقيق مطالب المكتبة والصحف والخروج للطابور ورؤية السينما الترفيهية للسجن وتحسين أكل السجن وظللنا عشرين يوماً مضربين عن الطعام. وبعد عشرين يوماً كان يأتي ناس من خارج السجن، من مكتب النائب العام ورئاسة الجمهورية. فنحن كنا رافضين لكي تُلبى مطالبنا. المهم في نهاية اليوم العشرين لإضرابنا جاء شخص من رئاسة الجمهورية. قالوا مسئولاً كبيراً. وفتحوا لنا السجن الساعة الواحدة صباحاً بمحضر من إدارة السجن، وجاء هذا المسئول الكبير وبدأوا يناقشون مندوبيا المفوضين. كان شخص اسمه سامي عزيز وأحمد ( ) قالوا : نحن لنا مطالب تحسين مستوى الأكل والمكتبة والصحف ونشرات الراديو. وزيادة التعامل مع الكانتين. هذه كانت كلها مطالبًا نعتبرها مشروعة دخلنا الإضراب من أجلها. وكنا نطالب بالإفراج عنا. نحن نعرف إننا سنحاكم. لكن نضع مطلبًا استراتيجيًا على أساس أن هذا المطلب يخدم المطالب الصغيرة التي قلتها. ثم بعد ذلك عندما تناقشوا معنا ووعدوا أنهم سيحققون لنا هذه الأشياء. اتفقنا وكتبنا اتفاقًا في مكتب المأمور وفكينا الإضراب. وكان د. جميل حقي يشرف على حل الإضراب وأسلوب التغذية. باعتبار أننا مضربون عشرين يوماً ومعدتنا خاوية. كيف سنحل الإضراب. فبدأنا نشرب سوائل. ماء ساخن بسكر. نشرب جلوكوز. المهم انتهت معركة الإضراب عن الطعام.

في الواحات عندما حركنا ورحلونا. ذهبنا لسجن مصر. وكانت قضية سكرتير الحزب لأنه كان قد قُبض عليه وحده وهو أبو سيف يوسف. هذه القضية- سكرتير الحزب- جاءت من الإسكندرية. أما القضية التي كنا فيها جاءت من سجن القناطر لسجن مصر. وفي سجن مصر اتفقت القيادة السياسية للقضيتين. كان هناك مشروع سياسي وكان وراءه إسماعيل المهدوي- الله يرحمه- اتفقت على أننا ونحن خارجين من الزنازين وفي ساحة السجن سنركب عربات لمحطة القطار للذهاب للواحات. فالقيادة السياسية كان أحمد سالم وإسماعيل المهدوي اتفقوا على أن نهتف عاش الحزب الشيوعي المصري. عاش كفاح الشعب المصري. عاش كفاح

الشيوعيين المصريين. عاش الشعب المصرى. فالمهم مأمور السجن، وكان هناك رجل مقيم من وزارة الداخلية قال : يا جماعة عيب. نريد أن تخرجوا فى أمان وأنتم مبسوطون وتذهبون للمكان الذى تذهبون إليه بدون مضايقات أو إحراج فالمهم قلنا إننا مُرحّلون ولابد من أن نعبر عن مشاعرنا ورأينا. فالمهم ركبنا العربات لمحطة الجيزة. ومن محطة الجيزة ركبنا قطاراً لسجن الواحات. وكان قد تم عمل طريق من أسيوط لسجن الواحات بعيداً عن طريق القطار العادى. ثم نزلنا ونمنا ليلة فى سجن أسيوط، وقابلنا المساجين فى سجن أسيوط فى قضايا المخدرات والقتل إلى آخره قابلونا مقابلة طيبة جداً وأرسلوا لنا طعامًا شعور جميل جداً حتى من السجناء العاديين. وفى الصباح ركبنا العربات وذهبنا لسجن الواحات.

الصراعات داخل المعتقل

وفى سجن الواحات عشت الصراع داخل الشيوعيين المصريين حزب ٨ يناير الذى كان مجموعة تنظيمات. صراع جانبى ومناقشات جانبية وسلوك أنا كعامل شيوعى، وكعامل نشأ نشأة ريفية كلها بؤس وضنك، وعملت عاملاً فى ظروف بائسة من فترة ١٩٣٢ حتى سُجنت فى ظروف صعبة جداً. وجدت الشيوعيين مرة أخرى عادوا للمناقشات الحلقية، وأنا فى نفس التنظيم الذى أنا فيه.

كانت تحدث معارك فى السجن، وهذه المعارك معارك سياسية. انتهت إلى أنه عندما شعرنا أن هناك قربًا للإفراج، فى أواخر ١٩٦٣ وأوائل ١٩٦٤. أفرجوا عن الشيوعيين. كان من المفروض أن خروشوف سيأتى لزيارة مصر وقال لعبد الناصر: لا أستطيع أن أنزل مصر والشيوعيين فى السجن. فالمهم عمل قراراً جمهورياً بأن نخرج. كنت قد قضيت مدة السجن. قبلها بعشرة أيام. مات لويس إسحاق. وحدثت معركة. وكان د. إسماعيل صبرى عبد الله له موقف عظيم جداً فى داخل السجن وكان كل السجناء الشيوعيين لهم حركة مقاومة ممتازة جداً وعنيفة جداً. لأنه كان دفعًا عن الذات طبعاً. هذا شئ طبيعى. ثم بعد ذلك خرجنا إفراجاً.

حل الحزب

أنا بعد أن خرجت كان علىّ خمس سنوات مراقبة. طبعاً أنا خرجت إفراجًا. جعلت المراقبة فى بلدنا لأنه لم يكن لى عمل. وطبعاً الذى يراقب ينام من المغرب للصباح فى البيت لا يخرج

فى المساء، وهناك غفير يوقع لى على دفتر مراقبة. وبعد أن صدر القرار الجمهورى بإلغاء المراقبة كسابقة سياسية. كانت لأسباب سياسية أيضاً بينه وبين الاتحاد السوفيتى. فذهبت إلى مصر مرة أخرى. كنت متزوجاً حديثاً. فأخذت زوجتى وسافرنا إلى مصر، وحاولت أشتغل. طبعاً أرجع شركة البطاطين. عملت فى مصانع صغيرة. وفى الظروف التى خرجنا فيها ونعمل كانت الحكومة قد أخذت على عاتقها أن تشغل الشيوعيين، وكان عبد الناصر قد بدأ يناقش الشيوعيين فى أن يحلوا الحزب واقتنعوا بذلك. عندما عدت وجدت الحزب يُحل. طبعاً كان شيئاً مؤسفاً بالنسبة لى. كنت عضواً قاعدياً فى الحزب، وكنت أعتبر الحزب هو خروج بى كإنسان من الشعب المصرى. الخروج بالشعب المصرى إلى حياة أفضل من الجو الرأسمالى والنظام الرأسمالى الرهيب والاستغلال الرهيب. وفى هذه الظروف عندما شعرت بحل الحزب، قابلت زملاء، هؤلاء الزملاء كانوا زملاء قياديين فسألتهم. فقالوا: لا. وبعد ذلك تم حل الحزب. فحدث بينى وبين أحد الزملاء مرة نوع من الاحتكاك. أثناء مناقشة وكانت هذه المناقشة فى الجهاز المركزى، وأنا لا أريد أن أقول ما الذى حدث، ثم انتهى بنا الأمر إلى أن الحزب الشيوعى تم حله. وانتشر الشيوعيون فى أرض مصر. لكن طبيعتهم النضالية من ١٩٥٩ حتى دخلوا السجن ليست هى طبيعتهم النضالية التى خرجوا بها. فبدأت الناس تنصرف عنهم، وبدأت الناس تتحلل منهم وتعاملهم معاملة عادية جداً غير معاملة ما قبل ١٩٥٩.

أنا أريد أن أقول كلمة هنا. أنا فى فترة وجودى فى الحركة الشيوعية كنت عضواً قاعدياً. ولم يكن لى دور جماهيرى لأن عملى فى الحركة الشيوعية أغلبه كان تحت الأرض وعمل شبه شديد السرية جداً. ولهذه الأسباب كان دورى بسيطاً جداً جداً. وأنا لا أستطيع أن أقول أنه كان لى دور أكثر من العمل الذى قمت به، وهو العمل الفنى. وفى داخل السجن أيضاً عندما قُبض علىّ كانت مساهماتى بسيطة ومحدودة. لكن قرأنا وتعلمنا. كانت هناك مدرسة داخل السجن.

دكتور يعلمنا القراءة والكتابة للذى لا يعرف. فأنا تعلمت القراءة داخل السجن، رغم إن خطى ضعيف جداً جداً. لكن شعرت كشيوعى فى مرحلة وجودى وسط هذه الكتيبة العظيمة إننى اكتسبت خبرات عديدة جداً جداً. وأنا أعتبرها جزءاً أساسياً جداً فى سلوكى الاجتماعى

نى أسرتى وفى داخل مجتمعى. ووالدى بعد أن سُجنت كان يناقشنى فى السياسة وكان مسروراً منى جداً. رغم إنه كان يريدنى أن أترك الشيوعية. لأنه شعر أننى كنت عبئًا عليه، وطبعاً هو كان أبًا وأمًا، كان يستريح لى جداً. فأنا وجودى داخل الحركة الشيوعية وعملى البسيط جداً جداً داخل الحركة الشيوعية، أعتبره بالنسبة لى جزءاً مهمًا جداً لأنه لعب دوراً طيباً. وجودى فى وسط الشيوعيين كان له دور أساسى جداً فى تربيتى وفى معرفة ذاتى ومحدوديتى فى منطقتى وعلاقتى بالناس المنظمة بزملائى، بأهلى، بجيرانى، بزملائى فى المصنع، بالناس فى الشارع، وفى داخل الأتوبيس، وفى داخل قريتى. لذلك اعتبره فضلاً عظيمًا جداً تركته فىّ الحركة الشيوعية رغم الأسى الكبير جداً والمرارة الكبيرة التى شعرت بها التى كانت النتاج المؤلم والمرارة الفظيعة لما حدث فى المعسكر الاشتراكى والذى تعانيه شعوب العالم اليوم وبخاصة الشعوب العربية والأفريقية. التى هى فى نظر العالم الأمريكى والحكومة الأمريكية والرأسمالية الأمريكية والحركة الصهيونية العالمية أننا دول متخلفة ويجب أن نُقاد ولا نقود. تقودنا الحركة الصهيونية وأمريكا بعد أن قاد المعسكر الاشتراكى الحركة الثورية العالمية. وهذه مأساة العصر ومأساتى أنا رغم ما تركته فىَّ الحركة الشيوعية.

شهادة

فوزي حبشي

سأحاول أن اكتب شهادتى للتاريخ قبل أن أنهى العقد الثامن لئلا أصل إلى حد الخرف فلا يصير لما اكتب أى فائدة ترجى.

ولدت بمدينة المنيا فى يناير سنة ١٩٢٤ وحصلت على بكالوريوس العمارة سنة ١٩٤٦ وبدأت التعرف على الفكر الماركسى سنة ١٩٤١ منذ بدء دراستى بالجامعة اذ كنت حينذاك فى شقة واحدة مع د. لويس عوض (ابن عمى) وكان عائداً للتو من بعثته بكيمبريدج وقد كان النقاش محتدمًا بيننا دائما مما خلخل علاقتى ببعض المجموعات الدينية فى ذلك الحين قبل اندماجى فى الحركة الشيوعية وأنا فى سن السابعة عشرة تقريبًا.. وقد دأبت على الحضور فى اجتماعات دار الثقافة بشارع القصر العينى وكذلك دار الأبحاث بشارع المبتديان أحيانا.

عانيت من السباحة ضد التيار كثيراً واعتقد اننى نجوت من الغرق فما زلت على معتقداتى حتى اليوم. فجملة سنين السجن والاعتقال تصل إلى عشر سنوات بدأت من سنة ١٩٤٧ موزعة على أربعين سنة.

ففى عهد الملكية قبض علىّ فى سبتمبر سنة ١٩٤٧ لتوزيع منشورات لمدة أيام ... ثم اعتقلت سنتين مع بدء حرب فلسطين الأولى من منتصف سنة ١٩٤٨ إلى أوائل سنة ١٩٥٠ بالهاكستيب وجبل الطور... ثم فى عهد عبد الناصر قضيت سنة ١٩٥٥ تحت التحقيق فى قضية شيوعية ..ثم الخمس سنوات التى ضمت الكثيرين سنة ١٩٥٩ - ١٩٦٤ .. ثم لفترات متقطعة فى عهد السادات سنة ١٩٧٥، ١٩٧٩، ١٩٨١ ثم بضعة شهور سنة ١٩٨٧ فى عهد حسنى مبارك حين عودتى من منفاى الاختيارى لمدة عام فى المهجر.

وسأذكر هنا واقعة شخصية لتداعيات الاعتقال :

انتدبت فى مايو سنة ١٩٧٩ مديرا عامًا بوزارة الكهرباء ثم اعتقلت فى أغسطس من نفس العام لمدة شهر فى القضية ٦٣٢ شيوعية فصدر قرار وزارى فى مايو سنة ١٩٨٠ بإلغاء الندب وجاء الاعتراض كتابة فى رد مدير عام الشئون القانونية بالنص: «لأنه لا يزال على معتقداته .. واتصالاته المستمرة بالشيوعية .. (خطاب رقم ١٤٤ فى ٢٦/١٠/١٩٨١)».

وقد ارتبطت «بحدتو» الأولى قبل انفجارها مع بدء معتقلات مايو سنة ١٩٤٨ .. حينئذ

دخلت «العمالية الثورية» ثم فى أوائل سنة ١٩٥٠ شاركت فى تكوين «النجم الأحمر»، وقد كنا فى ذلك التنظيم نعمل بشكل دائم لوحدة الحركة الشيوعية المصرية..

ومن النوادر أيام دراستى بالكلية أننى كنت كثير النقاش مع بعض قادة الإخوان المسلمين حول المشكلة الفلسطينية.. ودارت الأيام .. وفى لقاء خاطف حين كنا مئات من الشيوعيين بمعتقل جبل الطور سنة ١٩٤٨ وجاءونا سنة ١٩٤٩ بآلاف من الأخوان المسلمين عقب هدنة حرب فلسطين الأولى .. واعترف لى الأخ/ مصطفى مؤمن زعيمهم ذلك الحين قائلاً: «كنتم أبعد نظراً ..» فقد كنت دائماً أؤكد موقفى التنظيمى فى مناقشاتى السابقة معه والمهاجم لحرب فلسطين واصفاً إياها بأنها «مؤامرة استعمارية»... فى حين يتشنج الإخوانى فى الدعوة لحمل السلاح والكفاح الدينى هناك بطريقة لا عقلانية ..

وقد كان من أهم اهتمامات تنظيم «النجم الأحمر» الذى انتميت إليه ذلك الحين هو الاهتمام بالحركة العمالية وأذكر أننى شاركت فى طبع أول كتيب على مطبعة حروف مصنوعة يدويًا بعنوان: «أعيدوا محاكمة خميس والبقرى» (عمال كفر الدوار).

وأذكر أثناء اعتقالات سنة ١٩٤٨ أن قمنا بأول اضراب عن الطعام استمر حوالى ١٥ يوماً مطالبين بالافراج أيام حكم إبراهيم عبد الهادى، وطبعًا لم يفرج عن أى منا.. ولكن تم بعض التحسين لأحوال المعيشة، كأن أعطينا سراير للنوم بدلاً من البرش وتحسن الغذاء بعض الشئ.

وأذكر هنا واقعة طريفة، فبعد أن جاء النحاس باشا للحكم سنة ١٩٥٠ وأعلن: «أنه لا يوجد عنده أى معتقل».. فقد حزمنا أمتعتنا وذهبنا إلى باب السجن بالقناطر منادين بالإفراج !!

وفعلاً تمت الاتصالات بين مدير المعتقل ووزارة الداخلية وخرجت مع آخر دفعة من المعتقلين فى ٢١ فبراير سنة ١٩٥٠.

وفى تلك الأيام أذكر واقعة ذات دلالة إذ طلب منى مسئولى فى التنظيم أوائل الخمسينيات.. وبعد الثورة، أن اعاونه فى «سرقة» آله كاتبة من إحدى الوزارات مستغلاً فى ذلك أنى امتلك سيارة، وبالمناسبة كان مسئولى هذا مثاليناً حتى النخاع ولما رفضت من حيث المبدأ استطال الجدل بيننا مثل قوله: «الغاية تبرر الوسيلة؟! إلخ» ومن حجتى وقتها أن الذى

سيصار هو موظف الأرشيف البسيط الذى فى عهدته الآلة .. فرد علىَّ : «إنها تالفة ومركونة على الرف منذ شهور .. وسنصلحها ونكتب عليها منشوراتنا ضد الدكتاتورية العسكرية» وفعلاً وبعد أيام انتظرته كأى سواق تاكسى فى الصباح الباكر على باب المصلحة الحكومية .. وتمت العملية فى سهولة ويسر .. وللآن لا أعرف ماذا كانت تداعيات تلك الواقعة.. ؟! ولكن أذكر أنه لم تسعفنا تلك الآلة العرجاء فى محاربتنا للديكتاتورية العسكرية وشجعنى مسئولى حينذاك على صناعة آله طباعة يدوية .. وقد اهتم التنظيم سنة ١٩٥٠ بحركة السلام العالمية فكنا نجمع مئات التوقيعات على بيان ستوكهولم الداعى للسلام ونبذ القنبلة الذرية..

وكان اهتمام التنظيم بالحركة الفلاحية أقل من اهتمامه بالحركة العمالية .. حتى أننى أذكر أن موقفنا من قانون الأصلاح الزراعى لم يكن واضحًا فوصفناه مرة بأنه سيفتت الملكية الزراعية ودعونا للمزارع التعاونية أو الجماعية وقلنا إنه وضع بتوجيه أمريكى .. الخ.

كما اهتم التنظيم جداً بقضية الوحدة بين الشيوعيين لتكوين الحزب الواحد فكان دائما يستضيف لجن التنسيق ثم لجان الوحدة .. حتى أننى أذكر احتفالنا بوحدة ٨ يناير والتى قامت بعد مفاوضات شاقة..

وقد عارضنا ثورة يولية فى البداية واصفين إياها بأنها «ديكتاتورية عسكرية» .. تضرب كل تقدم، وازداد موقفنا تشنجًا ضد الثورة إبان هبة مارس سنة ١٩٥٤ ، وكذلك بعد ضربها للعمال فى كفر الدوار وإعدام خميس والبقرى..

ولكننا أيدناها وغيرنا موقفنا بعد مؤتمر «باندونج» فى فبراير سنة ١٩٥٥ وصفقة الاسلحة التشيكوسلوفاكية أواخر سنة ١٩٥٥ وازداد تأييدنا لها عقب تأميم قناة السويس سنة ١٩٥٦ وارتفع الحماس لدرجة أن بعضنا أثناء العدوان الثلاثى حمل السلاح دفاعًا عن مصر والثورة .. وعلى سبيل المثال كان الرفيق محمد على عامر - الشيخ الذى جاوز السبعين من عمره فى ذلك الحين - يفخر بمدفع رشاش يسير به فى شوارع القاهرة آنذاك.

وقد ذهب أغلبنا وحتى زوجاتنا لتعلم ضرب النار فى الساحات والنوادى التى فتحت أبوابها فى تلك الأيام لتشحذ الهمم.

وفى انتخابات مجلس الأمة على سنة ١٩٥٧ كان الموقف صعبًا فقد أيدت شخصيًا المرشح

المتقدم فى شبرا الدكتور/ فائق فريد الذى انتمى لتنظيم غير التنظيم الذى كنت مرتبطًا به والذى أمرنا بتأييد مرشح آخر بالعباسة هو عبد العزيز مصطفى.

هاجمنا جميع مشروعات الأحلاف العسكرية من مشروع «ايزنهاور» .. إلى «الهلال الخصيب» .. «الشرق الأوسط» حتى مشروع «روجرز».

أما الموقف من حركة السلام فقد كان فيه بعض التردد من التنظيم لأن القائمين على الدعوة لحركة السلام كانوا رفاق «حدتو» أساسًا ولكنى قمت بجمع المئات من التوقيعات على نداء ستوكهولم رغم عدم انتمائى لحدتو فى ذلك الحين.

وهنا يجدر أن أذكر تفاصيل موقف هام تعرضت له أيام السجن سنة ١٩٦١ إذ كان بسجن القناطر تنظيمان شيوعيان منفصلان تمامًا فى السكن وفى المعيشة وحتى فى الاتصال بالإدارة: «تنظيم الحزب الشيوعى حدتو»، و«تنظيم الحزب الشيوعى التكتل» (كما كان يسميه الآخرون) .. وأنا كنت من المنتمين للتنظيم الثانى والمتحدث باسمه لدى الإدارة.. وقد كنت مع آخرين فى داخل التنظيم نعارض خطه السياسى والذى يهاجم عبد الناصر بتشنج فى كل شئ حتى جاء قرار عبد الناصر فى سبتمبر سنة ١٩٦١ بالتأميمات .. فوقعت مع ثلاثة آخرين بيانًا إلى الحكومة مؤيدين القرارات واصفين إياها بأنها خطوة وطنية مخالفين بذلك الخط الرسمى للتنظيم وقد كان الموقعون معى : الاستاذ/ عبد الله الزغبى المحامى، والدكتور/مختار السيد، والأستاذ/ مستجير مصطفى - ويومها جاء قرار بترحيلى من القناطر إلى سجن الواحات .. وفوجئت الإدارة حين وجدتنى أسير إلى باب السجن حاملاً امتعتى منفردًا على غير العادة بدون زفة المرحلين إلى الواحات بمظاهرة صاخبة لرفع الروح المعنوية؟! ... فلم تعرف السبب والذى عرفته فيما بعد أنه صدر قرار بمقاطعتى حين الترحيل من القيادة الحزبية داخل السجن بسبب توقيعى على ذلك البيان.

وفى رأيى أن السياسة تمس كل البشر لذلك لا يجب أن يعطى الاحتراف السياسى فى التنظيمات الثورية أهمية كبرى .. وفى التطبيق العملى أذكر أن بعضنا تندر فى وقت ما على «المحترفين الثوريين» بلفظ «المغترفين الثوريين».. ولا يفوتنى أن أذكر هنا تصحيحًا للتسمية بلفظ لم يؤخذ به غالبًا وهو «الثوريون المحترفون» وليس «المحترفين الثوريين» لأن صفة

الثورية يجب أن تسبق الاحتراف.

ومن الأسئلة على أخطاء الاحتراف أن طلب من أحدهم هو سعد رحمى وقد كان طالبًا فى كلية الطب أن يترك الكلية ليحترف ... وقد كان .. ولكنه بعد ضياع عشرات السنين بين التنظيمات المختلفة عاد ليأخذ ليسانس الآداب.

أما دور اليهود والأجانب فى الحركة الشيوعية المصرية ففى رأيى أنه ما كان يجب أن يأخذ دوره المتعاظم الذى أخذه وذلك لبعدهم عن الواقع المصرى.

وقد كان موقفى وموقف التنظيم من الاحتلال الانجليزى صريحًا وواضحًا فى صراع دائم وقد رفعنا شعار حمل السلاح وبعضنا قد حمله فعلا ضد قوات الاحتلال فى القنال فى سنة ١٩٥١ وقد هاجمنا معاهدة سنة ١٩٥٤ التى أعطت الانجليز مهلة سنتين للخروج من القنال فكنا أكثر حماساً من المفاوض المصرى.

وفى سنة ١٩٤٦ أثناء أحداث الجامعة سرت مع المتظاهرين حتى كوبرى عباس إذ كنت وقتها فى نهائى كلية الهندسة .. وأذكر فى حينه كم اختلفت مع زميل لى من الإخوان المسلمين كان يدعو لإعطاء صدقى باشا فرصة فى مفاوضة الانجليز فى الوقت الذى كان الشارع المصرى يغلى ضد الاستعمار .. وكم كنا نعيب على الوفد موقفه المتردد.

وأما بعد الثورة وحين اختلف الأخوان المسلمون معها وضربتهم بشراسة فقد كان موقفنا أن أيدنا ذلك. وهذا الموقف كان خطأ منا فى تصورى اليوم.

وقد أيدنا الثورة فى تمصير الشركات والبنوك الاجنبية ودعونا لمزيد من التمصير وطالبنا بالتأميم بكل الحماس .

أما موقفنا من وحدة مصر وسوريا فقد اختلف، اذ كنا نرى أن الوحدة لا يجب أن تتم فى عجلة بل علينا أن ندعو لتقارب الشعبين أكثر وأكثر حتى يقترب الواقع من الوحدة فتصير الوحدة من القوة فلا تنفصم بسهولة كما حدث فعلاً سنة ١٩٦١. وفى تسارع الأحداث انزعجنا من الإطاحة بحكومة النابلسى سنة ١٩٥٥ فى الأردن .. وتظاهرنا ضد نزول القوات الأمريكية فى لبنان. ولكن حين قام عبد الكريم قاسم بثورته فى العراق سنة ١٩٥٨ بدأ الخلاف بيننا وبين عبد الناصر إذ أيدنا ثورة العراق بكل شدة ولكن عبد الناصر أيد عبد السلام عارف ضدها.

وبدأ الصراع العنيف حتى بدأت المعتقلات الرهيبة سنة ١٩٥٩ .

أما المواقف من الاتحاد السوفيتى فقد كانت أغلبها ذيلية - وذلك برؤيتنا اليوم - فقد أيدنا مثلاً موقفه من هبة المجر، وحتى فى خلافه مع الصين ولو أنى شخصيًا كنت أميل أكثر لمواقف الصين مع عدم تمكنى الاطلاع الكافى على الوثائق الصينية ..أما فى عداء عبد الناصر معنا ومحاولته التصفية الجسدية سنة ١٩٥٩ فقد كنا من المهاجمين له بعنف واصفين نظامه «بالديكتاتورية العسكرية» على خلاف آخرين وصفوه «بالفاشية» (الراية) وآخرين وصفوه «بالوطنى» الذى يضرب أعداء، حتى أننا كنا نتندر عليهم بأغنية عبد المطلب القائلة «حسبتك، وبحبك، وهاحبك على طول..» لموقفهم اللا ناقد لعبد الناصر؟!. وهم رفاق «حدتو».

ولما وصلنا سنة ١٩٦٥. جاءوا يقولون إنه لا داعى لتواجد حزبى مستقل إذ أن اتحاده الاشتراكى سيبنى الاشتراكية فكان هذا مبرراً للحل والذى أرى فيه اليوم خيانة لقضية الاشتراكية.

من أمثلة التصفية الجسدية إبان سنة ١٩٥٩ وما بعدها أن مات كثيرون فى داخل المعتقلات إما من سوء التغذية أو من عدم العلاج الطبى، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : المهندس/ رشدى خليل، أما الذين ماتوا من التعذيب فكثيرون أذكر منهم الرفيق/ شهدى عطية، والدكتور/ فريد حداد، والعامل سيد أمين .. الخ. وقد نالنى شخصيًا من ذلك التعذيب القسط الوفير .. وهنا قد أعطى بعض التفصيل لواقعة محاولة اغتيالى داخل معتقل الفيوم فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٩ :

لما كنت من المهاجمين للنظام علنًا وفى كل مناسبه فقد تربصوا بى حتى أنه فى اليوم المذكور فوجئت باستدعائى إلى مكتب مأمور المعتقل ووجدت ضيفًا من القاهرة بالملابس المدنية، هو العقيد/ عبد العزيز شاكر يتوسط حلقة من الجند لا يقل عددهم عن العشرة وأمرت بخلع ملابسى تمامًا .. ودون سابق انذار انقضوا علىّ جميعهم بالكرابيج بشكل وحشى حتى أن الوجه لم ينج من الضرب.. وقد كسرت العصا الخشبية لأحد الكرابيج فى يد واحد من العسكر وطلب تغييره من جندى هجانة من الحراس خارج سور المعتقل ولكن ذلك الجندى نهره

صائحاً: «كفاية يا وحوش الراجل مات فى ايديكو ..»!!

ولما سال الدم من جميع أجزاء جسمى أمر ذلك النسيف الثقيل بإحضار كيس ملح طعام من سيارته وإذابته فى جردل مياه وعصر منه على جروحى بملابسى الداخلية متصوراً أن صدمة الألم الشديدة قد توقف القلب فسقطت شبه فاقد الوعى على الأرض فأمرهم بسحلى إلى الزنزانة ولكنى رفضت واتكأت على كتف أحد الجند ووصلت ببطء شديد إلى حيث سقطت مغشياً علىّ على أسفلت الزنزانة منفرداً وتصور الجميع أنى سأقضى نحبى .. فأضرب الزملاء مطالبين بالنيابة والاطمئنان علىّ فسمح لطبيبين من المعتقلين هما : الدكتور/ مختار السيد، والدكتور/ ممدوح الجندى فجاءانى ببعض المواد الطبية من قطن وخلافه وضمدا جراحى بعد أكثر من ٢٤ ساعة وقد صدرت الأوامر بعدها بترحيلى إلى سجن الواحات وتحملت مشقة الرحلة بصعوبة شديدة ملفوفا فى القطن تحت روب حرير أعارنى إياه أحد الرفاق .

وأمام باب السجن تركت ملقى على الأرض لمدة ساعتين أو أكثر وقت أن تبادل قائد السجن الاتصال مع القاهرة شارحاً خطورة الحالة ومحاولاً إخلاء مسئوليته الشخصية، إذ أنه قد رفض قبولى بدعوى أنى على وشك الوفاة.

وبعد أن تم قبولى أردعت مستشفى السجن لمدة حوالى شهر حتى تم تضميد الجراح.

وفى تلك الأثناء ذكرت الإذاعات الأجنبية خبر وفاتى نتيجة التعذيب فى سجون عبد الناصر وطير الخبر إلى الزوجة التى كانت معتقلة هى الأخرى فى سجن النساء بالقناطر وحارت زميلاتها فى شأن ابلاغها بالخبر وكان لى إحدى القريبات المهتمات بشئون أطفالنا الثلاثة بعد الاعتقال والتى انزعجت للخبر بعد أن جاءها بعض أهالى المعتقلين للتعزية بعد سماع الإذاعات فذهبت إلى الإدارة العامة للسجون وبمقابلة أحد المسئولين طالبت بإثبات عدم صحة الخبر إذا كان كذبا .. وفعلاً يومها فوجئت بأننى فى سجن الواحات، ولأول مرة بعد شهور من الانقطاع عن العالم الخارجى، بأن نودى باسمى لاستلام طرد أدوية مرسل لى من قريبتنا هذه وطلب من التوقيع بالاستلام.. وكان ذلك الإيصال هو الدليل الذى قدمته مصلحة السجون لها لتكذيب الخبر وقامت هى بإرسال التكذيب إلى سجن النساء.

ومن الحوادث الهوجاء التى انتهت بها سنة ١٩٥٩ أن حاول ثلاثتنا : محمود المانسترلى

وسيد عبد الله وفوزى حبشى كمندوبين عن المعتقلين أن نفتح صفحة جديدة مع السلطة فى تلك المناسبة .. فذهبنا يوم ٣١ ديسمبر إلى مأمور المعتقل مهنئين بالعام الجديد .. إلا أننا فوجئنا بموقف غريب : إذ هجم علينا فجأة من سيارة لورى حوالى عشرين من الجند المسلحين بالعصى الغليظة. والتف حول كل واحد منا حوالى سبعة من العسكر ليثخنوه ضربًا بشكل عشوائى وكأنهم فى معركة حربية وكانت نتيجة لذلك كسر ذراع سيد عبد الله وكسر كذلك مشط أحد قدمى وبقى المانسترلى مضعضعًا أكثر من شهر فى المستشفى يعانى من كدمات فى كل جسده.

ومن أمثلة التصفية الجسدية الخرقاء إبان فترة تعذيب سنة ١٩٥٩ وما بعدها أن كان يقاد المئات منا ونحن حفاة فى ملابس السجن البالية وبدون ملابس داخلية، تحت ضرب العصى إلى البرارى المحيطة بمنطقة السجن بالواحات لننقل اكوامًا من الرمال التى كانت تحوى العديد من الحشرات السامة والثعابين مثل الطريشة .. كنا نجبر على تحريك تلك الرمال من مكان لآخر لا لسبب إلا للتنكيل وإهدار الكرامة البشرية ثم نعود عند الغروب للسجن فلا نجد من الأكل إلا بعضًا من العسل الاسود والذى لا يخلو من رائحة الجازولين مع جراية السجن السوداء.. ومن فرط حالة الجوع هذه أن أفتى أحدنا فى إحدى مرات العودة إلى السجن : بأن حبات الخروع على الشجر مفيدة صحيًا؟! فأكلنا منها الكثير .. لدرجة أن تسممنا جميعًا .. حتى أن أحدنا وهو اسماعيل عبد الحكم وصل إلى حافة الموت وتم إسعافه بصعوبة..

وبعد أن قتل الشهيد شهدى عطية على باب سجن أبو زعبل وكان وقتها عبد الناصر فى زيارة ليوغوسلافيا وسمعنا أن تيتو عاتبه لقتل رفيقه الشيوعى شهدى عطية الشافعى فى سجونه أمر من هناك بايقاف التعذيب البدنى ففوجئنا بإيقاف تلك المساخر العبيطة وسمح لنا بملابسنا الداخلية، فتنفسنا الصعداء وعدنا نضمد جراحنا.

وهنا جاءتنى فكرة أن نستغل وقتنا الفارغ فى عمل مفيد فاقترحت على زملائى وإدارة السجن أن نبدأ ببناء مسرح فى حوش السجن .. وفعلاً بدأنا ضرب الطوب اللبن فى معجنة لا تقل مساحتها عن عشرة أمتار كان يقف فيها الرفاق بأرجلهم حتى الركب وكل يوم كنت أخرج بورقة تلصق على حائط زنزانتى أشرح فيها نتيجة المنافسة بين المعتقلين فى عملية البناء هذه، وأذكر أن الرقم القياسى الذى وصل إليه ضرب الطوب فى يوم واحد قد وصل إلى حوالى

عشرة آلاف طوبة وأذكر هنا واقعة طريفة حيث سرقت إدارة السجن جمع الطوب الذى ضربناه تلك الليلة لبناء سور حول منزل المأمور حسب تعليماته .. مما دفعنى أن أدخل عليه في صباح اليوم التالى أضرب على مكتبه بقبضتى واصفًا إياه بالصفل الذى رمى بالتراب على تروس ماكينة تسير بسرعة فأوقفها لأن الزملاء قد رفضوا المشاركة فى ضرب الطوب بعد تلك الحادثة السخيفة.. فاعتذر لى بكل مهانة؟!

وكان هذا الاعتذار سببًا لعودة الرفاق لضرب الطوب مرة أخرى.. واستؤنف العمل، وحين تم بناء المسرح بالتصميم لروماني القديم على شكل مصاطب مستديرة قام المرحوم الفنان حسن فؤاد المعتقل معنا بإخراج مسرحية «عيلة الدوغرى» لنعمان عاشور ومثل فيها عشرات من المعتقلين وأذكر أنه قد قام بدور إحدى بنات «الدغرى» الممثل المعروف «على الشريف» الذى كان معتقلاً كذلك.

وقد دعونا لحفل الافتتاح مدير السجن وضباطه ومحافظ الواحات والذى جاء تعليقه مشجعًا لنا لدرجة أننا تابعنا أداء الكثير من المسرحيات فيما بعد .. ومنها مسرحية لأرثر ميلر، وقد قام بالدور الرئيسي فيها الاستاذ/ نبيل الهلالى المعتقل .

وفى مايو سنة ١٩٥٩ صرح عبد الناصر كذبًا للصحفى الهندى كارانجيا بأن ليس لديه معتقلين فازداد الهجوم عليه من كل القوى التقدمية فى العالم حتى أنه فى سجن النساء قامت المعتقلات الشيوعيات بمظاهرة هتفن فيها :« تسقط سياسة الكذب والنفاق!! »

وكان من نتيجتها أنهم أثخنوهن ضربًا بواسطة العشرات من المسجونات وتحت حماية السجانات وسارت الحياة رتيبة قاسية فى سجون الرجال والنساء حتى مايو سنة ١٩٦٢ حين صرح عبد الناصر للصحفى الفرنسى ايريك رولو أنه سيصفى المعتقلات.

وعندئذ قرر خروشوف أن سيزور القاهرة ولكنه قال إنه لن يزورها إلا بعد خروج زملائه الشيوعيين من السجون. فبدأنا نرى فى الافق بعضًا من وميض الحرية .. وفعلاً بدأت الافراجات فى يولية ١٩٦٣ بخروج بعض من المعتقلات السيدات.

وتحدد يوم ٩ أبريل سنة ١٩٦٤ موعداً للزيارة لافتتاح السد العالى ومع أوائل سنة ١٩٦٤ بدأت الافراجات للرجال حتى خرجت مع آخر فوج من المعتقلين فى ٤ أبريل سنة ١٩٦٤. وقد

نكل بالبعض منا فى تلك الساعات .. فمثلاً أخذ د. اسماعيل صبرى عبد الله فى ذلك الحين ورحل إلى سجون مختلفة كثيرة بدن متباعدة ليمكث ليلة أو أكثر فى كل سجن فى عملية تسمى «كعب داير» حتى أنه لم يخرج إلا صباح ٩ أبريل.

وفي نفس اليوم قامت مباحث أمن الدولة بمؤامرة شنيعة إذ أمرت بأن يستفز الحراس لسجن الواحات المعتقلين ليندفعوا فى مسار معين حتى يقال إنهم حاولوا الهرب فيحصدوا بمدفع رشاش؟!.. فيكون الحدث ذريعة لإلغاء زيارة خروشوف، وفعلاً اندفع أحد الرفاق «لويس اسحق» وقتل بالرصاص ولولا تحذير من أحد ضباط السجن الوطنيين صائحًا : «إنها مؤامرة»؟! فتراجع باقى الشيوعيين، لكانت المجزرة أشنع؟!

وفى أوائل سنة ١٩٦٥ حول عبد الناصر سياسته عنا وبدأ فى ضرب الإخوان المسلمين وأقام الاتحاد الاشتراكى رالذى قال بعضهم إنه سيبنى به الاشتراكية فكان ذريعتهم لحل الاحزاب الشيوعية فى حينه ولكن البعض اعترض على ذلك .. وصدرت قرارات الحل من التنظيمين الرئيسيين فى ذلك الوقت : «حدتو» و«الحزب الشيوعى المصرى - الراية».

شهادة

محروس سليمان

البيانات الشخصية

الاســـــــــم : محروس سليمان حنا

محل وتاريخ الميلاد : ١٩٢٤/١٢/٢٤- القاهرة - شبرا.

المــــؤهـــلات : ١- ليسانس آداب تاريخ ١٩٤٧.

٢ - دبلوم معهد تربية ١٩٤٩- مدرس.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ٢٢ سنة تقريباً

فترة السجن والاعتقال : من ١٩٥٩/٣/٢٨ وأفرج عنى فى ١٩٦٤/٤/١

بيانات عائلية :

كان الوالد عاملاً بشركة الترام له ميول وفدية ولم ينضم إلى أى حزب - كثيراً ما كان ينتقد الوفد لموقفه من حركة الطبقة العاملة ولا ينسى موقف رئيس الوزراء سعد زغلول من اتحاد العمال والحركة العمالية وحزب الاتحاد.

تأثرى بالدكتور محمد مندور:

وجهنا أستاذ اللغة العربية بمدرسة الاستقلال الثانوية بشبرا ونحن طلبة فى الصف الأول الثانوى عام ١٩٣٩ لقراءة مجلة «الثقافة» الأسبوعية وكذلك مجلة «الرسالة» (الأستاذ عبد الحميد مدرس اللغة العربية كان أستاذاً متفتحاً ومثقفاً وكان يناقشنا كثيراً فى القضايا الثقافية والسياسية العامة فكان له منا كل الحب والتقدير).

وقد واظبت على قراءة مجلة «الثقافة» بانتظام حيث التقيت بكتابات الأستاذ أحمد أمين «زعماء الإصلاح الإسلامى فى القرن التاسع عشر» ورواية «زنوبيا» لفريد أبو حديد ولكثيرين آخرين وكان من بينهم الدكتور محمد مندور «نماذج بشرية» و«الشعر المهموس» و«شعراء المهجر» لعرفته كأديب وناقد وأحببت كتاباته.

ثم التحقت بكلية الآداب عام ١٩٤٣. وفوجئت فى تلك الفترة بالدكتور مندور قد ترك موقعه بالجامعة وتفرغ للعمل السياسى منضماً إلى الوفد وبدأت أقرأ له فى الصحافة الوفدية (صوت الأمة - الوفد المصرى). وأعترف أنه قد كان للدكتور مندور فضل كبير فى تشكيل فكرى السياسى فى تلك الفترة فعمق فينا - شباب الأربعينات - أنه لا خير فى استقلال

سياسى إن لم يدعم بالتحرر الاقتصادى والاجتماعى والتخلص من كل أشكال الهيمنة الاستعمارية، وبناء مجتمع تحقق فيه العدالة لاجتماعية، أي البناء الاشتراكي الديمقراطي.

وخاض المعارك الكبرى دفاعا عن الاستقلال الوطني، فقاد النضال ضد مشروع «صدقى بيفن» الاستعمارى وضد حكومات الأقليه المعادية للديمقراطية والمهادنة للاستعمار. وقد تكون من خلال نشاطه هذا الجناح اليسارى بالوفد وعلى رأسه «الطليعة الوفدية».

ومن أهم ما نشره بالصحافة الوفدية سلسلة «البشاوات الرأسماليون» وفضح فيها مواقع هؤلاء الباشوات فى الشركات وارتباط بعضها بالرأسمال الأجنبى أيضاً، ومن ثم فقد أدركت أن الدكتور مندور كان ينطلق من فكر اشتراكى ديمقراطى.

معرفتى بالماركسية

كان ابراهيم فؤاد فهمى أحد أصدقائى بشبرا، وزميلى بكلية الآداب. ودعانى فى إحدى زياراتى له لقراءة كتاب بالإنجليزية حتى نقوى أنفسنا فى هذه اللغة. وإذ به يقدم لى كتاب «الدولة والثورة» تأليف لينين فأدركت بعد قليل أنه من الكتب الشيوعية ورحبت بقراءته تماما وتقبلت أفكاره ببساطة شديدة. ثم عرفنى بمجلة «الفجر الجديد» الأسبوعية.

وكان يكتب فيها أحمد رشدى صالح وأبو سيف يوسف وعبد الرحمن الشرقاوى ونعمان عاشور وكثيرون غيرهم. وأستطيع أن أقول إننى قد حصلت على الحد الأدنى من الثقافة الماركسية.

لقاء الشيوعيين

وفى عام ١٩٤٧ (وأنا فى الليسانس) ثارت مشكلة طلابية (لا أتذكرها) فتجمع جمع من الطلاب وشاركت فى هذا التجمع وكنت أناقش بعض الطلبة فتنبه لهذا الحوار طالب بقسم اللغة الفرنسية اسمه «ليون كرامر» فتعرف علي وتناقشنا وكنا متفقين فى التفكير والتقى بى بعد ذلك عدة مرات ثم دعانى إلى حفل بسيط بمنزله فى شارع عبد العزيز وتوجهت فى الموعد المحدد فالتقيت ببعض طلبة وطالبات الكلية. وكان ذلك قرب نهاية العام فاتفقنا على اللقاء بعد نهاية الامتحانات وتعرف على عنوانى، وزارنى فيما بعد ودعانى إلى التنظيم فأصبحت عضواً فى خلية، وكنت أظن أن هذا هو الحزب الشيوعى الوحيد بمصر. ولم يجذبنى

العمل الذى كنت أكلف به (رسم خريطة مساحية لحى شبرا موضحًا عليها الوضع الطبقى لسكان الحى) وأحياناً كنت أكلف بترجمة كتاب امثل كتاب عن التنظيم تأليف ستالين). ثم لاحظت بعد قليل اضطراب فى التنظيم وفقدت الاتصال التنظيمى. واتصل بى بعض الزملاء الجامعيين من شبرا ودعونى إلى الانضمام إلى «التيار الثورى»، والحقيقة أننى كنت حديث عهد بالتنظيم ولم أدرك تماما حقيقة الوضع التنظيمى ولكننى لم أر تحمسًا للانضمام إلى «التيار الثورى» كانقسام ولكن لم أكن واعيًا تمامًا ومدركًا خطورة هذه العملية الانقسامية وظللت بعيداً عن التنظيم حتى مطلع الخمسينيات.

بعض أنشطة هذه الفترة

فى عام ١٩٤٨ انتشر مرض الكوليرا فى مصر وخصوصا فى الأحياء الفقيرة فتشكلت «رابطة الطلبة المصريين» التى قامت بدور فى توعية الطبقات الشعبية من الناحية الصحية وتزويدهم ببعض المعونات (صابون ......)، وقد انضممت إلى الرابطة. وشاركت فى هذا العمل الذى قام فيه بدور بارز فى ذلك الوقت طالب الطب «سمير حنا صادق»، وهو من سكان دوران شبرا (شارع المنس).

كما كنت أشارك فى بعض المظاهرات السياسية فى تلك الفترة خصوصاً عقب صلاة الجمعة بالأزهر. وتوزيع بعض المنشورات.

الانضمام إلى النواة

لا أتذكر تماما تاريخ انضمامى إلى النواة. (ربما كان عام ١٩٥١) وقد عرض علىّ الانضمام الصديق بهجت حسنى عبده امدرس ومن سكان شبرا) وهو صديق لعباس أحمد الذى كان يعمل بالإذاعة ومن جيران بهجت. كما كان عباس صديقًا لمحمود أمين العالم. ولم أستمر طويلاً بل فقدت الاتصال ولاحظت عدم الانضباط وكانت هذه الفترة مشحونة بالقلق.

الصديق أديب ديمترى :«طليعة العمال»

تعرفت على الصديق أديب ديمترى منذ عام ١٩٤٩ تقريبًا فهو زميل مهنة وأيضًا من جيران شبرا ونمت هذه المعرفة تدريجيا حتى أصبحنا أصدقاء . وعندما دعانى إلى التنظيم -

ربما عام ١٩٥١ - كنت فى تلك الفترة فى تنظيم «النواة» فاعتذرت له. ولم أبق سوى فترة قصيرة لاتزيد عن العام وفقدت الاتصال وظللت كذلك وقد تعمقت صداقتى بأديب حتى عرض على الانضمام إلى تنظيم «طليعة العمال» عام ١٩٥٥ تقريبًا.

ويتميز أديب بشخصية ديمقراطية فهو ينصت إلى الآخرين جيداً ولا يتعصب لرأيه بل لديه الشجاعة كى يعدل ويبدل فى فكره هذا إلى جانب نضجه الفكرى وثقافته وسعة اطلاعه وتفكيره. أما سلوكه الشخصى فنموذج للشيوعى الجيد صاحب القيم والمثل ولذلك كان أديب دائما عنصر جذب وتأثير على معارفه وأصدقائه.

ولاحظت أن تنظيم «طليعة العمال» حريص جداً ومنضبط فى اتباع قواعد التنظيم. ولا يضم إنسانًا إلا بعد معرفته معرفة دقيقة وإخضاعه للملاحظة والمتابعة ربما لسنوات ولذلك يأخذ البعض على هذا التنظيم الجمود والحرص المبالغ فيه، وهذه سمة فى التنظيم منذ بدايته.

وبعد فترة من التنظيم تم تصعيدى إلى مستوى مسئول قسم ثم عدت إلى موقعى عضواً بأحد الأقسام بشبرا حتى عقد مؤتمر عام التنظيم، وبمقتضاه تحول إلى حزب «العمال والفلاحين»، كما اتخذت قرارات فى اتجاه العمل على تحقيق وحدة الشيوعيين المصريين. (عقد المؤتمر ١٩٥٧).

وفى ٨ يناير ١٩٥٨ تم إعلان الحزب الشيوعى المصرى الذى ضم أغلبية الشيوعيين المصريين نضم «الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى» و«الحزب الشيوعى المصرى» و«حزب العمال والفلاحين».

ولأهمية معركة المعلمين فى هذا الوقت اتخذ الحزب قراراً بتكوين «المكتب المركزى للمعلمين» الذى ضم بعض معلمى الحزب أذكر منهم «أديب ديمترى - الحسينى عطا - وداد مترى - شوقى جلال - محروس سليمان».

الفجر الجديد:

من أهم المجلات التى لعبت دوراً هامًا وخطيراً فى نشر الفكر الماركسى: ومن كتابها أحمد رشدى صالح وابو سيف يوسف ونعمان عاشور ... وكانت تتناول القضايا السياسية والوطنية الملحة بالتحليل وتوضح مواقفها الوطنية من هذه القضايا.

كما حققت ارتباطها بالطبقة العاملة ويبدو ذلك من الأخبار العمالية التى تحفل بها المجلة

وكانت تتابع أهم القضايا والمشاكل العمالية.

كما احتل الجانب الثقافى أهمية كبيرة بالمجلة وكان يساهم فيها العديد من المثقفين الشبان الذين لعبوا دورهم فى نشر الفكر والثقافة الجديدين.

كما اهتمت المجلة بالتراث، وكان أحمد رشدى صالح من أكثر المعنيين بهذه القضية وهو صاحب كتاب «الأدب الشعبى» الذى صدر فى هذه الفترة وربما كان أول كتاب فى هذا الميدان.

غير أن الاهتمام بالتراث لم يقدر له الاستمرار. وكانت «الفجر الجديد» البؤرة التى جمعت وربطت أعضاء التنظيم الذى عرف فى أول الأمر «بجماعة الفجر الجديد» ثم «طليعة العمال» ثم «حزب العمال والفلاحين».

وكان التنظيم يصدر مجلة داخلية وأخرى للعاطفين والأصدقاء التنظيم ولا أذكر للأسف أسماء هذه المجلات.

وفى حدود خبرتى أعتقد أن حزب «العمال والفلاحين» كان أكثر التنظيمات ارتباطًا بالطبقة العاملة خصوصًا فى قلعة شبرا الخيمة منذ وقت مبكر فى الأربعينيات. فعدد العمال فى التنظيم كان مرتفعًا بالمقارنة بالتنظيمات الأخرى (لاحظت ذلك بوضوح خلال معتقل ١٩٥٩-١٩٦٤).

كما خاض عمال التنظيم معارك مشرفة فى الأربعينيات فى شبرا الخيمة بحيث أصبحت قلعة شيوعية واستطاع الشيوعيون المصريون أن يهمشوا الإخوان وأن تصبح لهم السيادة فى شبرا الخيمة. أما بالنسبة لدور التنظيم وسط الفلاحين فلا أكاد ألحظ وجوداً لهذا الدور.

وكان أعضاء التنظيم يعتزون كثيراً بنقاء قياداتهم وإخلاصهم وانضباطهم التنظيمى ومن ثم كان المعتقلون والمسجونون من أعضائه قليلون وإن كان البعض من التنظيمات الأخرى يأخذون عليه المبالغة فى الانضباط الذى يؤدى إلى نوع من الإغلاق والبطء الشديد فى تجنيد الأعضاء الجدد فقد يظل المرشح فى وضع العاطف على التنظيم سنوات حتى يكتسب العضوية. وكثيراً ما كان الأعضاء يصفون قياداتهم بأنهم كالرهبان فى تفانيهم وإخلاصهم.

ويلفت النظر أن النشاط التنظيمى وسط الطبقة العاملة خصوصا فى قلعة شبرا الخيمة موثق جيداً وقام بهذا التوثيق بعض القيادات العمالية بالتنظيم وعلى رأسهم الرفيق طه سعد عثمان فهو معروف بكتاباته الدقيقة والموثقة عن تاريخ شبرا الخيمة.

التنظيم وانتخابات مجلس الأمة فى ١٩٥٧

تم ترشيح بعض أعضاء التنظيم فى هذه الانتخابات، أذكر منهم الرفيق حلمى يس والرفيق أديب ديمترى غير أن الاتحاد القومى اعترض عليهما. بل وصل الأمر إلى حد اعتراض الاتحاد القومى على أى مرشح تربطه أية علاقة بالشيوعيين فاعترض مثلا على ترشيح فاين حليم الذى كان صديقًا شخصيًا لى ولأديب ديمترى.

ملحوظة : رشح الرفيق حلمى يس والرفيق اديب ديمترى فى دائرتين من دوائر شبرا وكذلك الصديق فاين حليم. فاضطر التنظيم إلى أن يناقش المرشحين فى بعض الدوائر ويساند من يرى فيهم أنهم جديرون بهذه المساندة ويوافقون على البرنامج الذى يقدمه التنظيم. وقدر ما أتذكر كان مسئول لجنة الانتخابات بشبرا الرفيق حسن صدقى.

مؤتمر التنظيم ١٩٥٧

من قرارات المؤتمر إعلان التنظيم نفسه «حزب العمال والفلاحين» كما اتخذ قرارات فى اتجاه تأييد وحدة الشيوعيين المصريين.

حزب ٨ يناير ١٩٥٨

تم إعلان الحزب بعد مفاوضات مضنية بين تنظيمات ثلاثة:

(١) الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)

(٢) الحزب الشيوعى المصرى

وكانت قد تمت بينهما وحدة (كلية إلى حد كبير) قبيل إعلان الحزب الواحد

(٣) حزب العمال والفلاحين.

ملاحظات على هذه الوحدة

- طالت المفاوضات كثيراً واستغرق الجزء الأكبر من الجهد فى الصراع على المراكز القيادية، ويتساوى فى هذا الاتجاه التنظيمات الثلاثة.

- حاول كل تنظيم أن يزيد من ثقله قبيل الوحدة ففتح باب الانضمام لعناصر كثيرة ربما كان الكثير منها غير مؤهل ثقافيًا ونضاليًا لعضوية الحزب.

- الظروف التى أحاطت بالمفاوضات أدت إلى كشف أغلب عناصر الحزب الهامة. بحيث يمكن القول إن المباحث العامة عرفت الكثير من خبايا الشيوعيين. ففى تنظيم العمال والفلاحين كانت أغلبية الكوادر غير مكشوفة لكنها كشفت خلال المفاوضات من أجل الوحدة وبمعركة الانتخابات وأعتقد أن الموقف اليمينى كان عاملاً هامًا فى هذا الأمر.

- ظلت خلافات تنظيمية قائمة بين بعض الاتجاهات فى القيادة، ولاشك أن منبع هذه الخلافات كان سياسيًا.

الانقسام فى صيف ١٩٥٨

وبعد عدة شهور ظهر بالتدريج الانقسام التنظيمى والسياسى بين فريقين :

(١) الكثير من رفاق حدتو.

(٢) أغلبية رفاق الحزب الشيوعى المصرى والعمال والفلاحين سابقًا.

ولاشك أن منبع الخلاف كان سياسيًا، أى خلاف فى التحليل السياسى للموقف وكان يجب أن يحل الخلاف فى هذا الإطار مع احترام رأى الأقلية وأن يدار الصراع فى مناخ ديمقراطى.

وهذا لم يحدث طبعًا بل حدثت بالتأكيد تصرفات خاطئة من الطرفين وإن كان المنطق يحمل الأغلبية المسئولية الأساسية باعتبارها كانت قادرة - لو أحسنت إدارة المعركة السياسية بشكل ديمقراطى - على الوصول إلى نتائج فى صالح وحدة الحزب وانصهاره.

كما التقيت ببعض عناصر من رفاق حدتو المخلصين والحريصين على وحدة الحزب ولا أنسى من هؤلاء الرفاق الشهيد محمد عثمان الذى اغتالته مباحث طنطا بعد اعتقاله أثناء هروبه فى صيف ١٩٥٩.

النشاط الحزبى بعد الوحدة

- قدر ما أتذكر ركز الحزب على قضية الديمقراطية واحترام الرأى الاخر ووقف بصلابة ضد اتجاه الدولة للضغط على الحزب كى يحل نفسه ويلتحق كأفراد بالاتحاد القومى.

- المطالبة بتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للجماهير الشعبية.

- ثم كانت الوحدة المصرية السورية وكان موقف الحزب واضحًا فهو ليس ضد الوحدة، لكنه

يفضل ويرى أن يتكون اتحاد فيدرالى بين مصر وسوريا حتى يحتفظ كل إقليم بظروفه الخاصة وأن يزداد التقارب والاندماج تدريجياً وبشكل وأسلوب ديمقراطيين فهذا هو الطريق الآمن لبناء الوحدة.

وكان من الطبيعى أن ترفض السلطة هذا الموقف الناضج والبعيد النظر، بل زيفت موقف الحزب وادعت أنه معاد للوحدة بين مصر وسوريا.

واشتعلت المعركة وكان لا يمر يوم كما أذكر الآن إلا ويخطب عبد الناصر فى كل مكان مهاجماً الشيوعية والشيوعيين حتى بإدعاء المواقف غير الأمينة وغير الصادقة عليهم. وأثبتت الظروف بعد الانقلاب السورى وانفصال سوريا بعد النظر السياسى ونضج موقف الشيوعيين.

– واتخذت السلطة بزعامة عبد الناصر نفس الموقف غير الديمقراطى إزاء شعب العراق الذى ثار فى ١٩٥٨ وتخلص من الحكم الملكى وعرض رغبته فى الارتباط بالوحدة المصرية السورية إلا أن السلطة بزعامة عبد الناصر اشترطت حل جميع الأحزاب فى العراق وأن يقبل الشعب العراقى الانضمام إلى الوحدة بهذا الشرط ففشلت المفاوضات وبدأت التصرفات الخاطئة من سلطة «الجمهورية العربية المتحدة» بحيث تحولت العلاقة بينها وبين حكومة الثورة العراقية إلى سلسلة من العلاقات العدائية.

فتح المعتقلات والسجون

– لم يحدث أن كانت السجون والمعتقلات المصرية خالية من معتقلين ومسجونين شيوعيين فى وقت ما، فكما كان يقول الرفاق كانت هناك دائماً «خميرة» من الرفاق مسجونين ومعتقلين فى أيام حكم عبد الناصر. ومن ثم اعتقل عدد قليل من الرفاق الحركيين والنشطين جماهيريا أذكر منهم : المرحوم محمد شفيق اسماعيل والمرحوم محمد سعدة وفتحى رفاعى.

وفى يناير ١٩٥٩ وجهت ضربة كبيرة اعتقل فيها معظم أعضاء اللجنة المركزية والعديد من رفاق قيادات المناطق وشمل هذا أيضاً رفاق «حدتو» الذين انقسموا على الحزب.

– فى ٢٨ مارس وجهت ضربة أخرى للأغلبية الكبرى من أعضاء الحزب وكوادره وكنت من بين من صدرت قرارات باعتقالهم ولكنى تمكنت من الهرب من المنزل والمباحث على باب

البيت وتمكنت من الهرب مدة ستة شهور تقريبا واعتقلت في ١٩٥٩/٩/٢١. وكان الإفراج في ١٩٦٤/٤/١.

نشاطي في صفوف المعلمين وبين الطلاب

تعرفت على الماركسية منذ وقت مبكر ولكن فترة ارتباطي بتنظيماتها تعتبر محدودة نسبياً. وأطول فترة قضيتها في تنظيم العمال والفلاحين لا تزيد على ثلاث سنوات.

إلا أن نشاطي بدأ مبكرا في صفوف المعلمين والطلاب من خلال عملي المهني كمعلم فكان نشاطا طبيعيا لا شذوذ فيه، كما كان مثمراً خصوصاً بين الطلاب.

منذ أن كنت طالبا بمعهد التربية وأنا مهتم بمشاكل وقضايا المعلمين. بل كنت أنا والصديق فائق حليم (زميلي بالمعهد كما كنا زملاء بكلية الآداب - وهو الآن من رجال الأعمال المعروفين) نتردد على لجان تصحيح شهادة الثقافة والتوجيهية ونناقش بعض المعلمين الذين نعرفهم في قضاياهم ومشاكلهم.

إضراب معلمي التعليم الحر: ١٩٤٨ أو ١٩٤٩

اختار بعض خريجي الجامعة - خصوصاً كلية الآداب - أن يعملوا بمدارس التعليم الخاص القاهرة، حيث أن تعيينهم بالمدارس الأميرية كان يعني بالضرورة عملهم بالأقاليم فيستحيل عليهم بذلك متابعة دراساتهم العليا. ومن ثم فقد عمل عدد كبير من خريجي الاداب والعلوم خصوصا بالمدارس الحرة.

وقد خاض معلمو التعليم الحر (عام ١٩٤٨ قدر ما أتذكر) إضرابا عاما وانتزعوا القيادة من القيادة التقليدية لمعلمي التعليم الحر التي كانت تتمثل في محمود عثمان. وكان يغلب على قيادة هذا الإضراب الاتجاه الماركسي والشيوعي. ومن هؤلاء القيادات الذين كنت أعرفهم عبد العزيز فهمي الذي عمل بعد ذلك بالإذاعة ثم بالصحافة وقد انتقل إلى رحمة الله - ميخائيل رومان وهو خريج كلية علوم والكاتب المسرحي فيما بعد كما عمل بوزارة التعليم العالي - وكذلك منير بسطا الذي عمل في مجال الاثار بعد ذلك يرحمه الله. وهؤلاء جميعاً ماركسيون على الاقل وربما كان عبد العزيز فهمي وميخائيل رومان مرتبطين بتنظيم طليعة العمال وهذا احتمال كبير.

لزم التنويه بهذا الإضراب الذي ربما لا يعرف عنه أغلبنا شيئاً.

دورى بين الطلاب

هذا دور تلقائى بحكم المهنة خاصة أننى كنت أقوم بتدريس العلوم الاجتماعية (التاريخ والجغرافيا) فكان تدريس تاريخ مصر الحديث فى الثقافة وتدريس تاريخ القرن التاسع عشر فى التوجيهية مجالا خصبًا لتحليل وتفسير الأحداث التاريخية بمنهج ماركسى وكنت ألحظ استجابه الطلاب لهذا المنهج أو على الأقل بعضهم.

كما كانت فترة أواخر الأربعينيات ومطلع الخمسينيات عامرة بالأحداث الوطنية الحية والهامة. فكان الطلبة يثيرون الكثير من الأسئلة المرتبطة بالأحداث الجارية فكنت أناقشهم وأجيبهم بحيث تطورت المسألة بعد ذلك إلى أن بعض الفصول (خصوصا الثقافة - تاريخ مصر الحديث) كانت تصر على تخصيص ربع ساعة من كل حصة تاريخ لمناقشة الوضع السياسي الحاضر. وكانت استجابة الطلاب لدروس التاريخ ولهذه الحوارات قوية جداً وكان يخيم عليهم الصمت والإنصات بطريقة مثيرة للانتباه. ممايدل على أن الطالب إذا وجد التفسير العلمى المقنع فإنه يستجيب له بكل اهتمام وتقدير وتحضر. وقد حدثت مصادفة عارضة ولكنها ذات مغزى. حيث استوقفنى شخص لا أتذكره وحيانى باسمى وذكرنى باسمه فقد كان طالبا ودرست له فى الثقافة وفى الشهادة التوجيهية أدبى (كان هذا اللقاء عام ١٩٩٠) وكان تعبيره الذى خصنى به : نحن لا ننساك يا أستاذ محروس فقد علمتنا الوطنية.

وكان هذا الإنسان فى عام ١٩٩٠ لواءً بالقوات المسلحة .

المعلمون قبل عام ١٩٥١

كانت السلطة تعى تمامًا خطورة تجمع المعلمين فى نقابة واحدة ولذلك عملت باستمرار على تعميق التنافس الطائفى بين طوائف المعلمين الذين تفرقوا فى تجمعات متباينة ولذلك أعلن أحمد مرسى بدر الذى تولى وزارة المعارف فى حكومة ابراهيم عبد الهادى (عام ١٩٤٩) أنه لا يمكن معاونة المعلمين على تكوين نقابتهم.

ومن أمثلة تشكيلات المعلمين الهامة

- جمعية المعلمين (المعلمين العليا)
- اتحاد المعلمين خريجى الأزهر

- اتحاد المعلمين خريجي دار العلوم (محمد جبر)
- رابطة المعلمين الجامعيين (أحمد عبد الحميد عمارة).
- رابطة خريجي معاهد التربية.
- اتحاد التعليم الحر.
- رابطة خريجي معاهد المعلمين الخاصة (نصر عبد الغفور)
- رابطة مدرسي العلوم

وغير هذه التشكيلات الكثيرة.

ومنذ الأربعينيات تم التوسع في التعليم وزاد عدد المعلمين من خريجي الجامعة مما أضفى على المعلمين وضعا اجتماعيا مقبولا كباقي المهن الأخرى وغير من وضعية المعلم.

وكان المعلمون من خريجي الجامعة (شباب المعلمين) يطمحون إلى الارتفاع بمستوى مهنتهم المادي والأدبي ومن ثم كانت لهم تطلعاتهم المشروعة.

وكانت هذه العوامل تتفاعل بين صفوف المعلمين حتى عبرت عن نفسها في إضراب ١٩٥١ أثناء تصحيح الشهادات الابتدائية والثقافة والترجيهية.

لقاءات من أجل العمل

يقول الزميل الحسيني عطا

«كنت مشاركًا في تصحيح العلوم بلجنة التوجيهية فوقع في يدي منشور صغير يدعو إلى لقاء في نادي المعلمين بالجزيرة بتوقيع نصر عبد الغفور ومحمد نصر فذهبت حسب الموعد المحدد وتناقشنا في مشاكل المعلمين».

وللعلم فالحسيني خريج كلية علوم ومعهد تربية دفعة ١٩٥٠ ونصر عبد الغفور أول دفعة من خريجي دبلوم المعلمين الخاص (ربما عام ١٩٤٨) ولا يختلف عن ذلك محمد نصر فهو من خريجي دار العلوم ومن شباب المعلمين كما كان يطلق علينا من أساتذتنا الكبار بتنظيمات المعلمين المختلفة.

ودعا الحسيني زملاء آخرين لمناقشة مشاكل المعلمين والشعب الدائرة وانضم لها سعد زهران وأديب ديمتري ورشدي عبد الباري ومحروس سليمان وآخرون ... وقد تبلورت مطالب المعلمين

من خلال الحوار على :

(١) المطالبة بتكوين نقابة واحدة لجميع طوائف المعلمين فالنقابه هى الطريق الصحيح لتحقيق أهداف المعلمين وهى وسيلتهم النضالية التى لا غنى عنها.

(٢) معاش للمعلمين، وربما كان المعلمون أول طائفة تطالب بالمعاش بعد إلغاء نظام المعاشات خلال أزمة الثلاثينيات الاقتصادية على يد الحكومات الرجعية.

(٣) تحقيق المساواة المادية بين المعلمين وزملائهم فى المهن الأخرى.

واتفق على تسمية هذه القيادة التى تعمل على تجميع المعلمين «قيادة جبهة المعلمين».

ودعا المعلمون إلى مؤتمر عام خلال التصحيح وكان وزير المعارف فى ذلك الوقت الدكتور طه حسين الذى سافر إلي الخارج للمشاركة فى أحد المؤتمرات وأناب عنه فى الوزارة سليمان باشا غنام.

وتم انعقاد المؤتمر العام بنادى الجزيرة حيث عرضت على المجتمعين المطالب الأساسية التى تبناها المؤتمر كما تبنى إضراب المعلمين والذى صدر شعاره من بين صفوف المؤتمرين. وشمل الإضراب جميع لجان التصحيح : الابتدائية والثقافة والتوجيهية ودعيت لجان التصحيح إلى اختيار ممثليها فى لجنة قيادة الإضراب.

وقد عقدت عدة مؤتمرات فى خيام تقاوم فى ساحة نادى الجزيرة الذى كان لايزال أرض فضاء باستثناء مبنى الإدارة. وقدتحمل جمهور المعلمين جمع التبرعات لسداد تكلفة هذه الخيام والكراسى.

وتنطوى خطورة هذا الإضراب وعقد هذه المؤتمرات على تهميش القيادات التقلدية لقديمة ولو لفترة ما (المرحوم أحمد عبد الحميد عنارة - المدرسين الجامعيين ومحمد جبر - مدرسى لغة عربية دار علوم وغيرهم...)

وقد برز فى هذه المؤتمرات عبد الصبور مرزوق مدرس اللغة المشهور بتدفق حديثه ومقدرته الخطابية وكان زلق اللسان فأطلق عليه المعلمون اسم طه الصغير.

- وبرزت الكثير من العناصر الثورية التى لعبت دورها خلال هذه المعركة ولا أنسى معلمة شابة بالابتدائى برزت بحماسها الشديدة ونضجها ووعيها : سميحة التى أصبحت فيما بعد زوجة الرفيق سعد زهران.

وقد تمثلت قيادة المعركة التى خاضتها جبهة المعلمين فى

١ - المرحوم / نصر عبد الغفور (معلمين خاص دفعة ١٩٤٨)

٢ - محمد نصر (مدرس لغة عربية وخريج دار علوم)

٣ - على شعلان (مدرس لغة عربية وخريج دار علوم)

٤ - الحسينى عطا (مدرس علوم وخريج معهد تربية دفعة ١٩٥٠)

٥ - رشدى عبد البارى (مدرس علوم)

٦ - سعد زهران (مدرس علوم ١٩٤٦)

٧ - أديب ديمترى (مدرس فلسفة - معهد تربية ١٩٤٥)

٨ - أحمد تعلب (مدرس علوم - كان معيداً بكلية العلوم وقد تم استبعاده مع العديد من معيدى كلية العلوم فى عهد وزارة صدقى ١٩٤٦ فنقلوا إلى وزارة المعارف).

٩ - سيف (مدرس لغة عربية - إخوان مسلمين)

١٠- سامى الجبار (مدرس رياضة - خريج المعلمين الحديثة ١٩٥٠)

١١ - المرحوم/ محمد سليمان (مدرس رياضة دفعة ١٩٥٠ وميول إخوانية)

١٢- ضياء (مدرس علوم - معلمين عليا حديثة ١٩٥٠)

١٣ - محروس سليمان (مدرس علوم اجتماعية - معهد تربية ١٩٤٩)

ومن بين هذه القيادة ستة ماركسيين وبعضهم منظم.

لاحظت خلال الاجتماعات الصراعات بين بعض الزملاء، واتضح فيما بعد أن ذلك كان يرجع إلى تعدد التنظيمات بل اتضح أنه كنت تعقد اجتماعات فى الخارج لمحاولة تصفية هذه الخلافات. وطبعًا لم أشارك فيها بل عرفت حقيقتها بعد سنوات طويلة ولاشك أن تلك الخلافات قد انعكست على العمل واستطاع بعض الأعضاء أن يستفيدوا منها واستغلالها لمصلحتهم الخاصة. وكان ذلك موقف المرحوم/ نصر عبد الغفور ممثل خريجى المعلمين الخاص وهو شخصية قيادية متكلم وخطيب وذكى لكنه فى هذه المعركة كان ضيق الأفق محصوراً إلى حد كبير فى حدود مصلحة طائفة كما يراها، غير مدرك أن وحدة المعلمين هى الطريق إلى تحقيق الأهداف المشتركة فقيل فى تلك الفترة أنه كان على اتصال (سرا طبعًا) مع سعد اللبان

فى حين أن الرفيق سعد زهران كان يحتضن نصر عبد الغفور رغم هذا الموقف.

وعندما ظهرت عوامل الضعف فى مواقف بعض قوى الجبهة تقرر فك الإضراب.

ملحوظة : الماركسيون فى قيادة الجبهة

١ - الحسينى عطا (ماركسى)

٢ - رشدى عبد البارى

٣ - سعد زهران (منظم)

٤ - أديب ديمترى (منظم)

٥ - أحمد تعلب

٦ - محروس سليمان (ماركسى)

ملحوظة :

لم تكن قيادة الجبهة على بينة بالخطوات التى قد تتخذ أو اتخذت فى طريق تأسيس النقابة، فخبرة القيادة فى هذه المسائل محدودة خصوصا وأن الحكومة كانت حريصة أن يصدر القانون بعيداً عن المعلمين وقيادتهم التى تولت ادارة معركة الاضراب.

الاتصال بين المعلمين والأطباء

أضرب الأطباء فى نفس وقت إضراب المعلمين تقريبًا وتحققت درجة من التنسيق بين الطرفين وتولى الاتصال بالأطباء الزميل الحسينى عطا وكان يمثل الأطباء الدكتور فؤاد محيى الدين (يرحمه الله).

بعد معركة الإضراب : مجلة «اتحاد المعلمين»

فكر بعض قادة الجبهة فى تأسيس مجلة تعبر عن وجهة نظر جبهة المعلمين. وكان هذا المشروع موضع اهتمام أديب ديمترى والحسينى عطا ومحروس سليمان وهم الذين كانوا على صلة دائمة وثابتة بالمعلمين وقضاياهم.

وتم الاتفاق على إصدار مجلة «اتحاد المعلمين» والعمل على تكوين شبكة اتصال لتوزيع المجلة على المعلمين مستفيدين من العناصر النشطة والمتحمسة التى ظهرت خلال المعركة.

وتم فعلاً صدور نشرة غير دورية «مجلة المعلمين» تعالج مشاكلهم وتتابع أخبارهم وأخبار قضاياهم. وقد صدرت ثلاثة أعداد كان آخرها فى يناير ١٩٥٢ ثم كان حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وتوقف صدور هذه النشرة.

وشارك فى إصدار هذه النشرة بل ولعب دوراً هاماً فيها أحمد رشدى صالح (المرحوم) وحرر فيها بعض المقالات أذكر منها «المعلم بعقرب صنوع».

النقابة من ١٩٥٥ إلى ١٩٦٥

كمال الدين حسين :

صدر قانون النقابة بعيداً عن المعلمين تماما فقد فاجأهم تنفيذه وانتخاب الوزير كمال الدين حسين نقيباً . فلم يعرض القانون لأى نقاش عام أو على جماعات المعلمين وجماهيرهم، ومن ثم كان قانوناً غير ديمقراطى فالدولة قبل ٢٣يوليو ١٩٥٢ أو بعد ثورة يوليو كانت تخشى نقابة المعلمين التى تضم آلاف المعلمين ذوى التأثير الكبير على جماهير الشعب المصرى بحكم أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية.

ونظرة سريعة إلى تشكيل مجلس إدارة النقابة العامة للمعلمين خلال عشر سنوات منذ تأسيسها تكشف عن هيمنة الدولة وسيطرتها على هذه النقابة الخطيرة.

السمات العامة لمجلس إدارة النقابة

- النقيب هو الوزير طوال عشر سنوات.

- بقية أعضاء المجلس من طاقم وكلاء الوزارة أو مديرى العموم أو كبار الموظفين بديوان الوزارة والمناطق التعليمية. أى أن المجلس بعيد تمامًا عن تمثيل جماهير المعلمين العاملين بالمدارس.

وخلا المجلس طوال السنوات العشر من أى عنصر نسائى من المدرسات العاملات بديوان الوزارة أو دواوين المناطق.

- أغلب الأعضاء من كبار السن.

ويكشف هذا الوضع عن الأوضاع غير الديمقراطية التى تسود النقابة. هذا بالإضافة إلى أن الجمعية العمومية سلطاتها محدودة جداً بمقتضى قانون النقابة. وظهر من ثم من يمكن أن تطلق

عليهم «محترفى العمل النقابى» وبعضهم يمارس عضوية مجلس الإدارة منذ تأسيس النقابة وربما حتى اليوم ولعل من بين هؤلاء «ابو صالح الألفى» أما الأسماء التى كانت محترفة لهذه العضوية فمنهم أحمد عبد الحميد عنارة ومحمد الجوهرى عامروعوض الله عثمان وهؤلاء وزملاؤهم يمثلون حاشية وبطانة النقيب الوزير.

وأذكر أن هؤلاء المحترفين ذهبوا فى شبه موكب أو زفة يعرضون منصب نقيب المعلمين على كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم فجمع بين الموقعين حتى خرج من الوزارة ثم خرج بالتالى من النقابة عام ١٩٦٥.

وانعكس هذا الوضع على أحوال المعلمين فمجلة «الرائد» لا تعبر عنهم ولا عن مصالحهم ومشاكلهم. وميزانيتها كانت ضخمة بالنسبة لذلك الوقت فى حين أنها لم تكن تصل إلا لعدد قليل من العلمين، والمعلمون أنفسهم زاهدون فى قراءتها.

ولم يكن يوجد نظام واضح محدد لمعاش المعلمين وظل ذلك فترة طويلة ربما حتى عام ١٩٨٠ عند بدأ المعاش بمبلغ عشرة جنيهات.

موقف المعلمين

بلور المعلمون موقفهم فى الهجوم على النقيب الوزير ورفضوا هذا الوضع وتبنت «جبهة المعلمين» فى بياناتها وفى أنشطتها شعار «النقيب من حملة الطباشير» كما طالبوا بتعديل النظام الانتخابى بحيث ينتخب مجلس الإدارة والنقيب على المستوى القومى. كما كان من مطالب المعلمين التوسع فى سلطة الجمعية العمومية.

الجمعية العمومية فى فبراير ١٩٥٩

- أخذ أعضاء «جبهة المعلمين» يعدون لانتخابات الجمعية (أديب ديمترى - الحسينى عطا - محروس سليمان) واقترحنا على الحزب أن يولى هذه المعركة عناية خاصة لأهميتها وأن يعاون الجبهة كى تعد لهذه المعركة على النطاق القومى.

- تلبية لهذا الاقتراح شكل الحزب «مكتب المعلمين المركزى» ومن بين أعضائه الذين أذكرهم : أديب ديمترى ، وداد مترى، فاطمة زكى، الحسينى عطا، شوقى جلال، محروس سليمان.

- تم توجيه المعلمين في التنظيم الحزبي والعاطفين عليه إلى الاهتمام بمعركة انتخابات الجمعية العمومية التي ستنعقد في فبراير ١٩٥٩.

- أحسسنا من خلال الاتصالات أن المعلمين استجابوا لهذه النشاط وبدأوا يعقدون الاجتماعات في الاقاليم لاختيار مرشحيهم في الجمعية العمومية.

- سمعنا أن أجهزة الوزارة والنقابة تضغط في بعض المناطق لإجبار المرشحين على التنازل حتى ينجح من تريدهم بالتزكية. وكان هذا يتم في الدوائر التي تريد فيها استبعاد أشخاص بالذات وهم المعروفون كماركسيين أو شيوعيين.

- واجهت هذه المعركة في شمال القاهرة حيث كنت أعمل مدرساً بروض الفرج الثانوية بنين وكنت معروفاً بنشاطي النقابي داخل المدرسة وفي المدارس الأخرى القريبة منها.

- توجهت إلى معظم مدارس شبرا بنين وبنات أدعو الزملاء والزميلات إلى عقد الاجتماعات ومناقشة مشاكل المعلمين واختيار من يرونه صالحا لتمثيلهم في الجمعية العمومية.

- تم ذلك في مدرستي «روض الفرج الثانوية بنين» وشارك في اجتماعاتها ناظرها المرحوم الأستاذ أحمد قاسم وكان شجاعا وناضجاً سياسيا فاختار جبهة المعلمين كي يؤيدها وعندما اختارني الزملاء مرشحاً لهم في الجمعية العمومية زكى هذا الاختيار وأيده.

- كان هذا الاستاذ العظيم «أحمد قاسم» كثير الاهتمام بمكتبة المدرسة وكلفني بالاشراف عليها ووجهني إلى الاهتمام بشراء مجلات الصين الشعبية وغيرها من المجلات المفيدة ولكي يطمئنني ذكر لي أنه زميل شهدي عطية الشافعي وزميله في بعثة اكستر بانجلترا فكان ذلك التصريح دافعا لي للنشاط والعمل وكلفت بتوجيه كلمة الصباح اليومية ثلاث مرات في الأسبوع وكان ذلك خلال عام ١٩٥٨ ويناير من عام ١٩٥٩.

- تعرض ناظر المدرسة رحمه الله «الأستاذ أحمد قاسم» للضغط من مدير عام المنطقة «على مختار خيري» (على ما أتذكر) فرفض الضغط عليّ وإجباري على التنازل فأخذت أجهزة المنطقة والنقابة الفرعية تروج أن ناظر روض الفرج الثانوية شيوعي يحمي محروس سليمان في نشاطه النقابي ومحروس معروف بأنه شيوعي.

أرهق هذا الموقف ناظر المدرسة خصوصًا بعد ضربة يناير وفتح المعتقلات ففاتحني بأن

الضغط شديد ونصحنى بالتفكير جداً فى موقفى لأن المعتقلات قد فتحت وإصرارى على عدم التنازل يعنى الاعتقال.

شكرته وبلغته إصرارى على الاستمرار فى المعركة وأننى لا أملك التنازل بعد أن رشحنى الزملاء لعضوية الجمعية العمومية.

وتوفى المرحوم والدى فى ١٤ يناير ١٩٥٩ وفوجئت فى صوان العزاء بشخص يحدثنى بعد انصراف المعزين ووجود الأسرة والأقارب فقط بالصوان وعرفنى أنه مبعوث للعزاء من طرف السيد مدير عام المنطقة التعليمية ثم أخذ ينصحنى بالتخلى عن الترشيح بعد الظروف الجديدة التى ألمت بى وتحملى المسئولية العائلية محاولا أن يكتسب إلى جانبه بعض كبار العائلة. على أى حال رفضت هذا الموقف غير الإنسانى بشدة وأصررت على أن أخوض المعركة.

- أجبروا آخرين على التنازل وبالتالى اكتسبت عضوية الجمعية العمومية.

- اجتمعت الجمعية العمومية فى فبراير ١٩٥٩ وتسرب إليها أيضاً الحسينى عطا وفاطمة زكى ووداد مترى وهؤلاء من أعرفهم من القاهرة.

- كنت أحمل منشورات بتوقيع جبهة المعلمين وتتضمن المطلب الأساسى بتعديل قانون النقابة بحيث لا يجمع الوزير بين الوزارة والنقابة. بل إننا كنا نطالب بأن يكون النقيب من «حملة الشباشب» وبإجراء تعديلات تشيع المناخ الديمقراطى بالنقابة.

- أتى موكب الوزير ومعه بطانته أحمد عبد الحميد عنارة (رئيس رابطة المدرسين الجامعيين) والذى يعرفنى جيدا فأنا عضو بهذه الرابطة ولقاءاتنا عديدة. فسلمت الوزير نسخة من المنشور فطواه ووضعه فى جيبه.

وما إن بدأ الاجتماع وتولى الوزير النقيب الكلام حتى هاجم الشيوعية والشيوعيين هجوماً عنيفًا وقال إنه يعلم أن البعض منهم قد تسرب إلى الجمعية العمومية ونحن لهم بالمرصاد ... وما أتذكره أن الهجوم كان شنيعًا وهذا وصف لا يعبر عن مدى العنف والقسوة التى انطوت عليها كلمته التى اقتصرت فقط على هذه النقطة.

وتبعه المرحوم سعيد العريان فكان أشد عنفًا وقسوة والهجوم طبعًا على من تسرب ونحن نعرفهم بالاسم كما كانوا يقولون.

وبالتالى أصبح الموقف واضحًا ولابد وأن توجه ضربات تشمل عناصر المعلمين الفاعلة

والتشطة.

وهذا ما حدث فى ٢٨ مارس ١٩٥٩. ولكنى استطعت الهروب ثم اعتقلت فى ٣١ سبتمبر ١٩٥٩ وتم الإفراج فى ١/٥/١٩٦٤.

موقف طليعة العمال من التنظيمات الأخرى والموقف من قضية تكوين الحزب الواحد

عاصرت وانضممت إلى «طليعة العمال» فى الفترة الهامة التى سبقت تنظيم الحزب الواحد. ويمكن أن أوضح موقف هذا التنظيم فيما يلى :

- ينظر أعضاء التنظيم إلى تنظيمهم باعتباره تنظيمًا جديديا منضبطًا وأعضاؤه مخلصون وأطهر، وكما كان يصف بعض الرفاق أنفسهم باعتبارهم ملائكة. ولعل هذا يرجع إلى بداية التنظيم والأب الروحى صاحب الفضل فى تكوينه (دى كومب). ومما لاحظته أن العاطف على التنظيم لا ينضم إلى التنظيم الا بعد سنوات يوضع خلالها تحت الدراسة والملاحظة.

وكان أعضاء التنظيم يعتقدون خلال فترة طويلة من نضالهم أنهم سوف يكونون الأساس فى تأسيس الحزب الواحد فى مصر، وهذا ما دفع المنظمات الأخرى إلى أن ينسب إلى «طليعة العمال» الموقف السلبى من الوحدة وإيمانها بالنمو الذاتى. ولا شك أن هذا النقد فيه الكثير من الصحة.

- إلى جانب ذلك كان هناك العديد من الرفاق الذين يناضلون من أجل الوحدة ويطالبون بالانفتاح على التنظيمات الأخرى والتنسيق معها والتعرف على رفاقهم تمهيداً لتحقيق الوحدة وكان قسم الطلبة بالتنظيم أكثر الرفاق انفتاحًا ونضالاً من أجل الوحدة والتنسيق مع رفاقهم من التنظيمات الأخرى بالجامعة وكان على رأس هذا الاتجاه المرحوم المناضل رشدى خليل الذى استشهد فى أبى زعبل.

وعندما دخلت التنظيمات فى معركة الوحدة بشكل جدى خلال عام ١٩٥٧ كان هناك بعض المعارضين الذين يعتبرون تنظيمهم حديديا ومنضبطًا والعناصر المكشوفة للأجهزة قليلة ولم تتعرض فى تاريخها إلى ضربات بوليسية كبيرة. بل كانت دائما أقل التنظيمات عدداً فى المعتقلين.

غير أن الاتجاه التوحيدي هو الذي تغلب في لنهاية وفرض نفسه في مؤتمر التنظيم ١٩٥٧ والذي أعلن فيه التنظيم نفسه «حزب العمال والفلاحين»

موقف التنظيم من وحدة «٨ يناير» والانقسامات التي أعقبتها

دخل التنظيم وحدة ٨ يناير ولاحظت الآتي على مفاوضات الوحدة.

- كان التنافس قوياً بين مختلف التنظيمات على كسب المراكز القيادية مما دفعها إلى التوسع في التجنيد أو ضم عناصر قديمة سابقة كانت تخلت عن النضال كي تزيد من وزنها خلال المفاوضات. وهذه الأخطاء وقعت فيها جميع التنظيمات بما فيها «طليعة لعمال».

- وحدث خلال المفاوضات الكثير من المواقف غير المبدئية.

- حدث الانقسام بعد أشهر قليلة من الوحدة ولعل هذا يوضح أن اتفاقيات الوحدة لم تنضج تماما فلم تعالج المشاكل القائمة بين التنظيمات بشكل سليم. وأعتقد أن هذا الانقسام التنظيمي يرجع إلى خلاف سياسي في الأساس لم يعامل بطريقة ديمقراطية. وكان يجب أن ينظم الصراع السياسي بشكل ديمقراطي سليم. ولو اتبع هذا الأسلوب لتوصلنا إلى نتائج أفضل.

- كما أعلم أن الكثير من التصرفات السيئة غير التنظيمية اتخذتها جميع الأطراف غير أن الجناح الأقوى (كان يضم رفاق لعمال والفلاحين والحزب الشيوعي المصري سابقاً) يتحمل مسئولية أكبر.

- موقف التنظم من اليهود والأجانب في الحركة الشيوعية ودورهم في التنظيم :

- كان أمرا مقبولا أن ينقل بعض الأجانب النظرية الماركسية إلى الشعب المصري وكان من المفروض أن ينتهي دور الأجانب عند هذا الحد. ومن هنا كنت أكن الاحترام لشخصية «دي كومب» الأب الروحي لجماعة «الفجر الجديد» لما عملته عنه من رفضه أن يشارك في التنظيم فهذه مسئولية المصريين.

أما الأجانب الذين ارتبطوا بالتنظيمات الأخرى فأعتقد أن تراجعهم زاد مواقف الشيوعيين المصريين تعقيداً ... أما الموقف من اليهود المصريين فهم أبناء الشعب المصري ومن حقهم بل ومن واجبهم أن يناضلوا بين صفوف الرفاق من أجل بناء مجتمع أفضل متحرر من الاستعمار

والاستقلال ومن التخلف.

احتل اليهود فى تنظيم «طليعة العمال» مراكز قيادية وهم ثلاثة رفاق أحمد صادق سعد* ويوسف درويش وريمون دويك. ويرجع شغلهم لهذه المراكز إلي أنهم هم الأساس فى تأسيس التنظيم. وإذا كان هناك بعض المآخذ علي بعض التصرفات (لم أكن معاصراً للفترة الأولى من التنظيم) فيرجع ذلك إلى نقص الممارسة الديمقراطية خلال العمل السرى. فمثلاً كان أحمد رشدى صالح أول سكرتير للتنظيم ثم اختفى وأزيح من التنظيم وترك الشيوعية ولأمر غير واضح .. هل فصل من التنظيم كما يقول البعض؟ أم أنه اعتزل التنظيم؟ وإذا كان قد فصل فلماذا؟ ويعزو البعض فصل أحمد رشدى إلى الاختلاف سياسيا مع بعض رفاق القيادة وخصوصا الرفاق اليهود وبصفة خاصة حول موضوع الانفتاح على التنظيمات الأخرى فى سبيل الوحدة.

موقف التنظيم من الاحتلال الانجليزى

التنظيم معاد للاحتلال الانجليزى وكان يعمل دائما على تعميق الوعى من أجل تحرير مصر اقتصاديا وسياسيًا وعسكريًا وثقافيًا.

ويتضح هذا فى المنشورات التى توزع على الجماهير وفى التحليلات فى المجلة الداخلية والخارجية سواء قبل ثورة يوليو أو بعدها. وكان التنظيم يشارك فى المظاهرات ضد الاستعمار خصوصا المظاهرات التى تعقب صلاة الجمعة بالأزهر.

وأيد التنظيم معركة الكفاح المسلح وكان يدعو إلى المزيد من الديمقراطية خلال حكومة الوفد ١٩٥١ وكنت أعجب وهل هناك مزيد من الديمقراطية أكثر من حمل السلاح ضد المحتلين فى منطقة القنال. وللعلم لم يشارك التنظيم فى معركة الكفاح المسلح فى منطقة القناة.

الموقف من اتفاقية الجلاء ١٩٥٤

هاجم التنظيم هذه الاتفاقية واعتبرها تعبيراً عن التعاون مع الاستعمار وكنت مؤيداً لهذا الموقف لأن الاتفاقية بها بعض النصوص التى تربط مصر بالاستعمار فى حالة تعرض تركيا

* لابد من معلومة هنا عن اسمه الأصلى اليهودى ثم تحوله إلى الاسلام وهل انضم إلى التنظيم قبل إسلامه أم بعد إسلامه؟!

لخطر عدوان مثلاً.. ووجه التنظيم النقد المرير لهذه الاتفاقة ووزع المنشورات بهذا المضمون.

موقف التنظيم من أحداث ١٩٤٦

شارك فيها فى الجامعة وفى منطقة شبرا الخيمة الصاعبة وكان بعض الرفاق العمال فى تشكيل اللجنة الوطنية ممثلين لشبرا الخيمة.

موقف التنظيم من القضية الفلسطينية

أعلم من الرفاق القدامى فى التنظيم أنه اعترض على تقسيم فلسطين ١٩٤٧ ثم عاد وأيد التقسيم مسترشداً بموقف الاتحاد السوفيتى بعد أن أعاد دراسة القضية. وكنت مؤيدا لقرار التقسيم على أمل إعادة توحيد فلسطين فى ظل نظام ديمقراطى علمانى.

الموقف من الكفاح المسلح

- أيد التنظيم الكفاح المسلح فى كتاباته ومنشوراته.
- طالب حكومة الوفد بالتوسع فى الديمقراطية.
- وهل هناك ديمقراطية أكثر من حرية حمل السلاح ضد الاستعمار؟
- لم يشارك التنظيم فى معركة الكفاح المسلح.
- ولم أشارك فيها بحمل السلاح ولكن أيدتها ودافعت عنها.

موقف التنظيم من الأحزاب قبل ١٩٥٢

كان متعاطفًا مع الوفد خصوصا جناح اليسار فيه وعلى قمته الطليعة الوفدية. بل كان بعض أعضاء التنظيم فى الطليعة الوفدية لأنهم كانوا تاريخيا أعضاء فى الوفد (سيد البكار - حسن صدقى - عادل الضبع).

وكان التنظيم معاديًا لأحزاب الأقلية والقيادات الرجعية من أمثال على ماهر واسماعيل صدقى والمتعاونين معهم من «المستقلين».

أما عنى فكما أوضحت سابقًا كنت أنتمى فكريًا إلى الطليعة الوفدية كما ساهم الدكتور مندور فى تشكيل وعيى السياسى التحرر وطبعًا كنت معاديًا لأحزاب الأقلية والباشوات الرأسماليين.

موقف التنظيم من سلطة ثورة يوليو ومن تنظيماتها

اعتبر التنظيم ثورة يوليو انقلابا عسكريا خصوصا بعد أحداث كفر الدوار. واتخذ موقف لرفض من هيئة التحرير والاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى باعتبارها التنظيمات الوحيدة بالبلاد وكان لتنظيم يتمسك بحق الشعب فى تكوين أحزابه الديمقراطية الوطنية. وكان يتخذ موقف التعاون فى أوقات التعرض للخطر كما حدث فى العدوان الثلاثى ١٩٥٦ وعدوان ١٩٦٧ (رفض هذه التنظيمات من منطلق أنها تنظيمات شمولية لاتشاركها تنظيمات أو أحزاب أخرى).

الموقف من أحداث كفر الدوار

الاعتراض عليها وفضحها باعتبار هذه لأحداث عدوانا على عمال كفر الدوار الذين أضربوا لتحقيق بعض مطالبهم ثم إعدام الخميس والبقرى.

وقد اعترض على طريقة تعامل الحكومة مع العمال المضربين من أجل مطالب عادلة.

الموقف من هبة مارس ١٩٥٤

أيد التنظيم هبة مارس ١٩٥٤ وكذلك فعلت وقد شاهدت بعينى كيف عمل الطحاوى وطعيمة على إجبار عمال الترام على الإضراب بالترهيب والترغيب فكانت حركة عمال النقل مفتعلة لتأييد الحكومة واستخدام طعيمة والطحاوى أحط الأساليب (توزيع الأموال)

موقف التنظيم من ضرب السلطة للإخوان ١٩٥٤

موقف سلبى «الصمت» وقد اتخذت نفس الموقف

الموقف من باندونج وصفقه الاسلحة

كان تنظيم «طليعة العمال» من أول لتنظيمات التى أخذت تتحول تدريجيًا نحو تأييد الثورة بعد باندونج وقد ظهر ذلك فى مقالات عبد الرحمن الشرقاوى الذى كان على اتصال بالتنظيم بشكل ما.

وقد اتخذت نفس الموقف تدريجيًا فى تأييد مواقف السلطة ابتدا، من مؤتمر باندونج وصفقة السلاح.

الموقف من التأميم والعدوان الثلاثى

التأييد الكامل للتأميم والتحذير من مؤامرات الأعداء الاستعماريين والوقوف ضد العدوان الثلاثى، وقد عبأ التنظيم كل قواته متعاوناً مع الاتحاد القومى فى التعبئة الوطنية وتدريب الشباب على حمل السلاح.

شاركت فى التعبئة الجماهيرية فى الحى الذى تقع به المدرسة كما تدربت على حمل السلاح.

الموقف من انتخابات مجلس الأمة ١٩٥٧

تقدم التنظيم ببعض المرشحين أذكر منهم حلمى يس وأديب ديمترى اللذين اعترض عليهما الاتحاد القومى كما اعترض على فايق حليم وكان صديقاً لى ولأديب ديمترى.

واضطررنا إلى مناقشة بعض المرشحين.

واخترنا أفضلهم والذى وافق على البرنامج الذى طرحناه عليه فأيده التنظيم.

الموقف من مشروعات الأحلاف العسكرية

رفض جميع هذه الأحلاف وتوعية الشعب بأخطارها بالمنشورات وفى المساحات المتاحة من الصحافة وقد شاركت فى تعبئة الطلاب ضد هذه الأحلاف من خلال مناهج التاريخ ومن خلال كلمة طابور الصباح وبعض الندوات حول هذه القضايا التى كنت أدعو إليها بعض الصحفيين والشخصيات العامة. كما قمت بجمع التوقيعات ضد هذه المشروعات خصوصاً مشروع ايزنهاور يناير ١٩٥٧ وكان رجال المباحث يعترضون على جمع التوقيعات. فى حين يقوم رجالهم بذلك العمل نفسه. وكان ردهم المثير : نحن نجمع التوقيعات ضد مشروع ايزنهاور أما أنتم فلا نسمح لكم بهذا العمل الجماهيرى.

ملحوظة :

كان من الشائع بين طلبة الجامعة فى الأربعينيات التمييز بين فريقين من الطلبة الوفديين :

(١) النحاسيون أى المرتبطون بشكل مباشر سياسيا وعاطفيا بزعيم الوفد والبعض من هؤلاء من الطليعة الوفدية التى كان لها تأثيرها على معظم الطلبة الوفديين النحاسيين.

وأذكر منهم المرحوم سيد البكار بكلية الآداب، والمعروف عن هؤلاء الطلبة النحاسيين أنهم

وفديون مخلصون عقائديون وكان سيد البكار خير من يمثل هذا الفريق بكلية الآداب.

(٢) الطلبة الوفديون السراجيون (نسبة إلى فؤاد سراج الدين) وهؤلاء تفكيرهم واتجاهاتهم محافظة. والشائع أنهم كانوا يبحثون عن مصالح شخصية مادية. وكان يوجد من يمثل هذا الفريق من زملائي الطلبة بكلية الآداب ويصعب أن تتبين وفديتهم من خلال اتجاهاتهم ومواقفهم فهم يسعون فقط إلى المصالح الشخصية المادية. وكان يشاع أن البعض من هؤلاء القريبين من الباشا سراج الدين ينالون الكثير من عطفه المادي.

شهادة

محمد سيد أحمد

البيانات الشخصية

الاســـــــم : محمد سيد أحمد

محل وتاريخ الميلاد : ٢٩ نوفمبر ١٩٢٨، من مواليد القاهرة.

المــؤهــلات : بكالوريوس هندسة وليسانس حقوق. أباشر مهمة الصحافة ابتداء من عام ١٩٦٤.

السن عند الانضمام للحركة الشيوعية : ١٧ سنة تقريباً فى ١٩٤٦/ ١٩٤٧

فترة السجن أو الاعتقال : الحبس على ذمة القضية رقم ٣٠٩٥ لسنة ٦٢ أمن الدولة إعتباراً من ١٢/١٠ سنة ١٩٦٢ وصدور الحكم بالسجن خمس سنوات ثم الإفراج عنى ١١/٧ سنة ١٩٦٤.

بيانات عائلية :

كان والدى محافظاً لمدن مختلفة (السويس فالفيوم فبورسعيد). وكان قريباً لصدقى باشا. ولم يكن صدقى باشا يكنّ لوالدى تقديراً كبيراً من وجهة النظر السياسية، حيث كان صدقى ينظر إلى والدى وكأنما قد ولد وفى فمه ملعقة من ذهب، وبالتالى، فلم يكن من النوع الكفيل بالقيام بالأعمال "السبنة" التى كثيرا ما يقوم بها السياسيون، ويصبحون بفضلها "موضع ثقة". وصدقى باشا كانت أعماله فى أحوال كثيرة من هذا النوع. لذلك كان يعطى والدى، كلما جاء فى السلطة، مناصب شرفية، كمحافظ بور سعيد مثلا. وفى هذه المواقع ميزة، ذلك أن أناسا مهمة كانت تمر بالقناة، وكان يشرف مصر استقبالها، وكان والدى يحتفى بها على حسابه الخاص. بهذا المعنى كان والدى بعيداً عن السياسة. وقد عشت هذا النوع من المعيشة وأنا صبى.

ولكن أذكر أول مناسبة، سنة ١٩٤٢، بعد أن عدنا من بور سعيد إلى القاهرة. كانت حكومة الوفد قد أحالته إلى التقاعد، وأعطت له الباشوية. أخذها كنوع من الترضية. ولم يأخذها والدى من صدقى باشا. أخذها من النحاس باشا.

وفى ذات مرة دعانا إلى منزلنا بالقاهرة محمود عزمى. وكان شخصية ذات شأن. وكانت

أجرى الحوار كل من أ. حلمى شعراوى، حنان رمضان – مركز البحوث العربية

زوجته روسية. ذكرت أمامهما أنني أشعر بأنى لست مصرياً، لأن ثقافتى فرنسية وإنجليزية، ولا أعرف اللغة العربية. وقد التقطت زوجة محمود عزمى هذا التعليق، ورأت فيه شيئاً جديرا بشد انتباهها. ثم دعتنى على حفل شاى فى منزلها ومعى "نيفين سرى"، بنت حسين باشا سرى، الذى أصبح فيما بعد رئيسا للوزارة. وقد قدمت لى كتابا عن لينين. كان أول كتاب أراه عن لينين. كنت أعرف أنه رجل مهم. ولكن لم أكن أدرك بالضبط من هو. وكان سنى وقتذاك حوالى أربعة عشر عاماً.

وقد قررت بعد ذلك أن أدخل امتحان البكالوريا الفرنسى بجانب البكالوريا المصرى، وكنت تلميذا متفوقا لا أحصل على أعلى مجموع فى الفصل وحسب، وإنما كذلك فى كل علم على حدة. فقررت أدرس الأدب الفرنسى بجانب لأدب العربى. وكان هناك مدرس شيوعى فرنسى اسمه "رونيه جرانييه" كان يلقى محاضرات فى الجامعة المصرية، ويدرّس فى مدرسة أرستقراطية لبنات البيوتات فى الزمالك (مدرسة "موزان") وأيضاً فى الليسيه فرنسيه بباب اللوق. وقد عاش جرانييه فى مصر من ١٩٣٤ تقريباً حتى ١٩٥٦، حيث رحل قهراً قبيل العدوان الثلاثى. وأنا أزعم أن جرانييه قد ربانى، وكان له أعظم الأثر علىّ. بل وربّى أشخاصا كثيرين ممن كان لهم شأن فى تاريخ مصر. أذكر منهم شهدى عطية الشافعى وأنور عبد الملك. هؤلاء كانوا تلامبذه. وقد ألتقيت بأنور بالذات، لأول مرة، فى منزل جرانييه. وقد درّس جرانييه لى الأدب الفرنسى، وفى امتحان الأدب الفرنسى الشفهى، سألنى الممتحن بعد أن أجبت على بعض أسئلته: هل أنت الذى كتب هذا وذاك فى امتحان التحريرى؟ قلت نعم. قال لى هذا الكلام خارج الموضوع، وبالتالى لا تستحق سوى (٢) من (٢٠). ولكن لأنك قد أثبتّ أن معلوماتك كثيرة بالمقارنة مع الآخرين، وأنك تستحق من هذه الزاوية (١٨) من (٢٠)، فأعطيتك عشرة من عشرين!؟

كان السؤال فى التحريرى: "هل الأدب يكتب بالعقل أم بالقلب"؟ أذكر أننى قلت إن هناك مراحل رومانتيكية، وأسبابها كذا وكذا، والأدب فيها يكتب بالقلب، ومراحل كلاسيكية وأسبابها كذا وكذا، ويكتب فيها الأدب بالعقل. لم يكن جرانييه قد أحاطنى علما بأن النهج الذى اتبعه معى فى الدراسة هو النهج الماركسى. وهكذا كنت متشبعاً بالفكر الماركسى دون أن أعلم أن هذا هو الماركسية.

إلى أن جاءنا بالسنة النهائية بالدراسة فى الليسيه أستاذ أحمق كان يدافع علنا عن الإلحاد فى الفصل، فلفت نظري. وأخذت أوجه إليه أسئلة فى السياسة. فقال لى ذات مرة "إن هناك جمعية اسمها "دار الأبحاث العلمية" بشارع نوبار قرب لاظوغلى. وجدير بك أن تزورها". فذهبت إلى جرانييه وأخطرته بما أبلغت. فقال لى: "لم أرد أن أقول لك لأن وضعك الاجتماعي يحول دون ترددك على مثل هذا المكان، ولا أريد أن اتسبب فى متاعب". ولكن لم أر أنا أن آخذ بهذه المشورة. وبدأت أتردد على "دار الأبحاث العلمية"، وكنت أبهر بما يجرى فيها من نشاط.

غير أنني فوجئت، بعد فترة بأن والدى قد استدعاني، ليكشف لى عن خطابات غير موقعة كان يتلقاها، وقد أحاطته علما بأنى بت أتردد على أماكن مشبوهة. وختم بسؤالى: "هل هذا صحيح"؟ قلت: "غير صحيح". كنت أكذب لأول مرة. وذهبت إلى الدار لأسأل ماذا أفعل؟ فتقرر إبعادى ووضعى فى خلية من خلايا المرشحين لعضوية منظمة "إسكرا".

وفى "الدار"، تعرفت على جمال غالى، وإبراهيم المناسترلى، وعلى الشلقانى وشريف حتاتة، وكثيرين غيرهم. وكان شهدى يبهرنى بمداخلاته الملتهبة. وقد وضعت فى خلية مرشحين كان معى فيها: حليم طوسون والشاعر فؤاد حداد وأخوه توفيق، وأظن أيضا مدحت غزالى. وكان مسئولنا طالب يهودى بكلية آداب القاهرة اسمه ليون كرامر. وكان نشيطاً للغاية.

وجدت نفسى مضطرا أن أحتجب نوعا من الحياة العامة، المكشوفة، للحركة، لأسباب أمنية، ولكن ظللت متواجداً بشدة فى المناخ العام. كان جو الليسيه مشحونا بالنشاط السياسى، وبالذات فى "جمعية الصداقة" AMICALE، ذات المقر داخل الليسيه، والتى شجعتنى على مواصلة النشاط اليسارى بشدة. غير أن جزءا هاما من النشاط الذى كنت أمارسه. كان يجرى بين متمصرين أجانب أغلبهم من اليهود، وبتشجيع من أساتذة فرنسيين تقدميين ينتمون إلى القوات الحرة الفرنسية المناضلة قبل نهاية الحرب ضد احتلال ألمانيا النازية لفرنسا. كان هذا المناخ تشجيعا لممارسة نشاط تقدمى، خصوصاً فى الليسيه. ثم بالنسبة لليهود، كان هذا جوا مريحاً لأن الكثيرين منهم كانوا يتقنون اللغة الفرنسية، ثم كانوا يجدون فى فرنسا الحرة التى تقاوم النازية مناخا ألينا يحميهم ضد العنصرية واللاسامية التى كان يدعو لها هتلر ويهدد اليهود بها فى صميم وجودهم.

وكان تنظيم "إسكرا" يباشر التجنيد من خلال حفلات، حيث يجتمع ما بين عشرين وثلاثين "زميلا" لإجراء ما كان يوصف بمناقشة مفتوحة فى مشكلة عامة. وكان الهيكل التنظيمى خلف منظمى هذه الحفلات شديد السرية والانضباط. وكنا لا زلنا مرشحين أو ما شابه ذلك، ولسنا أعضاء بالتنظيم بعد، ولا نعلم أن العملية برمتها منظمة. كنا نظنها أمورا اعتباطية. يقيمون حفلات لنزداد ثقافة وإلماما بأشياء تكمل ثقافتنا المدرسية.

وكانوا يدبرون مناسبات للتجمع على غرار بيوت الشباب فى أوروبا. هكذا أقيم "أوبرج" فى شارع الهرم، و"مصيف" بجوار سيدى بشر فى الإسكندرية، ليتجمع "الزملاء" فيهما. وكان أغلب قيادات إسكرا، كما قلت، من "الخوجات" اليهود. بلغ عددهم حوالى ثلاثمائة فى تنظيم عدده الكلى لا يتجاوز الألف (حسب ما نبل لى فيما بعد). وكان هذا كله له دلالة، بمعنى أن صفته كتنظيم نضالى أحاطتها أسئلة كثيرة. كان من الممكن أن يكون تنظيماً ماسونيا، أو شيئا من هذا القبيل، حيث لم يكن التجنيد فى مواقع النضال. بل كان بمقتضى مدخل ثقافى، أو من خلال حفلات. ولم تكن توجد اختبارات نضالية حقيقية للمجندين.

كنا نتلقى فى اجتماعات الخلية حصصا. تدعى لحلقة دراسية. أربعة أو خمسة زملاء وزميل مسئول. وكانت الدراسة تشمل كورساً كاملاً، هو عبارة عن مجموعة كتب حول الثقافة الماركسية والاتحاد السوفيتى. أتذكر منها كتابين أحدهما تحت عنوان (كيف تدار الدولة السوفيتية؟)، وكان الكتاب الآخر يتوج مجموعة الكورسات وهو كتاب ستالين عن (المادية الجدلية والتاريخية)، الذى نشر بهذا العنوان فى صورة فصل فى كتاب عن "تاريخ الحزب البلشفى". وقد اعتبرت دراسة ستالين هذه فيما بعد تبسيطا مخلا للماركسية إلى أقصى درجة. فلقد لخص الفلسفة الماركسية فى عدد معدود من المقولات، والكتاب كله خمس عشرة صفحة.

وقد شملت الدراسات أيضا حصصا فى الاقتصاد. وكان يطلب من كل مشارك فى الحلقة الدراسية عرض كتاب أو أكثر. ومن يتقن هذه العملية يعتبر صالحا لدخول "إسكرا". ففى آخر جلسة، كان ينفرد المسئول بكل زميل، ويفاتحه بأنه يوجد تنظيم، وأنه توجد نشرة سرية جداً (كانت تكتب بالفرنسية!)، وأنه يجب تمزيقها بمجرد الانتهاء من قراءتها، بصرف النظر عن حقيقة أنها كانت مجرد تحليلات سياسية لاتنطوى على أية خطورة. وقد قبلنا جميعا أعضاء

فى "إسكرا"، باستثناء فؤاد حداد. لأنه جرأ أن يقول بعد نهاية الكورس إن ستالين ديكتاتورا

والحقيقة أن "إسكرا" كانت تبدو وكأنما هى تنظيم عالمى. أو بتعبير أدق "عوالمى" COS-MOPOLITAN . كانت المعلومات عن مصر فيها معلومات خواجات، معلومات مستمصرين. ليست الثقافة المصرية الأصيلة. طبعاً ضم التنظيم مصريين أصلاء. ولكن لم يكن أصحاب الفكر المهيمن والنهج المهيمن منهم. فكنا نقرأ الأدبيات الشيوعية. وكنا ننتمى إلى الثقافة الماركسية. وكان المفروض أن يكون هناك قدر من التمصير. ولكن لم تكن هناك قدرة حقيقية على تمصير حقيقى، ذلك أن الذين يهيمنون على مقدرات التنظيم لم يكونوا مؤهلين لإجراء عملية تمصير حقيقية، على غرار ما فعله مثلا الحزب الشيوعى الصينى. وقد كان الولاء للمعسكر السوفيتى فى النهاية هو المهيمن. حتى الاسترشاد بسلوك وأدبيات الحزب الشيوعى الفرنسى كان سوفيتي النزعة. كان ستالين وقتذاك المرجع والمحك. كان هو بشخصه التجسيد الحى للأممية. وعند وجود تضارب بين الوطنية والأممية. كان المحك هو القدرة على تغليب الأممية على الوطنية.

واختلفت أوضاع "إسكرا" كثيرا عن أوضاع "ح.م." (الحركة المصرية للتحرر الوطنى). كانت (ح.م) متسيّبة جداً ،ونضالية أكثر، والتركيب الطبقى فيها أكثر شعبية بالمعنى العريض، لا بالمعنى الطبقى المفرط الحاد، حيث كان كوريبل حريصاً على تجنيد طلبة الأزهر، والنوبيين، والسودانيين. هكذا جند عبد الخالق محجوب، وغيره من قادة الحزب الشيوعى السودانى فيما بعد. كما جند أناسا كان يعملون فى فيلا عائلته الفاخرة مثل عبده ذهب، الذى أصبح من الكوادر المهمة، والذى ذهب إلى السودان فيما بعد، ونهض بدور مهم. وكان كوريبل يصوم فى رمضان، لمشاركة الشعب فى مشاعره، وليس لأسباب دينية، وإنما تمشيا مع المزاج العام واحتراما للتقاليد.

وعندما وقعت الوحدة بين (ح.م) و(إسكرا) فى يونيو ١٩٤٧ لتشكيل "الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى" (حدتو)، لم نستشر فى تنظيم "إسكرا"، ولم يناقشنا أحد فى موضوع الوحدة إطلاقا. بل أخطرنا فقط ذات يوم إن الوحدة بين التنظيمين قد تقررت. كنا قبل ذلك نسمع أن هناك تنظيمات أخرى. كنا نسمع عن تنظيم كوريبل (ح.م.) ونتنقده أحيانا، إلى أن فوجئنا يوماً بأننا نتحد معهم. وبعد أن كان يقال عنهم أشياء سيئة، أصبح يقال عنهم

أثيا - طيبة. كما كنا نسمع عن تنظيم آخر كان يصدر مجلة باسم (الفجر الجديد)، هو تنظيم كان معروفا وتتذاك باسم (د.ش.) أي "الديمقراطية الشعبية" (سميت فيما بعد بـ"طليعة العمال"). وقد اشتهر وقتذاك من قادة هذا التنظيم الآخر أحمد رشدي صالح وأبو سيف يوسف وحلمي يس ويوسف درويش وريمون دويك وأحمد صادق سعد. وكان هذا التنظيم، نسبيا، على مسافة أبعد من إسكرا، ذلك أنه اتخذ خط العمل داخل الجناح اليساري للوفد، مسترشدا بالحزب الشيوعي الصيني الذي عمل فترة داخل الجناح اليساري لحزب "الكوامينتانج" الصيني، في ظل قيادة "سون يات سين" له في العشرينات، وقبل أن يعمل خلفه "تشانج كاي تشيك" على مطاردة الشيوعيين.

بعد اتمام الوحدة ببضعة أشهر، انفجرت "حدتو" قبيل اندلاع حرب فلسطين. وأذكر أن أنور عبد الملك قد اتصل بي وقال لي: إن القيادة في يد عناصر يهودية وقد أسسنا تكتلاً ثورياً لمحاربة هذه الأوضاع المختلة. وحدث أن الشباب والطلبة قد اندفعوا نحو "التكتل". وثبت أن تنظيم "حدتو" لم يكن مؤمّناً ضد احتمالات وقوع حركات عصيان من هذا النوع. لقد أسفر التنظيم عن هشاشة ملموسة. وقد تركز الهجوم على خط التنظيم الذي وضعه "يونس" (الاسم الحركي لكوريبل") والذي عرف بخط "القوات لوطنية الديمقراطية". فقد هوجم الخط على أنه لا يمثل حزبا شيوعيا، بل حزبا فئويا مهنيا يضم القوات الوطنية الديمقراطية. وليس هذا بالتنظيم الشيوعي الذي يقوم على تنظيم خلايا بغض النظر عمن تشمله الخلايا.

لقد ارتبكت الأمور كلها واستمر الارتباك فترة طويلة. وعندما بدأت حرب فلسطين في ١٠ مايو ١٩٤٨، كانت الدولة مرتاحة تماما لحال الشيوعيين، ذلك أنهم كانوا منصرفين كلية إلى مناقشات نظرية حول شكل الحزب وما ينبغي أن يكون عليه. وقد أعلنت الأحكام العرفية، وظل "الزملاء" يلتقون في بيوت، دون احترام أي هيكل تنظيمي، ودون مراعاة قط لقواعد الأمان، لممارسة صراع أيديولوجي. ضمت المداولات أحيانا أربعين أو خمسين شخصاً والأحكام العرفية معلنة، ونصف لتنظيم في السجن، والزملاء يتساقطون. كان يأتي إلى هذه الاجتماعات أناس مطاردون من البوليس، لحضور الاجتماع ثم يعودون بعده إلى مخابئهم. أذكر على سبيل المثال عبد المعبود الجبيلي (الزميل "عادل") الذي كان مطارداً من البوليس بصفته عضو لجنة مركزية، ولكنه مع ذلك كان يحضر في بعض هذه المناسبات ثم يختفي.

ثم كنت ممن التحقوا بـ"صوت المعارضة" (عرفت بـ"م.ش.م"، أى "المنظمة الشيوعية المصرية" فيما بعد). وكانت تتسم بالانضباط الصارم. قادها أوديت وسيدنى سلمون. وقد أراداها تنظيماً متطرفاً يساراً، لا يجند لها إلا العمال، كرد فعل للخط اليمينى الفضفاض الذى نادى به كورييل، والذى أصبح يتهم بالانتهازية. عقدت "صوت المعارضة" بعد ستة شهور من انشائها مؤتمرها الأول والأخير فى آخر يوم من عام ١٩٤٨ نفس اليوم الذى وقع فيه اغتيال رئيس الوزراء، النقراشى باشا. وتحولت "صوت المعارضة" إلى (م.ش.م).

وفى البداية نجح تنظيم "صوت المعارضة" فى اجتذاب غالبية قواعد حدتو، وإبطال مفعول التكتلات الأخرى التى أصبحت وقتذاك تزاحمها الساحة. والجدير بالذكر أن الذى لعب دوراً فاصلاً فى نقل (م.ش.م) من تنظيم تمردى، أو "تكتل" ضمن تكتلات أخرى، إلى شىء أصبح له وزن وقوام، هو ميشيل كامل. كان هو زعيم تكتل طلابى أسماه (نحو منظمة بلشفية). أنشأه ميشيل ومعه ثلاثة أو أربعة من زعماء الطلبة، منهم زميل اسمه مصطفى أمين ومحمد عباس فهمى وعبد الغفار خلاف وإلهام سيف النصر، وغيرهم. وقد عاش تنظيم "نحو منظمة بلشفية" فترة، وعلى منتصف ١٩٤٨، انضم إلى (م.ش.م).

وكانت قيادة (م.ش.م) تتشكل من أوديت وسيدنى وميشيل وفاطمة زكى، وأنا (بعد انتخابى لهذا الموقع بعد اعتقال ميشيل). وكانت فاطمة زكى هى التى تخرج إلى الشارع، بينما لم يكن سيدنى وأوديت يخرجان أبداً. ظلا فى شقة لا يخرجان منها أبداً. ولا يلتقى بهما أحد أبداً. كان اتصالهما بالتنظيم عبر المراسلات فقط، وعبر شخص فاطمة زكى. وكنا نعتقد، ونحن على غير اتصال مباشر بالزعيمين سيدنى وأوديت أن فاطمة هى الزعيمة الكبيرة، وأن أوامرها الصارمة كانت تصدر منها هى. ولكنها فى حقيقة الأمر كانت المسئولة قبل غيرها عن تنفيذ خط أوديت بالذات. وكانت تتعرض - كما أدركت فيما بعد عقب ضمّى للقيادة - لحملات ضارية من أوديت، بتهمة التقصير فى تنفيذ كل ما تصورت أوديت أن تنفيذه ممكن، أو حتى مرغوب فيه!

أنا لم أستمر طويلا أباشر نشاطى كطالب فى الجامعة، لأنه بعد فترة وجيزة من عقد المؤتمر، وتحديدا فى فبراير ١٩٤٩، قبض على شقيقى عمر، الأصغر منى سنا. كان سنه وقتذاك خمسة عشر عاما. وكان سنى أنا ثمانية عشر عاماً. قبض على عمر وكان يهوى قيادة سيارة

العائلة خسة. وكنت قد جندته ضمن كثيرين من المحيطين بى. وكان قد طلب منه نقل مطبوعات تنظيمية من مطبعة الحزب السرية إلى موقع آخر. وضبط متلبسا. وانزعج والدى إلى أبعد حد، لأنه كان وقتئذ عضوا سعديا بالبرلمان. فجاءت المباحث لتفتيش البيت. وكان من حقه أن يعترض بصفته يملك حصانة برلمانية. ولكنه لم يفعل. وعلى أى الأحوال لم يعثروا على شىء. علما بأن الفيلا التى كنا نقيم فيها من ثلاثة أدوار، وكانت مملوءة بالمطبوعات. بل كان الأمر قد بلغ حد أن زملاء كانوا يأتون أحيانا للإقامة لدينا ليلا دون علم أصحاب البيت!

كان لوالدى، فى فترة من الفترات، وبعد تركه للحكومة، مكتب صغير فى حديقة الفيلا، وكان يرى زملاء يدخلون ويخرجون من الباب الخلفى. وذات مرة ناداني، وقال لى: "من هؤلاء؟" قلت له "زملائى فى الجامعة". قال: "دول بلغوا عدد لا بد أن آتى بعسكرى مرور لتنظيم دخولهم وخروجهم"!!

والحقيقة أن تنظيم (م.ش.م) قد انتهج نهجا بالغ التشدد أفضى فى النهاية إلى ما هو أشبه بالانتحار. أسلوبه العنيف ذكرنى بسلوك قوات كوريا الشمالية فى حربها مع كوريا الجنوبية. كانوا يقذفون الآلاف إلى الصفوف الأمامية فى وجه وابل من القنابل. كانت م.ش.م. تنتهج نهجا مماثلا. تلقى بالبنات اليهوديات اللاتى انضممن إلى التنظيم، وتلزمهن بترك أحياء وسط القاهرة التى نشأن فيها لتذهبن إلى أبواب المصانع فى شبرا الخيمة، كى يجندن عمالا دون معرفة سابقة بهم!!. كان بعضهن لا يتحدثن باللغة العربية. طبعا كانت استجابتهن للتعليمات الحزبية موضع شبهة. وتعرضن للقبض عليهن بالجملة.

وبصفتى كنت مع القيادة داخل شقة لم أخرج منها أبدا، ظللت لفترة اقتربت من العامين منعزلا عن الحياة. ثم قبض علينا كقيادة لـ"م.ش.م."، ودخلنا السجن، وحكم علينا. ومكثنا بالسجن عامين. وكنا لا نتكلم مع الآخرين تطعيا، لا حتى فى السجن، بدعوى أن كلهم بوليس. وقد وصلت الأمور إلى درجة أن أحد زملائنا، كريم الخرادلى، وقد حكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات، وكان طالباً عبقرياً فى كلية الهندسة. (وجد ذات مرة الحل الصحيح لمسألة ظلت تدرس بطريقة خاطئة طوال عشرين عاما!). أرسل إلى سجن الواحات، ولم يكن يتحدث إلى أحد، لأنه كان السجين الوحيد المنتمى إلى (م.ش.م)، فسأله مأمور السجن ذات مرة:

"لماذا لا تتحدث إلى أحد؟" قال: "لأنهم جميعا مباحث". قال له المأمور: "هل تعتقد أنك من الأهمية بحيث أن الدولة تبنى لك سجن وتملأه مباحث، من أجلك أنت دون سواك؟!"

كان بعض أعضاء م.ش.م. ينتهجون نهجا استفزازيا حيال الشيوعيين الآخرين. ولم أكن أنا منهم، وكنت أتجنب الكلام الاستفزازى، لدرجة أنه عندما انهارت م.ش.م. فيما بعد، عدنا نلتقى مع الآخرين وكأن شيئا لم يحدث، بالأحضان.

كانت كل التنظيمات فى تلك الفترة بها انقسامات، كان ذلك نتيجة منطق ساد بشدة، هو "أنتى أنا التيار الثورى، وكل من سواها انتهازى وخائن وتيتوى" لأن تيتو كان يعتبر وقتذاك الشر الأعظم، لخروجه على ستالين! كان الاتهام بالتيتوية شتيمة أسوأ من الاتهام بالمباحث، لأن المباحث فى النهاية هم جزء من جهاز الدولة. أما تيتو، فكان مثل تروتسكى، منظور إليه على أنه المخرب الأول للطبقة العاملة العالمية.

أهم التنظيمات التى ارتبطت بها ورأيى فيها

كنت عضوا فى إسكرا. ثم فى "حدتو" بعد توحيد إسكرا مع "حمتو" (الحركة المصرية للتحرر الوطنى). ثم انفصلت عن حدتو ودخلت التكتل الثورى (ت.ث) ثم صوت المعارضة ثم (م.ش.م). بدأت فى القاعدة، ثم أصبحت عضو لجنة قسم قبل الوحدة عام ١٩٤٧ وكنت مسئولا عن اثنين أو ثلاثة، منهم حليم طوسون، ثم دخلنا "الراية" ثم المتحد، فالمرحد الذى جمع الكل باستثنا، "وحدة الشيوعيين".

لقد كان النقاش فى غرف مغلقة حول قضايا العالم. تعرض نفسك لعشر سنوات سجن من أجل أن تجرى مناقشات عن الحزب الشيوعى البلشفى. أشياء غير معقولة. ما سبب هذا التماسك؟

الحقيقة أن الحركة الوطنية أتت رغماً عنا. ظهرت أولا فى فبراير ١٩٤٦ "اللجنة العمال والطلبة" وقد شملت بعض أعضاء "إسكرا" ممثلة فى جمال غالى وسعد زهران وغيرهما، منهم فؤاد محيى الدين، الذى أصبح رئيسا للوزراء فى أواخر أيام السادات! لكن بالمصادفة. قد جندت إسكرا طلبة قياديين فى الجامعة، ولكن لم يكونوا فى مراكز قيادية فى التنظيم. كانوا

فى القاعدة.

وضع المرأة فى هذه العملية؟
وهل برزت زميلات ذات شخصية متميزة؟

هنا، قصة مهمة استهل بها فى الرد على هذا السؤال، وهو ما قيل عن التحلل. لا شك أن إسكرا بالذات كان فيها بالفعل بنات يهوديات "متساهلات"، ولا أستطيع أن أقول أن هذا كان مقصودا. ولكن الغالبية الساحقة من هذه البنات ذهبن بعد ذلك إلى فرنسا، وكثيرات منهن التحقن بالحزب الشيوعى الفرنسى.

كان هناك قدر من الانفتاح. العلاقات كانت سهلة، حتى جنسياً. كانت إسكرا تشجع الشبان والبنات على المعاشرة. لا أقول بإباحية، ولكن دون تزمت. وكثير منهم كانوا يتزوجون أو شيء كهذا. كانت العلاقات عموما "أوروبية". وكانت العقلية أوربية أيضا.

ثم كان هناك رد فعل لذلك، استنادا إلى أن هذا السلوك "ليس من قيم الشعب المصرى". وفى ح.م، كان كوربيل ضد أن يتزوج مصريون من يهوديات. وكان موقف كوربيل صارما، وأعتقد أنه طالب بفك كل رباط من هذا النوع.

أما (م.ش.م) فلقد تمادت فى عكس اتجاه التساهل فى هذا الصدد. كادت تشترط أن يفك كل زميل له ارتباط مع فتاة وأن يتركها بدعوى أن هذا لهو. ولم تكن زعامة (م.ش.م) لديها احترام حقيقى ولا حرص خاص على أعضاء التنظيم. كان رأى أوديت أن هذا كله "مرحلة انتقالية". كانت تقول: "نحن نريد عمالا حتى لو ضحينا بمائة بنت من الطبقات المتميزة اليهودية، وحتى لو كان ذلك من أجل عامل واحد!"

وكانت منظمة إسكرا تنظم لقاءات، ولكن كان المقصود بها أساساً أهدافا سياسية. وكانت بعض هذه البنات قياديات. ويتكلمن جيداً.

كانت أوديت، وهى امرأة، وكانت بلا جدال زعيمة م.ش.م. الحقيقية، وكانت ستالينية بكل معانى الكلمة، قد فوجئت ذات يوم بوفاة أبيها، وكانت تعشقه. وكانت قد حبست نفسها، هى وزوجها، فى غرفة لا يخرجان منها أبدا، ولا يعرف مكانهما أحد، لمدة سنتين! لم تحاول الاتصال بأهلها حتى لا يتاح لأحد معرفة مكان مخبأها. وبكت أسبوعا. ثم عادت لعملها كالعادة.

لم تكن أوديت وزوجها سيدني يخرجن أبدا. ذلك أن الأحكام العرفية قد فرضت بعد حرب فلسطين الأولى فى ١٩٤٨، وقررا عدم تعريض أمانهما لأى خطر على وجه الإطلاق. ثم قررا حبسي معهما فى غرفة أخرى بنفس الشقة، بعد عودتى من باريس عام ١٩٤٩، وانتقالى معهما إلى الحياة السرية. كنا ثلاثة، ومعنا زميل وزميلة تم عقد "قران رسمى" بينهما فقط لحمايتنا والظهور أمام البواب بمظهر المقيمين دون سواهما فى الشقة.

وفى هذا الوقت كانت الصرامة قد حلت محل التسيب. وأذكر حدثا يبرز هذه الحقيقة. فلقد تقرر زواج الزميلين "رسميا"، دون السماح لهما بممارسة الجنس فعليا بدعوى أن الزواج تلبية لحاجة "حزبية"، هى حمايتنا فى هذه الشقة، وتيسير مهمة اختفائنا فيها، ولم يكن الزواج نتيجة استلطاف أو حب بينهما!! فذات مرة تجرأ الزوج وأبدى رغبة فى أن ينام مع زوجته، فشتمته أوديت وبهدلته. وقالت له أن الزواج تنظيمى فقط، ولا يكسبه أى حق على الزميلة زوجته!

وبعد مشاهدتى لمثل هذه الأمور التى طالت الكثيرين (كثيرون من كادر التنظيم طالبتهم أوديت بالتخلى عن صديقاتهم)، بل وطالبتنى أنا شخصيا، إذ حرمتنى أوديت من أن تظل زميلة كنت على علاقة بها وقتذاك (دون أن ألتقى بها قط وقتئذ بدعوى الأمان) (ولو بالمراسلة فقط!)، بحجة أن تشبثها بهذه العلاقة كان بهدف الزواج، لا من أجل النضال. فلقد انتابتنى نتيجة الفراق الذى فرض علىّ وأنا محبوس تماما داخل الشقة حالات اضطراب بلغت حد أن أخذت تلاحقنى أحلام. تكررت كثيرا أنى أقتل أوديت، وأنى أجد متعة فى قتلها. فضلا عن أنى فكرت كثيرا فى الانتحار. وكانت أوديت تشعر بأن مشاعر مكتومة لا أبوح بها تستبد بى. فكانت تصر على جلسات للنقد الذاتى أفصح فيها عن كل ما هو بداخلى، وكنت أجد نفسى أقول لها: "أنا كثير الحلم بأنى أقتلك". وكانت هى ترحب بمثل هذه الاعترافات، وترى فيها تنفيسا عما فى قلبى، وتطهرا من "الصديد" الذى يملأ مخى!

فترات السجن والاعتقال؟

حكم علىّ بالسجن مرتين: من ١٩٥٠-١٩٥٢، ومن ١٩٥٩-١٩٦٤.

المرة الأولى بعد عودتى من الخارج، ومكوثي سنتين فى حجرة- كما سبق وذكرت - ظللت

سنتين أخريين بالسجن وقد تقرر ستثمار وجودى معهم للتخفيف من حدة العقوبة إلى أقصى درجة. فتقرر أن أتصدى أنا للعملية وأن أسيء إلى نفسى من الوجهة القانونية إلى أقصى حد ممكن، حتى تكون الجهود المنتظر من أهلى بذلها لإخراجى من الورطة كفيلة بتخفيف أحكام المجموعة كلها. وهذا ما حدث. فلقد صدرت أحكام بسجن الرجال لمدة سنتين، والنساء لسنة. ثم خرجنا ستة شهور مبكراً. بثلاثة أرباع المده.

غير أنه تقرر فى آخر لحظة ألا يفرج عنا، وأرسلنا إلى معتقل هايكستيب. وقد شجع والدى ذهابى للمعتقل. بل قد تدخل كى أعتقل. طبعا بأحسن النوايا. لقد جاء مرة واحدة فقط ليزورنى فى السجن. لأنه لم يكن يحتمل فكرة أن ابنه مسجون. جاء ليقول لى : ماذا ستفعل بعد الإفراج عنك؟ أجبت: سوف أسأل الحزب. سألنى: هل ستعود إلى البيت؟ قلت: لا. أريد أن تعد لى شقة فى حى شعبى بقدر الإمكان. فأعد لى شقة بالفعل فى المنيل.

غير أنه خاف أن أخرج، وأن أعود إلى النشاط الشيوعى، وأن يحكم علىّ فى هذه المرة بحكم أكثر قسوة بكثير من الحكم الأول. فاتصل بوزير الداخلية "مرتضى المراغى" الذى كان وكيلا لمحافظ بور سعيد وقت أن كان والدى محافظا، ليطلب منه اعتقالى بمجرد انتهاء مدة السجن، كى يكفل تأمينى داخل السجن فى ظرف اتسم فيه الوضع فى الشارع بهشاشة بالغة، عقب حريق القاهرة وقبل استيلاء الضباط الأحرار على الحكم. وقد أبلغ وزير الداخلية رئيس الوزراء نجيب الهلالى بطلب والدى. وقد أتيح لنبيل الهلالى (نجل نجيب الهلالى) أن يعلم، فأخبرنا بما حدث (لم يكن نجيب باشا يعرف وقتذاك شيئا عن نشاط ابنه السرى للغاية).

فتقرر أن أقاطع عائلتى مقاطعة تامة إذا ما زارونى فى معتقل هايكستيب للضغط عليهم. وعندما جاءت العائلة لزيارتى، لم أقابلهم، طبعا، دون اعتراف صريح، بسبب هذه المقاطعة (حرصا على أمان المصدر)، وبأمل أن يدركوا سبب غضبى. وقد اندهش المعتقلون لسلوكى. تصوروا أنه سلوك شخص مختل، يريد أن يجبر أهله على عمل مستحيل هو إخراجه من الحبس! بينما الحكاية كلها كانت بغرض الضغط. وقد ظللنا فى المعتقل لعدة شهور. وقرب نهاية حبسنا، حدثت حادثة غريبة جداً. كان يضم المعتقل، ضمن من ضم، عبد المنعم الغزالى، وكنت أعرفه جيدا. وكان هناك أيضا عادل حسين وإبراهيم شكرى وفتحى رضوان عن حزبى مصر الفتاة والوطنى. وفى يوم إعلان حركة الجيش، أرسلوا ضابطين ليلتقيا بالمعتقلين، وتقرر

أن تقابل كل مجموعة على حدة الضابطين. فكانت مجموعة (م.ش.م) تعتبر نفسها تمثل الشيوعيين الحقيقيين، "لتيار الثوري" دون سواه، بل والتنظيم الأكثر تشددا ،حيث كان يقاطع من ليس م.ش. م.

وكلفت من تنظيمي أن أتحدث مع الضابطين عن مجموعة م.ش.م. لأطالب بالإفراج عنا، فحاول البعض، وعلى رأسهم عبد المنعم منعي، بدعوى أننا استفزازيون، ولا ينبغي السماح لنا بالكلام. إذ قد يهدد ذلك بإفساد فرصة لإفراج عن الجميع. وبالفعل، قد وقعت معركة في المعتقل. فريق قال: مجموعة م.ش.م. تأخذ حقها كغيرها، وهم مسئولون عن أنفسهم. وفريق آخر قال لا. ذلك أن هؤلاء سيفسدون العملية برمتها. وانتهى الأمر، بأن عبد المنعم الغزالي الذي كان من قبل صديقا حيما، وعشنا تجارب كثيرة معاً، هو الذي تصدى، وحاول منعي من الكلام. وانتهى الأمر بأني استطعت أن أتكلم. وتكلمنا بطريقة إيجابية. ولم نكن مخربين ولا استفزازيين. وانتهى الموضوع بخير، وأفرج عن المعتقلين بهايكستيب جميعا، واستثنى ١٤ زميلا لم يفرج عنهم، منهم سيدني سلامون و هليل شوارتز و مارسيل إسرائيل وترفيق حداد وغيرهم، وهؤلاء تم ترحيلهم على حسب رغبتهم إلى فرنسا وإيطاليا.

وقد خرجت أوديت قبلنا ، وأنشأت تنظيماً كان عبارة عن فخ من البوليس، أعضاؤه مخبرون. ثم هي أدركت، فصفت التنظيم فورا. غير أنها وصفت حركة الضباط بأنها حركة فاشية ،وأن هذا يقتضي تجميد نشاط التنظيم .وكنت أنا بعد خروجي أريد أن أذهب لكليتي لأستعيد السنوات التي ضاعت. كنت أريد أن أذاكر وأن أنجح. وأوديت كانت هي الأخرى تريد أن أذهب للكلية. ليس من أجل المذاكرة، وإنما من أجل أن أتعرف على ناس تمهيداً لبناء تنظيم جديد. كانت تريد أن أذهب إلى الجامعة لأجند، لا عمالا ١٠٠٪ كما كانت تقول من قبل، ولا أن تتم عملية التجنيد بواسطة عمل سياسي ولكن بمجرد الاتصال وإقامة علاقات شخصية، تحاشيا للفاشية السائدة. وكان ينبغي أن يكون هذا هدفي بغض النظر عن النجاح. فإن المذاكرة في نظرها كان ينبغي أن يكون مجرد مبرر للذهاب إلى الجامعة.

سنوات المذاكرة

وهكذا عدت إلى المذاكرة. ولم أكن سعيداً، لأني كنت في كل من كلية الهندسة (بجامعة القاهرة)، وكلية الحقوق (بجامعة عين شمس) والفنون الجميلة (بالزمالك). ثلاث كليات.

لتوسيع دائرة معرفى وتنويع مجالات اتصالى بالناس. وبالرغم من أن انتمائى إلى كليات ثلاث معا كان مخالفا للقانون ، إلا أن الدولة تساهلت رغضت النظر حتى لا أستطيع أن أقوم بأى نشاط غير الذاكرة. واضطررت أن أعيد امتحان التوجيهية (فرع أدبى) لدخول كلية الحقوق، وهذا عطلنى سنة. فانتهيت من كلية الهندسة فى ١٩٥٦ ، ومن كلية الحقوق فى السنة التالية. وقد كتشفت لنفسى قوة إرادة مذهلة، كى أنجح، ربما بسبب مشاعر مكبوتة فى هذا الصدد. كنت أفتح كتاباً لأول مرة ليلة الامتحان ،وأنجح فى صبيحة اليوم التالى، ربما ليس بتقدير فى أحوال كثيرة، لكن كنت أنجح. كان هناك إصرار لتعويض ما فاتنى، وتكشفت من خلال ذلك كيف يمكن أن يتحول المخ إلى نور تحت ظروف قهرية من هذا النوع.

أنهيت الدراسة، وحصلت على بكالوريوس هندسة وليسانس حقوق، ثم تقرر أن أؤسس دار نشر هى "دار الديمقراطية الجديدة" ، وقد أصبحت منبرا لزملاء م.ش.م، ثم لحزب "الراية" بعد اندماجنا معهم. كان هناك نبيل الهلالى ومحمود المستكاوى وفاطمة زكى وسعد الطويل وبولس حنا. وتقرر أن أكون المسئول عن جماعة م.ش.م. فى اللجنة المركزية بحزب "الراية". ثم، فى حزب "المتحد" إثر اتحادنا مع حزب "الموحد" ، ثم فى الحزب الواحد لكل الشيوعيين المصريين يوم ٩ يناير ١٩٥٨. وكنت عضوا باللجنة المركزية فى بداية حزب ٩ يناير. ولكن بعد إعادة تأسيس الحزب فى منتصف عام ١٩٥٨، قلصوا ل.م. وجعلوها من ثلاثة عشر عضوا فقط. وقتها لم أكن فى اللجنة المركزية، واستمر الوضع هكذا حتى اعتقلنا جميعنا فى أول يناير ١٩٥٩، وبقينا فى السجن حتى أبريل ١٩٦٤.

اليهود والحركة الشيوعية

أحب أن أشير هنا إلى نظرية أؤمن بها. وهناك على أى الأحوال مقال يتناول هذه النظرية نشر فى مجلة "القاهرة" برئاسة تحرير غالى شكرى فى نوفمبر ١٩٩٢ وكنت أود أن يناقشنى الزملاء فى هذه النظرية، وقد دارت فعلا بعض المناقشات المحدودة، ولكن بطريقة غير معمقة.

تبلورت هذه النظرية فى ذهنى عبر محطات كثيرة. والفكرة الجوهرية فيها أن هناك مرحلتين أساسيتين فى التاريخ المعاصر للشيوعيين المصريين: مرحلة "يهودية"، فمرحلة "قومية"، ولم تكن هناك أبداً مرحلة "بروليتارية". هذا ليس معناه أنه لم يكن هناك عمال فى

الحركة، ولكن السلطة لم تكن للعمال أبداً. لم تحكم الطبقة العاملة الحركة الشيوعية المصرية أبداً. وأنا أزعم أن المرحلة الأولى قد يرى البعض فيها (لست منهم) بعاداً صهيونية، خاصة لو تناولنا الموضوع من زاوية رؤية "الاستعمار الثقافي".

لقد غابت الحركة الشيوعية عن الساحة المصرية كلية ما بين ١٩٢٤ . ١٩٤٠ والسبب في ذلك أن الإنجليز كانوا مصممين على إبعاد السوفيت تماماً عن المجتمع المصري، بالرغم من أنه قد وجدت بعض التنظيمات الشيوعية في مصر لدى بعض الجاليات الأجنبية طوال هذه المرحلة. كانت الجالية اليونانية أهم جالية أنشئت بداخلها تنظيمات شيوعية، تلتها الجالية الإيطالية، وكان لدى هذه التنظيمات تعليمات بألا شأن لها بالشعب المصري. لماذا؟ لأن مصر كانت ملاذاً للحزبين الشيوعيين اليوناني والإيطالي في ظل حكم ميتاكساس وموسوليني الفاشيين. كان شيوعيو البلدان الفاشية يحتمون بجالياتهم في مصر دون علم السلطات المصرية. ولذلك لم يكن ينبغي تعريض هذا النشاط لأي نوع من الاضطراب.

وأنا لست من أنصار التفسير التآمري للتاريخ. ولا أرجع ما جرى في مصر إلى مخطط يهودي. ولكني أقول إن هناك أموراً تكشف عن سياق منطقي معين يتعذر ادعاء أن الصدفة وحدها جمعت مكوناته. في سنة ١٩٣٦، غزا موسوليني الحبشة. فخشي الإنجليز أن يستفيد موسوليني من المشاعر المعادية لإنجلترا في الحركة الوطنية، فقرروا مهادنة الوفد باعتباره حزبا وطنيا كبيرا، تخفيفاً لوطأة التهديد الفاشي الذي أصبحت له قاعدة عند منابع النيل. فوقعوا المعاهدة بغية مهادنة الوفد. ولأن الحركة الوطنية لم يكن لها بعد أي منظور إلى عدو عدوي (الفاشية) على أنه قد يكون عدواً أسوأ. فإن التيار الأكثر راديكالية في الحركة الوطنية قد راح يؤيد ألمانيا وإيطاليا.

وفي ٤٠/ ١٩٤١ . أخذ كورييل وغيره يتحركون. ولا يبدو صدفة أن أنشئت ثلاث أو أربع منظمات في نفس الوقت، أهمها طبعاً (ح.م)، و(إسكرا)، و(الفجر الجديد) بقيادات كلها يهودية. لقد كان تنظيم "إسكرا" تحت قيادة ثلاثمائة زميل يهودي يتزعمها هليل شوارتس، والمراكز القيادية كلها لهؤلاء اليهود باستثناء اثنين وصلا للقيادة هما شهدي عطية الشافعي وعبد المعبود الجبيلي، وكان لشوارتز نظرية سماها "نظرية المراحل"، حيث كان يعتبر المثقف الأجنبي هو الأكثر قدرة على استيعاب الماركسية، لأن الماركسية نتاج للفكر الأوروبي.

وبالتالى، فإن المجتمعات المتخلفة ليست لديها القدرة على استيعاب هذه الفكرة مباشرة. ومن ثم فإن المرحلة الأولى ينبغى أن يقودها زملاء قادرون على استيعاب هذه الثقافة. إنهم الزملاء الأجانب. ثم يصبح للمثقفين المصريين دور ثان (مرحلة التمصير)، ثم يأتى تجنيد العمال كمرحلة ثالثة (مرحلة التعميل).

إلا أن ما تم فى الحركة الشيوعية هو التوقف عند المرحلة الثانية. ومن هنا سيطر المثقفون ذوو الاتجاه القومى. فكثيرون ممن جندوا من القواعد كانوا رموزاً لأناس تعرضوا لعمليات إفساد وتحوير فى الهوية بصور شتى، ولو لمجرد أنهم قد نزعوا من بيئتهم العمالية، بدلا من زرع الحركة كلها فى بيئة عمالية صحيحة وأصيلة. وهذا ما حدث بالنسبة لجميع المنظمات بدرجات متفاوتة. أنا لا أريد أن أظلم أحدا، ولا أهوّن من شأن تضحيات أحد، لأن هؤلاء جميعا قد ضحوا، وأغلبهم قد تفانى فى التضحيات. إلا أنه فى نهاية الأمر، قد كثرت ظاهرة البروز كزعماء، قبل أن يكونوا شيوعيين ويختبروا كشيوعيين! وكانت لهم قيم قبل أن يكونوا شيوعيين، وفقدوا الكثير من هذه القيم بعد أن أصبحوا شيوعيين. ذلك أنهم قد استدرجوا للعبة أخرى، وتبعوا آلية أخرى.

كان روميل سوف يقتحم مصر لو كان قد انتصر فى معركة العلمين عام ١٩٤٢. وأصبح الطريق مفتوحا أمامه إلى القدس وفلسطين. إذن كان خط الدفاع الأخير فى صده هو معركة العلمين. وهنا جاز لنا أن نتساءل: ما هى الأيديولوجية التى تجمع ما بين اليهود وغير اليهود فى مواجهة روميل؟ الأيديولوجية الوحيدة اللاعنصرية ضده هى الماركسية. وإنجلترا التى منعت دخول الشيوعية فى مصر أصبحت محرجة، ذلك أن معركة العلمين قد لازمتها معركة ستالينجراد فى روسيا، ولم يكن واردا أن تركز إنجلترا وقتذاك على معاداة الشيوعية. واستنادا إلى هذه الحقائق، امتنعت عن التدخل، ووجد اليهود فى هذه الأيديولوجية الماركسية ملاذا واحتماء، فى إطار أوسع من اليهودية، إطار كفيل بجذب الحركة الوطنية المصرية أيضاً. فضلاً عما تسرب إليهم من أنباء عن اضطهاد اليهود وتعرضهم للإبادة بالجملة فى معسكرات النازى، ومن ثم كان الشيوعيون هم الحلفاء الطبيعيون لليهود فى مثل هذه الملابسات.

وبدأ عدد من الشخصيات اليهودية ينشئون منظمات. بيد أن القضية بدت قضية هوية تتعلق بأشخاصهم. وبهذا المعنى، فإن الشعب المصرى استخدم روظف، لغرض يتعلق بهوية

اليهود. لا أقول أن ثمة مخططا جمع هؤلاء اليهود وإلا لفسدت العملية. وأنا أقطع فعلاً بأن ٩٩٪ منهم كانوا أناسا مخلصين ومؤمنين بما كانوا يفعلونه.

أما عن موقفهم الرسمي من الصهيونية. فهذا تكتنفه التباسات، أذكر منها أن إسكرا أنشأت تنظيماً ضد الصهيونية اسمته "المنظمة اليهودية المصرية المعادية للصهيونية"، وكان قائدها رجلا محترما جداً، كان أستاذا للرياضيات، اسمه شيء ما (لا أذكر) "هراري".

إلا أن كوربيل قرر حل هذا التنظيم عندما تمت الوحدة بين (ح.م) و (اسكرا)، وشكلتا معا (حدتو) في منتصف ١٩٤٧، من منطلق أن هذا التنظيم ذو طابع انعزالي حيال الجماهير اليهودية في مصر، وأن قطاعاً هاماً من الجماهير اليهودية له ميول صهيونية، ومن ثم علينا أن نقنعهم بأن يكونوا ماركسيين بدلاً من معاداتهم بإنشاء تنظيم عنوانه ذاته إدانة لهم. صحيح أن هذا القرار بحل هذا التنظيم كان قبل نشوب حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨، ولكنه مؤشر عن موقف من الصهيونية يتعارض تعارضا صريحا مع شيوعية تسمت بصبغة قومية.

وبالمناسبة لم أكن أبداً ممن التفوا حول كوربيل في تاريخ الحركة الشيوعية المصرية. كنت دائما في صفوف من انتموا إلى مجموعات تخالفه الرأي وحتى تعاديه. و لكن أنظر لتاريخه اليوم على أنه ليس شخصاً يمكن طرحه جانبا بسهولة. كان لا شك شخصية. وهناك فريق من الناس في مصر تعبده، بداية بأحمد حمروش وانتهاء برفعت السعيد، ولست قطعا عدوا لأي منهما. بل هناك أناس غير شيوعيين يعظمون من شأن كوربيل. أذكر على سبيل المثال ثروت عكاشة.

فإن هنري كوربيل قد أبلغ مصر، على حد قول البعض، بموعد وقوع العدوان الثلاثي في ٢٩/١٠/١٩٥٦ قبل وقوع العدوان بأيام. غير أن النبأ لم يؤخذ بجدية، ولم يستفد من هذا الإنذار المبكر.

ومع ذلك، فإن كوربيل سعى دائماً إلى محاولة التوصل لحل سلمي للصراع العربي/الإسرائيلي، ولم يكف عن ترتيب لقاءات وأمور كثيرة في هذا الصدد. واصل هذه المعركة حتى ضد رأي كثير من زملائه الذين انتموا إلى تياره.

أنا شخصياً لم أكن أعرفه، وهذا ربما عيب سببه الصراعات الداخلية. لم ألتق به إلا مرة واحدة وفي مناسبة غير مألوفة أسردها باختصار على النحو التالي: بعد أن تأسس "التكتل الثوري" وكان ذلك بعد اندلاع حرب فلسطين بشهرين تقريباً. قرر شهدي أن يكتب تقريرا مطولا يبرر به تكتله، وكان ذلك في عز الأحكام العرفية، ووقتها كان معنا في التكتل شخص قريب سفيرنا في إيطاليا وقتذاك اسمه على ما أتذكر عادل حقي. كنا قد دخلنا كلنا "التكتل الثوري"، ولأن السفير كان غائبا في إيطاليا ترك مفتاح شقته بالإيموبيليا مع ابنه العضو معنا بالتكتل الثوري، وتقرر طبع ألف نسخة من هذا التقرير بهذه الشقة. إلا أن أعضاء التنظيم الأصلي "حدتو" علموا. فقرروا الاستيلاء على الشقة.

وقتها كان هناك قسم اسمه قسم "الأحذية" وهو الاسم الحركي لقسم يضم ضباطا بالجيش، وكان به عدد من ضباط الجيش، أذكر منهم ضابطا باسم عبد المنعم بصيلة وغيره. نكنت بالشقة قبل وصول هؤلاء الضباط للاستيلاء على التقرير. وقد أخذنا نحرقه. وبدأ الدخان يتصاعد من النوافذ. وتجمعت جماهير في فناء الإيموبيليا وجاءت المطافىء. وفجأة فتح باب الشقة بعنف ودخل مع الضباط على الشلقاني (قريب عادل حقي) وقد كان أصلا في "اسكرا" ثم انضم لكوريبل. دخل على الشلقاني ومعه هنري كوريبل. كنا نحن بداخل الشقة من الزملاء المكلفين بحماية طبع التقرير. وبعد أن غالبونا واستولوا على ما أمكن الاستيلاء عليه من التقرير وقد كانوا حوالي عشرة، قصدني كوريبل وقال لي: أنا لا أعرفك شخصياً، ولكن أسمع عنك. ثم أصر بأن يأخذني بسيارته لنتحدث. وكنت أنا ضده، ووقفت أدافع عن التكتل الثوري. وظللت عضوا متحمسا به حتى تحولت مع كثيرين غيري إلى "صوت المعارضة" وإلى م.ش.م. لم يكن لي أي استعداد للاستجابة لكوريبل .وأشعرني بأنه من النوع الناعم الأقرب إلى القسيس الجزويت منه إلى المناضل الشيوعي. ولم ألتق به أبدا مرة أخرى.

ولا بد أن أشير إلى حرص بعض القيادات اليهودية على تجنيد أبناء الطبقات العليا. وأنا أذكر ذلك لأنني لا أريد أن تنسب لي أمجاد لا أستحقها. وما أعنيه بذلك أن القول بأنني انتميت إلى الحركة الشيوعية حباً في الفقراء، أو ميلاً للشعب، أو تعاطفاً مع الجماهير. فكل ذلك غير صحيح. وعندما أنظر إلى الوراء، أجد أن المحرك الأساسي كان منظوراً فلسفياً للتاريخ، تصورته مجسدا في الماركسية بفضل تتلمذي على أستاذي الفرنسي رونيه جرانييه.

كانت القضية في التحليل الأخير قضية هوية، بالذات لدى القيادات اليهودية. وكانت كل الطرق تستخدم لضمان عدم تعرض هويتهم (وتحديدا: أمانهم في جو متقلب) لأخطار، بما فيها الاتصال رأسا بالدولة عن طريق تحييد تجنيد أولاد الارستقراط. وكانت الشيوعية في ذاك الوقت جذابة للغاية: انتصارات متلاحقة للشيوعية بعد معركة ستالينجراد. نصف العالم شيوعي، هزيمة الغرب أمام هتلر، ثم يستعيد الغرب وضعه بفضل الدور الحاسم للسوفييت. كانت الشيوعية لها وقت ذاك جاذبية لا تقهر، حتى في الطبقات العليا. وكنت أرى في الوسط الذي نشأت فيه، وسط الباشوات، إعجابا بالروس بعد أن كانوا يكرهونهم ويزدرونهم. ويقولون: ها هي الدول التي بهدلت البلاد الصغيرة، أنظروا كيف بهدلتهم روسيا! كان هناك كلام كهذا. في البداية تقهقرت روسيا، ولكن بعد عامين عقب معركة ستالينجراد تتابعت الانتصارات. كانت ترمز للقوة. وهكذا استغلت القيادات اليهودية الدعوة للشيوعية ليأتوا بجمهور لا ينظر إليهم على أنهم يهود. وإنما يراهم مناضلين تقدميين بغض النظر عن الهوية اليهودية. وما المانع أيضاً أن يأتوا بأولاد الطبقة العليا؟ ليس فقط من أجل ما يمثلونه من قدرات مالية، ولكن لما عندهم أيضا من علاقات ونفوذ ومكانة اجتماعية.

وكثير من المنظمات الشيوعية كانت تنظر هكذا إلى أولاد الذوات. ونحن نعرف اليوم كيف كان اليهود متغلغلين في المجتمع المصري دعك من المصريين الأصلاء بينهم مثل قطاوي باشا- هؤلاء يهود، ويهود مصريون. ولكن طبعاً كان هناك حنين ما لإسرائيل، وأنا أذكر أنه بعد تولي صدقي باشا الوزارة سنة ١٩٤٦ عوملت معاملة خاصة في صفوف إسكرا، وكانوا سعداء جداً بأن لي أقارب على قمة السلطة.

وعندما أعود إلى سنوات التكوين، أجد أنه كان لدي زميل يهودي بالليسيه، كان صديقا عزيزا، كان له دور مهم جداً في بداية حياتي، هو ألبير آرييه. كانت لديه نقطة تميز، حيث كانت له أخت تكبره سنا وتقرأ كثيرا في الأدب الفرنسي والشعر الفرنسي، وبالذات شعر المقاومة للاحتلال النازي، والكثير من هؤلاء الشعراء مثل "أراجون" و"إيلوار" كانوا شيوعيين، فتأثر ألبير بها وبهؤلاء الشعراء. وتأثرت أنا بدوري به. وهكذا لو نظرنا إلى مصادر إعجابي بالشيوعية، فإنها لا تمت للشعب المصري بصلة، أدب وحضارة وثقافة على الصعيد العالمي.

وطبيعي أن يكون العمال والفقراء عموما أكثر أهلية للانتماء إلى الحركات الثورية من

أناس مثلى أصبحت لهم هذه الانتماءات لاعتبارات فكرية مجردة. ولكن لم تكن تشكل مثل هذه الاعتبارات مبررا للنظر إلى قضية الشيوعية على أنها قضية ضرورة تاريخية. وأكون كاذباً إن قلت غير ذلك. وهذا مهم فى تفسير خط سيرى فيما بعد، لأننى عندما أجد نفسى بصدد شىء يربطنى بقضية عقائدية، ولكن أجد الجنب العقلانى يدعو إلى تفسير الأمر على نحو مختلف، فإنى آخذ بالجانب العقلانى. والذى يقرر خيارى فى النهاية هو ما أكتشفه بالتحليل العقلانى وليس بالانتماء العاطفى، أو التلقائى، أو الغريزى، أو الطبقى. وهذا يفسر أشياء كثيرة فى حياتى فيما بعد. وأغالط لو ادعيت غير ذلك. وهنا مجموعة من الدروس التى استخلصتها من تجربتى:

١- أنت قد تنسج لنفسك هوية وتقول أنا أريد أن أنتمى لكذا، وأنا اقتنعت بأن أنتمى لكذا. وقد يكون ما تفعله فى الحقيقة شيئًا آخر تماما.

٢- المحصلة التى هى نتاج حركة جماعية كثيرا ما تكون مختلفة فى دلالتها الحقيقية عما هو مراد من كل المشاركين فيها.

٣-فى كل موقع، تناقض رئيسى ما، يفرض نفسه على كل من هو حوله. والتناقض الأكثر خطورة فى الشرق الأوسط هو التناقض الناجم عن الصراع العربى/الإسرائيلى، وليس تناقض الاشتراكية مع الرأسمالية. هذه هى القضية لأن البعد القومى أكثر تأثيرا فى مجريات الأمور من البعد الأممى. وقد ثبت هذا من تجربتنا، لأننا كنا نعتقد أننا أساساً ماركسيون، ولكن اتضح أننا أصبحنا فى النهاية أداة - أو رد فعل - لأمور خارج إرادتنا لم نخطط لها. لم نكن مقررين (بكسر الراء) وإنما كنا مقررين (بفتح الراء).

وأضف: كثيراً ما ينطلق المرء من الإيمان بشىء معين، لكن المحصلة الحقيقية شئ آخر. وليس هناك وسيلة للتحقق مقدماً بأن ما تدعيه لنفسك هو الصحيح. طبعاً هنا ندخل فى قضايا فلسفية عويصة. إن الانتماء لمدرسة سياسية تنسب نفسها إلى العلمية تفترض القدرة على السيطرة، بينما يثبت كثيراً أن الاعتقاد بأنك مسيطر، هو تعبير عن أنك خاضع لسيطرة شىء خارجك دون أن تدرك.

لقد انفجرت حدتو بعد حرب فلسطين. كيف يمكن تفسير ذلك؟ ليس صدفة أن كل القيادات اليهودية أزيحت على مراحل. بعد نشوب حرب فلسطين، بدأت عمليات إزاحة القيادات

اليهودية، كل تنظيم بدوره، حدتو، ع.ت. إلخ. وكانت القرارات الجماعية للشيوعيين المصريين وليست قرارات كوريل، هي التي تسود. وعندما أممت قناة السويس كتتويج لحركة عبد الناصر الثورية ذات البعد القومي، وجد الشيوعيين أنفسهم مع عبد الناصر "البرجوازي"، لدرجة أنه أصبح من غير المحتمل والمعقول والمقبول أن يكون الخلاف بين الشيوعيين أعمق من خلافهم مع عبد الناصر، وهذا هو الذي حسم الوحدة ، والذي حسم الوحدة لا مجرد الرغبة في الوحدة، ذلك أنه كانت هناك مجموعات يهودية في حدتو تقاوم الوحدة. الذي وحد الشيوعيين أنه لم يكن بوسعهم ألا يتحدوا فيما بينهم وأن يتحدوا مع عبد الناصر. والأمر الذي عطل الموضوع هو أن الزملاء اليهود ناهضوا بعناد تخليهم عن مراكزهم القيادية. ولكن في النهاية تخلوا . وهنا تحول التنظيم من تنظيم تابع لليهود إلى تنظيم تابع للناصرية. وعندما نصحهم خروشوف بحل الحزب (هذا على الأقل السيناريو الذي أتصوره)، لم يعترض الشيوعيون، وأعضوا ولا هم لعبد الناصر، انطلاقا من افتراض أن عبد الناصر وارد أن يصير في طريق التطور اللارأسمالي، وأن يصبح هو نفسه اشتراكيا لا يناهض الشيوعيه يوماً ما، لذلك كان على الشيوعيين عدم معاكسة حركته في اتجاه الشيوعية، وألا يشكلوا قطباً بنفره من الشيوعية، بل قطباً يجذبه. وليس مصادفة أنه بعد ستة أشهر من الخروج من السجن، وبعد كل ما تحمّله الشيوعيون في السجن من عنت وتعذيب واضطهاد، قد تخلوا عن تنظيماتهم المستقلة. ومحافظة على كرامة الشيوعيين، جاءت عمليات الحل خارج السجون، بعد الخروج، وليس داخلها. والكل حل، باستثناء الذين تبنوا الخط الصيني المدين لخط خروشوف أصلا.

لقد كان يوجد في مصر ماويون. وكنا في السجن نتابع بعناية شديدة الخلاف الصيني السوفيتي، ولم نكن مدركين أبعاد هذا الخلاف قبل دخولنا السجن عام ١٩٥٩، ولم يكن الخلاف قد بلغ ذروته قبل ١٩٥٩ ، وبالتالي لم نكن مدركين أبعاد الموضوع. أما داخل السجن، فلم يكن هناك مفر من التسليم بخطورة الخلاف. وكنا نسمع الإذاعات. وأبرز مجموعة تبنت الخط الصيني، قادها إبراهيم فتحي وشملت عادل رفعت وبهجت النادي وعلى الشوباشي وغيرهم. ثم كان هناك محمد عباس فهمي العضو المخضرم بحدتو الذي تبنى هو الآخر الخط الصيني.

الموقف من القضية الفلسطينية

قضية فلسطين لم تكن في منظورنا، ولوقت طويل، محورية قط. وهذا أيضاً دليل على صحة نظريتي بشأن ما أسميته "المرحلة اليهودية". فعندما كنا تنظيمات تتحدث عن هذه الأمور، لم يكن هناك هذا التركيز الذي كان من المفروض أن يركز عليه أي تنظيم له بعد وطني أو قومي. لم يكن الموضوع يلفت انتباهي، وانتباه كثيرين غيري، كما كان ينبغي.

أذكر ذات مرة أن لطيفة الزيات (زميلتنا منذ أيام اسكرا) قد ألقت محاضرة عن القضية الفلسطينية بجامعة القاهرة عام ١٩٤٧، ولفت نظري ما قالته. فكنا ملتبسين في هذا الموضوع، لأن الذي كنت أسمعه أن اسكرا كانت تدافع عن قرار تقسيم فلسطين. على الأقل في الجلسات الخاصة وشفاهة. وأعتقد أن لطيفة لم يكن هذا موقفها، إذ أذكر أنها تحدثت عن مظاهرات من أجل فلسطين، وأنه كان هناك بعد مشترك مع القوى الوطنية والقومية. كان هذا في ساحة الجامعة، ولكن لأني كنت قادماً من الليسيه، ومن الحالة الفكرية التي كانت سائدة في اسكرا، بكوادرها اليهود، فكان مدخلي إلى موضوع فلسطين مخالف للمدخل القومي أو العربي. كان الشيوعيون في لبنان وسوريا أكثر حساسية لنبض الشارع. وقد خالف خالد بكداش موقف الحزب السوفيتي من قرار التقسيم، وأعلن صراحة عدم موافقته على قرار التقسيم. هذا ما أتذكره. وأعتقد أن شيوعيين غيره في المنطقة قالوا وقتها إنه "من الصعب جداً تحدي قرار لستالين". وكان جروميكو هو الذي أعلن قرار التقسيم في الجمعية العامة للأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧، وكان ما فعله خالد بكداش ملفتاً للنظر. وأنا أذكر في (م.ش.م) مسألة كنا نبرر بها موقفنا وهي: لماذا يترك الإنجليز القوات المصرية تعبر، وتحارب في فلسطين، والإنجليز ما زالوا مرابطين في القناة؟ أليس معنى ذلك أن خوض الحرب في فلسطين عملية تتم في تواطؤ مع بريطانيا؟ مع الاستعمار البريطاني ضد قرار التقسيم؟ ذلك بينما السوفييت يريدون قيام دولة يهودية جنبا إلى جنب مع دولة فلسطينية. تعلمنا أن ننتقد الموقف العربي الرافض للتقسيم، وقيام دولتين في فلسطين.

كنت في ثقافتي السياسية في هذه الفترة قاصراً تماما فيما كان يتعلق بالقضية الفلسطينية، وبالتالي في القضية القومية عموما. والمطروح في نظرنا وقتذاك كان موضوع التحرر الوطني في اتجاه الاشتراكية، بمعنى أننا كنا أكثر حرصا على الاشتراكية منا على

الوطنية، ولم يكن البعد القومى مطروحا بشكل واضح. كان البعد القومى غائبا، والبعد الوطنى فى إطار البعد الاشتراكى (الشيوعى). كان التحرر فى جوهره أممية واشتراكية وشيوعية والحلقة الوطنية غامضة والقضية المركزية فى البعد القومى مغفلة. أنا أعبّر عما تذكر أنه كان تصورنا وقتذاك.

وبمراجعة القضية الفلسطينية كما كنا ندركها وقتذاك، تتخذ الأزمة التى نشبت فى صفوف الشيوعيين المصريين عام ١٩٤٨ كل أبعادها، ويصبح لها تفسير منطقى. فلقد افتضح كوريبل وخط القوات الوطنية الديموقراطية الذى كان يدعو له، لا لاعتبارات "وطنية" تتعلق بمصر، ولكن لإغفاله تماما البعد القومى. وقام شهدى وأنور عبد الملك (شهدى المسلم وأنور القبطى) لتأكيد البعد القومى وإزاء نجاح هذه الانتفاضة ضد قيادة كوريبل، وخطه المتهم بالسننية، قام فريق آخر يهودى (أوديت وسيدنى)، وقد نجح فى اجتذاب مجموعة "تحر منظمة بلشفية" بقيادة ميشيل كامل، وهى التكتل الذى جذب غالبية الطلبة وقتذاك. نجحت "صوت المعارضة" (تنظيم أوديت وسيدنى) فى احتواء تمرد الشيوعيين على قيادة كوريبل بانتهاج خط "يسارى" متطرف، بعد أن دارت المعركة ضد كوريبل على أرضية إدانة خطه "اليمينى" المتمثل فى "خط القوات الوطنية الديموقراطية".

باختصار، أزعم أن تطرف م.ش.م. يساراً كان لإعادة احتواء ما أفلت يمينا. كان كوريبل، بخطه الفضفاض، خط القوات الوطنية الديموقراطية، قد عرّض نفسه لهجوم سهل: "أنت لست شيوعيا، أنت ديموقراطى. خطك ديموقراطى وليس شيوعيا. وهو خط لمجموعة طبقات فى صورة تنظيم طائفى وفئوى، يجمع أكثر من اتجاه. وأنت لست تنظيماً طبقيا متجانسا. حدتو ليست تنظيماً طبقياً. ليست شيوعية. هى حركة، وليست حزباً. إنها حركة ديموقراطية للتحرر الوطنى، ليست اشتراكية، ولا هى شيوعية ولا هى طبقية. حتى عنوان الحركة معبر". وبعد العمل من أجل تصفية حدتو، جاءت م.ش.م. لتعلن: "لا نستطيع إنشاء حزب.. لأنه يجب أن نحقق قاعدة ذات ثبات ودوام فى الطبقة العاملة قبل أن نعلن إنشاء حزب، لأن الحزب عرضة لأن يختفى إذا قبض على قياداته. وبناء على ذلك، فنحن لسنا حزباً شيوعياً بعد. نحن مجرد منظمة شيوعية، لحين نثبت أهليتنا وأحقيتنا فى أن نكون حزبا". وانتهى الأمر بهدم القائم دون إحلال بديل محله!

ولذلك أقول إن هذا التنظيم كان رد فعل من المجموعات اليهودية لاستعادة السلطة بعد أن فقدها كوريبل، وبعد أن رأينا عدة تنظيمات تتابعت زمنيا، أولا (التكتل الثوري)، ثم (المنظمة البلشفية المصرية)، ثم تنظيم آخر أنشأه عادل (عبد المعبود الجبيلي) وأسموهم وقتئذ (العادليين). وأخيرا حزب (الراية)، وقد اتسمت كل هذه التنظيمات، كل بطريقته، بالتعبير عن خط يحرص على التراؤم، لا التعارض، مع الاتجاه القومي.

وأنا أزعم أن حرب فلسطين كانت من أهم الأسباب التي ترتب عليها عجز الشيوعيين المصريين من امتطاء الموجة الثورية التي برزت بعد الحرب العالمية الثانية. لم يمتطوا موجة ١٩٤٦ كما كان ينبغي، وعجزوا عن امتطاء الموجة الثانية عام ١٩٤٨، بل انفجرت الحركة من داخلها. وأتاح ذلك الفرصة للضباط الأحرار كي يملأوا الفراغ.

كيف تتذكر أحداث ١٩٤٦

سنة ١٩٤٦ كنت لا زلت في الليسيه. وقد دخلت الجامعة سنة ١٩٤٧. شاركت طبعاً في مظاهرات. كنا في إعدادي هندسة ،وكان معنا حسن صدقي. كان هو زعيما طلابيا من السنة السابقة، ولكن عن منظمة أخرى. توحدنا وكان ينتمي هو إلى تنظيم كوريبل. لكن كان المناخ بالجامعة أقل حدة مما كان في العام السابق. ثم أخذت المشاجرات التي نشأت في أعقاب الوحدة ومع تفشي التكتلات هي التي تسود. أصبح أغلب نشاطنا تنظير الخلافات التي برزت قيام التكتلات. أي أصبح النشاط منصبا على داخلنا وليس نشاطاً جماهيرياً. وقمنا بالنشاط الجماهيري في حده الأدنى، مثل توزيع المنشورات. ثم كانت هناك فيما يخصني حكايات أخرى. إذ بدأت السلطات تعلم أن لدي نشاطا كثيفا. وكان النقراشي باشا، رئيس الوزراء، قد التقى بزوج خالتي، عبد الحميد الشواربي باشا، وقال له اذهب قل لعباس باشا إن ابنه متورط مع الشيوعيين. بيد أن عقليتنا كانت عقلية فدائية إلى أقصى درجة تصل إلى حد الانتحار، وكنت أدرك أن عام ١٩٤٨ آخر عام سوف أواصل فيه الدراسة، وأن الظروف تنبئ بانتقالنا قريبا إلى السرية، وتحولنا إلى محترفين ثوريين. كنا في الكلية نتوقع أننا لن نستمر. وكان ضميري يؤنبني لشعوري بأني لا أعطي للتنظيم ما يكفي وليس العكس.

كانت الحالة النفسية عطاء بلا حدود. وكنت أنا ممن يملكون مالا، أو وارد أن أملك مالا. ولكن لم أكن أملك سلطة. وكانت هناك قيادات تملك سلطة ولا تملك مالا. وبعد حدوث الوحدة، وبالذات وحدة يناير ١٩٥٩، برزت مشكلة تمثلت في التباين بين مصادر المال المطالبة

بالإسهام الكثيف فى تمويل التنظيم، وبين توزيع المحترفين الذين يتعين تزويدهم بالقدرة على مباشرة نشاطهم. على سبيل المثال: كان أغلب المحترفين من "الموحد"، بينما كانت مصادر التمويل الرئيسية من "الراية". وهكذا أصبح التمويل أداة تأثير سياسى، خاصة فى مناخ تسوده التكتلية، مع ادعاء خضوع الجميع لقواعد التنظيم اللينينى واحترام "المركزية الديمقراطية"!.. أصبحت المشكلة المالية تعبيرا صادقا وملموسا عن ازدواجية التنظيم. ومن الأمور التى أغضبت فؤاد مرسى منى فترة ،ونحن فى سجن الواحات كتابتى لتقرير عن تاريخ الحركة الشيوعية. و قد سجلت فيه الآلية الحقيقية التى كانت تحكم إعمال التكتلية فعلا مع التظاهر باحترام قواعد التنظيم اللينينى شكلا. كانت نظريتى أن هناك تنظيماً رسمياً وتنظيماً فعلياً. والتنظيم الفعلى يحكمه العمل التكتلى أولاً، والتنظيمات عندما اتحدت لم تكن أبداً تخلت عن ذلك. وهكذا بدأت أدرك عنصراً "واقعياً" فى مزاولة العمل الشيوعى. كانت المرحلة الأولى من انتمائى إلى الحركة مثالية جداً بحكم أوضاعى وكيفية انتمائى إليها. وعندما أخذت المنظمات الشيوعية تتوحد، بدأت أدرك أن افتراضاتى المثالية بعيدة تماماً عن الواقع، وبدا لى أن الاحتراف فى الشيوعية لا يختلف كثير عن الاحتراف فى حزب الوفد، أو حتى فى حزب كالحزب السعدى.

الموقف من النضال المسلح سنة ١٩٥١ فى القنال

كنت فى السجن وكنت أتابع الأحداث فقط من خلال ما كان يصلنا من صحف ومجلات.

الموقف من السلطة

كنا ضد السلطة، وكانت توجهات (م.ش. م) تدفعها إلى اعتبار السلطة بعد قيام الثورة "فاشيستية"، و"عصابة عسكرية"، ثم بدت وجهة نظرنا وكأنما تأكدت بعملية كفر الدوار التى حكم فيها بإعدام عاملين: خمس والبقرى.

الموقف من قوانين الإصلاح الزراعى

كنت طبعاً مناصرا لقوانين الإصلاح الزراعى، دون ما نظر إلى أنها قد وجهت ضربة قاضية لممتلكات والدى (كان هو ضمن الباشوات العشر الذين رأوا أن يعبّروا لضباط الثورة عن عدم رضاهم بهذه القوانين). كنت قد انفصلت تماما عن طبقتى، وانقطعت صلتى بأهلى تماما. وحتى

سفر أوديت وسيدنى إلى باريس عقب أحداث مارس ١٩٥٤، اقتصرت علاقتى بأهلى على زيارة واحدة فى بداية كل شهر، لأخذ نقود منهم بدأت بمبلغ ثلاثين جنيهاً فى الشهر، ثم زودت لمبلغ خمسين فسبعين جنيها شهريا. وكان ذلك وقتئذ مبلغاً كبيرا. فكنت أعيش على ستة جنيهات، واستأجر شقة أنا وأحد الزملاء بستة جنيهات أخرى. وكان الباقى كله للتنظيم. كانت أوديت فى هذه المسائل صارمة.

الموقف من تاميم قناة السويس والعدوان الثلاثى

حتى مؤتمر باندونج فى ١٩٥٥، كان الموقف ثابتًا من الضباط الأحرار وهو أنهم مجموعة فاشيستية. ثم بدأ الموقف يتغير، وقد مثل تأميم قناة السويس فالتعرض للعدوان الثلاثى الذروة فى هذ ا التغيير والشعور بضرورة الدفاع عن النظام، فوق أى اعتبار آخر. وكان والدى عند وفاتى قد ترك لى أرضا ومبلغا فى البنك. وذهبت صبيحة شن العدوان الثلاثى لبنك ،وأخذت ثلاثة آلاف جنيه وأعطيتها للحكومة، عن طريق خالد محيى الدين الذى كان يرأس وقتذاك صحيفة "المساء". كانت هذه أول مرة ألتقى بخالد محيى الدين. ولكن رأيته المؤهل قبل غيره على تلقى تبرعى.

الموقف من وحدة ٨ يناير

كنا بالتأكيد مع الوحدة. واجتمعت اللجنة المركزية، فى أول اجتماع لها، بشقتى التى ما زلت أقيم بها. لقد عدت بعد وفاة والدى إلى شقة أهلى. فؤاد مرسى هو الذى دعانى إلى أن أعود. قال لى: لا داعى لمواقف بطولية لا مبرر لها، وعدْ للإقامة مع والدتك. فعدت للبيت قبيل اعتقالات يناير ١٩٥٩.

كانت والدتى سمعتها طيبة للغاية عند الشيوعيين، حيث ذهبت ثلاثين مرة على الأقل إلى سجن الواحات، وكانت تحمل أمتعة لكثيرين من المسجونين، وذلك بعد إجراء عملية استئصال للثدى فى ظروف صعبة. ظلت مزمنة بى، مؤمنة بأنه، فى يوم ما، سوف يثبت أن الطريق الذى اخترته ليس ضياعا، حتى مع غيابى التام، وعدم علمها قط بأين أنا. كانت ترفض أن يقال فى حضورها أى شيء سيئ عنى.

ذكرت أن الذى وحّد الشيوعيين هو الرغبة فى التوحد مع عبد الناصر. وتطلب ذلك إبعاد

الزملاء اليهود من المراكز القيادية. وكانت حدتو بها "مجموعة كورييل" (المسماة حركيا "مجموعة روما")؛ التى كان معروفا عنها أنها تملك كلمة حاسمة فى تقرير مقدرات هذا التنظيم. فعندما تم التوحيد، تقرر إبعاد كوريبل وجماعته فى باريس، على الأقل من الوجهة الرسمية، وأصبح التنظيم يتسم بطابع مزدوج. إذ كانت هناك الاجتماعات الرسمية التى يحضرها جميع أعضاء الحزب، ولها لغة وطقوس وأساليب عمل، ثم تجتمع التنظيمات التكتلية الموازية فى نفس الوقت، وكل مجموعة تجتمع حسب أصولها، وتتكلم لغة خاصة بها.

وكل تكتل كان يبرر اجتماعاته الخاصة بدعوى أنه يمثل "التيار الثورى"، والباقون انتهازيون ومنحرفون. ولولا ظروف تلزمنا – دون أن يقول أحد ما هى هذه الظروف – لا أحد يريد أن يعترف بأننا كنا نريد أن نتبع زعيما "بورجوازيا"، قائدا للمسيرة الثورية. وهذا كان فى نهاية الأمر المعضلة التى كانت تحكمنا، حتى لو لم نكن نريد أن نسلم بها.

فلم يتخل أى من التكتلات عن تكتله. باستثناء عناصر لم تكن تنتمى إلى أى تكتل أصلا، ولم يكن لها غير مركزها فى التنظيم "الرسمى". وفى أحوال كثيرة، كان هؤلاء ينهضون بدور الوسطاء بين التكتلات. فى أغلب الأحوال ضمنيا، وأحيانا عند احتدام الصراعات بشكل علنى. من هنا كانت لهم وظيفة ما. شخصيات ذات صفة مستقلة نوعاً ويرى كل طرف أن كسبها إلى صفه مهمًا. منهم زميل كمحمود العالم مثلا، لم يكن ينتمى إلى صلب "حدتو". وأتى عن طريق "الموحد". لا هو "راية" ولا هو "حدتو" ولا هو "ع.ف." ولكن بصفته هذه، وصل إلى أعلى المراتب فى الحزب.

وهكذا كانت الوحدة مفتعلة، لأنها محكومة باعتبارات خارجية (ضرورة إنجاز وحدة الشيوعيين كشرط سابق على "الوحدة" مع عبد الناصر)، وهذا الافتعال وجد انعكاسه وتعبيره التنظيمى فى صورة "التنظيم المزدوج".

إلا أن المسائل ارتبكت فى نهاية الأمر. لأن فكرة أن عبد الناصر كان يريد "وحدة شاملة" على صعيد "الوحدات العربية"، بينما كان الشيوعيون يطالبون بـ"وحدات فيدرالية"، وباستقلالية نسبية إنما أفضى إلى صراع مر كان مآله دخول الشيوعيين فى أغلبيتهم الساحقة السجون ابتداء من أول يناير ١٩٥٩.

انتخابات مجلس الأمة سنة ١٩٥٧

كنا ضد هذه الانتخابات. كنا كشيوعيين نقول إن هذه لعبة. وكنا وقتئذ ننتهج الخط الصينى، وشعار "الوحدة والصراع". نتصارع طبقياً وننتهج خط الجبهة قومياً ووطنياً. ولكننا كنا فى الحقيقة ننتهج خط "الوحدة" بدون "صراع". كنا نهاجم، لكن كان هجومنا فى تقديرى صوريا. لذلك ذهلنا عندما اعتقلنا فى أول يناير ١٩٥٩. لم نكن نصدق ما حدث، لأننا كنا فى الحقيقة قلباً وقالباً مع عبد الناصر. كنا نزعم التمايز عنه بالقدر الضرورى، حتى نبرر لأنفسنا أن يكون لنا تنظيم مستقل.

من أهم القضايا التى ميزت التجربة كلها بقا، نظام "التكتلية" رغم تتابع عمليات الوحدة بين التنظيمات الشيوعية. فلم يكن صحيحاً أن التنظيمات السابقة حل محلها تنظيم الحزب الموحد. كانت اللجنة المركزية تجتمع. ولكن تصويت أعضاء اللجنة كان مقررا سلفا ومعروفا. كانت الاجتماعات الحقيقية تنعقد فى صورة اجتماعات تكتلية خارج اجتماعات ل.م. الرسمية. كان هناك شبه اعتراف ضمنى بذلك. بمعنى أن كل طرف كان يعلم أن الأطراف الأخرى تقيم هى الأخرى تكتلا، وكان هناك أفراد تلصق بهم التكتلية حتى مع عدم انخراطهم فى أى من التكتلات، مثل سعد رحمى، وإلى حد ما محمود أمين العالم.

عندما أنشئ الحزب الذى جمع المنظمات جميعا فى ٩ يناير ١٩٥٨، تشكلت قيادة ثلاثية من ممثل "للراية" (فؤاد مرسى)، ول"ع.ف." (أبو سيف يوسف) وللموحد (كمال عبد الحليم). غير أنه سرعان ما "تكتل" اثنان ضد الثالث. كان الاثنان قبل تشكل حزب ٩ يناير هما طرفا "الحزب المتحد" (الموحد والراية) ضد (ع.ف). غير أن تشكل حزب ٩ يناير أسفر عن معادلة جديدة، ونشأت لقاءات تكتلية ضمت (ع.ف والراية) ضد المجموعة التى نظر إليها على أن ولا بعد ما زال لكوريبل فى الموحد. وحاول محور الراية-ع.ف. سلخ التنظيمات الصغيرة التى انضمت إلى الموحد، وضمها إلى محورهما. كان محمود العالم الوجه الأبرز الذى استعين به فى هذه المناورة. فقد تشكلت قيادة ثلاثية من فؤاد مرسى وأبو سيف يوسف حل فيها محمود العالم محل كمال عبد الحليم. كان كمال ممثلا أصيلا لاتجاه كوريبل، ولكن هذا لم يكن ينسحب قط على محمود العالم. كانت هذه المناورات تعبيراً صادقا عن ازدواجية السلوكيات فى داخل إطار ما وصف بالوحدة.

وقد كان التمويل، كما سبق وأشرت، يلعب دوراً خطيراً، بما فى ذلك دورا مفسدا فى محاولة كسب الأصوات وتغيير موازين القوى. كنت شخصيا أقدم لحزب الراية ما كان يشكل قسطا كبيرا مما كان ينفق عليه. وظللت ممولا رئيسيا للحزب حتى اعتقلنا جميعا. وانتابنى الشك، بعد فترة، أن موقعى المتميز فى التنظيم كان محكوما باعتبار التمويل قبل اعتبار الكفاءة، فكرية كانت أم نضالية.

وكان هناك التمويل الرسمى والتمويل الباطنى. كان يأتى لى كمال عبد الحليم وأنا من أصل تنظيمى مختلف عنه، ويطلب منى أن أسهم ماليا فى مشروعات جانبية لا أعلم عنها شيئا. وكنت أشعر بأننى لا بد أن أبى. وكان فؤاد مرسى يتهمنى بالخلل فى التصرف. وكان بعض الأعضاء القياديين فى الراية (وربما أيضا غير الراية) يقدمون على مخالفات تنظيمية صريحة، وعلى محاولات مكشوفة لافساد الزملاء، وكانت وسيلتهم للخروج من المأزق، إذا ما ضبطوا، ليس بتصحيح الخطأ، وإنما بالتورط فى أخطاء أكبر، لتغطية الخطأ الأصغر! وهكذا تتوه الأخطاء، ويتوه التحقيق، ويفلتون من الحساب. وتصبح المخالفات بدون بداية أو نهاية.

وقد لعب الحزب الشيوعى الإيطالى دوراً هاماً فى الوحدة والانفصال. فإن مسئولين كبارا فى الحزب الإيطالى كانوا أصدقاء شخصيين لقياديين فى حزب الراية. وكذلك بعض المسئولين بالحزب الشيوعى الفرنسى، نتيجة إقامة إسماعيل صبرى عبد الله، وأيضا فؤاد مرسى، سنوات طويلة فى فرنسا. وقد اتبع الحزب الفرنسى بالذات سياسة العصا والجزرة. كان يؤكد أن الحركة الشيوعية الدولية لن تعترف بالشيوعيين المصريين طالما ظلوا منقسمين. فقط عندما تتم الوحدة بينهم سيكون هناك دعم، حتى وإن كان بشكل غير مباشر من خلال مشروعات تجارية.

وقد لعب الحزب الشيوعى العراقى دورا حاسما، سواء فى إنجاز الوحدة أو فى الانقسام الذى تلا الوحدة بعد ستة أشهر. وكان ذلك على ما يبدو، وفى الحالتين، محكوماً بالمصالح الاستراتيجية للحزب الشيوعى العراقى، بغض النظر عن اعتبارات مصر. فبعد وحدة الشيوعيين المصريين فى يناير ١٩٥٨، تمت فى فبراير من العام ذاته الوحدة بين مصر وسوريا. واضطر الزعيم الشيوعى السورى خالد بكداش أن يخرج من سوريا فى آخر لحظة، وهاجم عبد الناصر بشدة، وألقى خطابا شهيرا فى بيكين ندد فيه بموقف عبد الناصر من سياسة الوحدة، وإصراره على وحدة اندماجية بدلا من الوحدة الفيدرالية. وبعد ذلك بأسبوع بدأت الاعتقالات

التي كادت تشملنا جميعا.

كان العراقيون يبحثون عن قوة في مصر يمكن لهم الاعتماد عليها وموازنة قوة عبد الناصر. فكان لا بد من إبعاد اليهود، وأن يكون الحزب قادراً على إقامة علاقات مفتوحة وصحية مع قوى قومية لا تترك الساحة لشخص عبد الناصر وحده. كان هذا ما يشغل العراقيون، ذلك أنهم كانوا متخوفين من أن يوجه عبد الناصر ضربة للتجربة العراقية الأكثر راديكالية، كما وجه ضربة للتعددية الحزبية في سوريا.

وعندما جاءت ثورة تموز، أصر مندوب الشيوعيين العراقيين قبيل الثورة على أن يحدث انفصال، لأنهم اعتبروا مجموعة كورييل مستسلمة لعبد الناصر، بينما الآخرون كانوا أكثر حرصاً على الاستقلالية عن عبد الناصر. سواء "الراية" أو (ع.ف).

وأنا لا أقول أبداً أن العناصر اليهودية في الحزب وقتذاك كانوا صهاينة. بل بالعكس كان هناك تماد من جانبهم في الاتجاه العكسي. ولكن كان هناك أيضاً في صميم قلبهم شيء ما لا يريحهم. فعندما كانوا يتمادون ضد الصهيونية، تمادوا أيضا في تحفظاتهم حيال فكرة القومية العربية. فلم يكن معقولاً أن يقلعوا عن شيء وارد أن يؤثر في شخصيتهم وهويتهم ثم أن يجدوا أنفسهم قد أفرطوا في الاتجاه النقيض. فكانوا أكثر صلابة حيال أوجه الخلل وعدم الاتساق في الموقف القومي.

وجاء مندوب الحزب الشيوعي العراقي الرفيق جاسم (عامر عبد الله). وشجع حدوث انفصال. وتقرر فصل أربعة: كمال عبد الحليم وشهدي عطية وأحمد الرفاعي ومبارك عبده فضل. وكان القرار لا شك قراراً تعسفياً. أسلم بذلك علما بأني كنت ضمن من صوتوا له.

ثم حدث بعد ذلك بقليل أن استدعى السادات محمود العالم ،وطلب منه حل الحزب. ولكن محمود رفض وقال إنه لا يملك. كانت المقابلة ببيت السادات وقتذاك بشارع الهرم واستمرت حتى الثانية صباحا. ثم طرد السادات محمود العالم من البيت، ولم يكن يوجد تاكسي في ذاك الوقت المتأخر من الليل. واضطر محمود أن يمشي إلى منزله في جاردن سيتي، بعد أن رفض السادات أن يوفر له سيارة لأنه لم يلبي طلبه.

وقد بلغ التوتر مع الشيوعيين مداه مع زيادة تسلط عبد الكريم قاسم على الحكم، ثم وقت حدوث حركة الشواف. وهي حركة دبرت داخل البعث، بتحريك من عبد الناصر. وعندما ضربت بقسوة في العراق، عوملنا وكأننا رهائن، وأرسلونا للواحات. وبدأ التعذيب بصورة منتظمة.

سياسات الاتحاد السوفيتي

كنا نؤمن بأن السوفيت هم المرجع. ولكن تعرض إيماني للاهتزاز، ربما قبل غيري في هذا الصدد لظروف أتيحت لي ولم تتح لكثيرين غيري في مصر على نحو مماثل:

أولاً- عندما مات ستالين، بكيت عليه أكثر مما بكيت على أبي. هكذا كانت تتجسد الأشياء في أعيننا سنة ١٩٥٣، كنت أعتقد أن مقتضيات الاستقامة تقتضي تغليب أشياء على أشياء.. الحزب على العائلة، وعلى حبي لأهلي، حتى لوالدي ولوالدتي. وهذا ما جعلني أتكشف إذا كان ما أغلبه كذبا، أو تضليلا، أو تلاعبا بي، فإنه من حقي استعادة حريتي في نقده.

الصدمة الثانية، التي أوجبت النقد، كانت المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي. كان المؤتمر صدمة كبيرة. وتساءلت: ما الذي حدث؟ علما بأني في ذلك الوقت (فبراير ١٩٥٦) كنت قد ابتعدت نسبيا عن العمل الحزبي المنظم، ذلك أن أوديت كانت قد سافرت إلى فرنسا في مارس ١٩٥٤، وكنت قد عدت إلى كلية الهندسة، كما دخلت كلية الحقوق في تواز مع دراسة الهندسة الإلكترونية ابتداء من عام ١٩٥٣/٥٢. سافرت أوديت قبل أيام من هبة مارس الشهيرة. سافرت وتخلت عن جنسيتها المصرية. وكانت معها جنسية فرنسية أصلاً. سافرت ولم تعد. وحاولت أن تشكل في باريس مجموعة تدافع عن مصر. وأنا ظللت فترة أسهم ما وسعني في دعم أنشطة أوديت في باريس من القاهرة ماديا. فكان والدي قد توفي وأصبح بمقدوري النهوض بهذه المهمة. إلى أن جاء يوم وقررنا نحن المتبقون من م.ش.م. القديمة، فاطمة زكي ونبيل الهلالي والمستكاوي وبولس حنا وسعد الطويل. وقال بولس إن استمرار الوضع على ما هو عليه غير معقول. فنحن مقبلون على مواجهات خطيرة (على ما عرف فيما بعد بالعدوان الثلاثي: إسرائيل وفرنسا وإنجلترا). فإن أوديت ومجموعتها تقيم في فرنسا وهي يهودية. فهل يستقيم أن تقود من هذا الموقع الشعب المصري ضد العدوان الثلاثي البريطاني-الفرنسي-الإسرائيلي؟

ولا شك أننا قد تأثرنا بوجهة نظر بولس، لأن كلامه كان مقنعا (ظل بولس معنا في مجموعة م.ش.م. حتى انضممنا إلى "حزب الراية" فالمتحد، فحزب ٩ يناير، ولم ينفصل عنا إلا بانتقاله إلى حدتو ونحن في المعتقل، وهو محام ناجح الآن وعمل طوال سنواته محاميا مع

نبيل الهلالى فى مكتبه).

وقبيل انفصالنا عن أوديت ومجموعتها، أرسلت هى وسيدنى سلامون نقداً ذاتياً، جاء فيه أننا عادينا الوفد معاداه لم تكن مبررة. وقاطعنا كل الشيوعيين الآخرين بصفتهم بوليس وتيتويين، وهنا أيضا لم يكن له ما يبرره. والحقيقة أن هذا النقد الذاتى الذى جاء بعد أوانه وعلى نحو أوحى بأن الغرض منه هو فقط استعادة الاتصال قبل فوات الأوان، لعب دوراً أساسيا فى مقاطعتنا لهم بعد ذلك بصفة نهائية. وقد اشترطت "الراية" كى تضم مجموعة م.ش.م إليها، استبعاد مجموعة باريس كلية، وأن نقطع بهم كل صلة. وشعرت بأن هذا القرار، الذى نقله إلىّ إسماعيل صبرى، صعب للغاية. كان رأدا لمرحلة تاريخية، وتجارب قاسية وسجن. ولكننا قبلناه.

إسماعيل صبرى عبد الله شخص عبقرى وعقل موسوعى وداهية، ولكن مشكلة إسماعيل أنه كان يريد أن يجمع بين تواجده فى مركز قيادى بالدولة (المؤسسة الاقتصادية وقتذاك) وبين قيادة الحزب الشيوعى المصرى. فكان يتجنب قدر ما يستطيع التواجد المادى مع الشيوعيين، تحاشيا للتعرض لظروف تكشف هذه الازدواجية. فمثلا، كان اتصاله الوحيد بالحزب طوال مرحلة معينة قبل اعتقالات ١٩٥٩ عن طريق التواجد بشقتى فى الزمالك، حيث كان يتولى مسئوليته كمسئول أمام اللجنة المركزية والمكتب السياسى عن الفيوم والمنيا وبنى سويف. كنت أنا مسئولاً عن الفيوم وأحيانا عن بنى سويف، وأمضى يوما أويومين كل أسبوع بين زملائنا بهما. وكان هناك زميل آخر مسئولاً عن المنيا. وكان إسماعيل يأتى ليجتمع معهم عندى بمنزلى بالقاهرة. وكان إسماعيل يعتقد أن للبوليس عينا داخل اللجنة المركزية. هل هذا صحيح أو غير صحيح؟ لا أعلم، ولكن كان هذا إيمان إسماعيل.

الصراعات السياسية بين المنظمات

رأيى أنه ليس هناك تيار يستطيع أن ينسب لنفسه صفة "التيار الثورى". فالتيار الثورى لا يتقرر بأن يعلن عن نفسه أنه يتسم بهذه الصفة. وإنما يتقرر من خلال الممارسة وبحكم يصدر من الغير وليس بحكم صادر من الذات. وأن الحركة بالتالى ينبغى النظر إليها ككل لا يتجزأ. وإن الحركة بتمايزاتها هى تمايزات كل لا يتجزأ. وليس لطرف أن يزعم لنفسه صفة "المرجع" إزاء الأطراف الأخرى.

إلى اليوم ما زال الكل ينهج نهج اعتبار نفسه "التيار الثوري". وما كتبه رفعت السعيد في تاريخه للحركة هو عرض لتاريخ الحركة من وجهة نظر معينة، وتقرير من هو الجيد ومن هو السيء، ومن الكبير ومن الصغير، ومن ينبغي تعظيمه ومن ينبغي التشهير به، كله من وجهة نظر مقررة سلفا، حسب موقع المؤرخ من الأطراف المختلفة.

كنت أنا من أنصار النظرة الشاملة وأن نرى الإيجابي والسلبي لدى الكل، كشبكة متكاملة متعددة الأطراف و معبرة عن حقائق موضوعية. ومن هنا أقول إن الصفة الطاغية لفترة ما من تاريخ الحركة هي الصفة "اليهودية"، والصفة الطاغية في فترة أخرى كانت الصفة "القومية"، وإن الصفة "البروليتارية" لم تتحقق، وأذهب إلى أبعد وأقول، كما سبق وذكرت، إنه لو كانت الحركة شيوعية حقيقة حركة شيوعية، فلم يكن ينبغي أن أجند، لا أنا ولا نبيل الهلالي، ولا علي الشلقاني، إلخ. ذلك أننا، من حيث التركيب الطبقي والاجتماعي، أعداء طبقيون لهذه الحركة. ولكن أتوا بنا لأغراض أخرى، ولأن الإنسان، خلافا للحيوان، لديه القدرة على التحليل والتجرد عن الذات، ويتعين عليه أن يرى موقعه متجرداً من مصلحته الشخصية، وهذا مفترض في المثقف. فلا مهرب من إدراك أنه لا توجد حتمية أن تكون الحركة الشيوعية هي وفق ما هو يتعين عليها أن تكون، من الوجهة النظرية المجردة.

حل الحزب، كيف تم؟ وأسباب أزمة الحركة

حل التنظيم كان صفقة بين عبد الناصر وخروتشوف. هذا رأيي. وهناك قرائن قوية على ذلك، حتى مع افتراض عدم وجود أدلة قاطعة:

أولاً – بعد خروجنا من السجن في ١٩٦٤، وجدنا أننا نحن الشيوعيين المصريين، لم نكن وحدنا الشيوعيين الذين حلوا الحزب، بل كان هناك أيضا على المستوى العربي الحزب الشيوعي الجزائري. ثم طبق هذا فعلاً في كوبا- كان كاسترو والثوار المنتمون إلى حركته وطنيين، وحل الحزب الشيوعي نفسه ونصب كاسترو نفسه زعيما له. ولم يكن كاسترو شيوعياً إلا أنه سمى نفسه شيوعياً.

ثم كانت هناك – ثانيا- نظرية المنظر السوفيتي أوليانوفسكي الذي ظل ١٩ سنة في السجن أيام ستالين، ثم أصبح أحد كبار منظري القيادة السوفيتية أيام خروشوف، وسميت نظريته بـ"الطريق اللارأسمالي إلى الاشتراكية". وكانت الفكرة المركزية هي أن القادة الوطنيين

اليوم أصبحوا بصدد موازين قوى قد تغيرت وأصبحت متاحة لهم فرص تطور لم تكن موجودة من قبل. فإن الاشتراكية صاعدة والرأسمالية هابطة، وإن كثيرا من القوى الوطنية وارد أن تصبح روافد للبلدان الاشتراكية وللقضية الشيوعية. ولا ينبغي للتنظيمات الشيوعية المحلية أن تعوق تطور القادة الوطنيين، وأن تكون مبرراً أو سبباً في إشعارهم بأن الشيوعيين ضدهم، ويدينون بالولاء لدولة أجنبية. بل لا بد من تشجيعهم على مواصلة الطريق نحو الاشتراكية. هذا الاتجاه على الشيوعيين تشجيعه بأن يتركوا لهم التنظيم. ففيه مكسب أكثر للأطراف المعنية جميعا، ودور أكثر فعالية للشيوعيين هم أنفسهم.

ومن هنا كانت المشكلة مع خروتشوف حتى أن يخرجوا من السجن بكرامتهم وألا يطالبون باستنكارات. وفجأة تغير الموقف فعلا. وبعد أن كانوا يسألون عند نهاية مدة السجن: "هل أنت ما زلت شيوعيا؟" وإذا أجاب بنعم أو حتى إذا امتنع عن الرد، فكانوا يعاودون إلى السجن، فإن هذا كله تغير فجأة في أبريل ١٩٦٤، قبيل وصول خروتشوف لافتتاح السد العالي وخرج الكل، مسجونين ومعتقلين، دون ما التفات إلى مدة العقوبة. فكيف يمكن تفسير ذلك؟ لا شك أن هناك صفقة قد تمت على نحو أو آخر.

ثم لا ينبغي النظر إلى فكرة الصفقة على أنها معيبة. فلها تبرير نظري. ثم كان هناك وقتها انقسام بين حدتو والحزب. والاثنان بعد ثلاثة أشهر من الخروج أقدما على حل الحزب. وحدث فعلاً أن بعض الماركسيين قد احتضنتهم الدولة، ووضعتهم في مراكز حساسة. بيد أنها كانت مراكز إعلامية ولم تكن مراكز صنع القرار، وإنما مراكز كفيلة بأن تسمع بها السلطة. على أن تقرر هي إن كانت هذه المراكز مقبولة أم مرفوضة. لم يؤخذ أي من الماركسيين في مركز تنفيذي، بل فقط في مركز فيها ابداء للرأي.

ثالثا- كلفت في هذه الفترة من محمد الخفيف الذي كان على صلة وثيقة بزكريا محيي الدين (كان وقتذاك رئيساً للوزراء)، بالاتصال بمكتب رئيس الوزرا، لتقديم كشوفات عن الزملاء العمال الذين لم يكونوا قد عادوا إلى عملهم، ذلك أنه كان هناك قرار بإعادة الزملاء إلى أعمالهم. وكانت الطلبات تصب عندي وأتابع. وكنت أقابل سمير مصلح، مدير مكتب زكريا محيي الدين، بمعدل مرتين في الشهر أحيانًا. كي نراجع إلى أي حد نفذت لقائمة أم ظلت معلقة.

وفى أول مرة سافرت فيها إلى الخارج، جاءت لى دعوة من تشيكوسلوفاكيا وبولندا. تبلت الدعوة. رفوجئت بتلقى رسالة من رئيس الوزراء، تبلغنى بأن زكريا محيى الدين يطلب مقابلتى. وسألنى: هل أنت مسافر إلى تشيكوسلوفاكيا وبولندا؟ قلت نعم. قال لى: لا أريد منك سوى شيء واحد، وهو أن تبلغهم عن وضعك. ولم أفهم دلالة هذا الطلب وقتذاك. ولكن أدركت فيما بعد. فيبدو وكأنما هناك وعد أو اتفاق ما. وها هو أحدهم (أنا) بوسعه أن يشهد، وأن يبلغكم بنفسه حقيقة أوضاعهم.

وعندما ذهبت لبراغ، كان نورى عبد الرازق يتقلد هناك منصب الأمين العام لاتحاد الطلبة الديموقراطيين (وهو الآن سكرتير عام منظمة التضامن الأسيوى الأفريقى). فجمعنى نورى ذات يوم على الغداء مع عزيز الحاج، أحد كبار مسئولى الحزب الشيوعى العراقى وقتذاك (تخلى عن الحزب فيما بعد، وكان منذ وقت قريب مندوب العراق فى اليونسكو، ممثلا لصدام حسين!). وقال لى عزيز الحاج: كيف تحلون الحزب؟.. وأبدى معارضته بكل حزم، وبحدة.

وحدث وقتذاك أن زرت المجر وبولندا، فضلا عن تشيكوسلوفاكيا. وبصرف النظر عن حل التنظيم، فلقد عاملتنى البلدان الاشتراكية بشرق أوروبا معاملة متميزة.

رابعا- نفس الاهتمام بمصالحة الماركسيين المصريين مع عبد الناصر شهدته القاهرة فى الندوة التى عقدت بـ"الطليعة" سنة ١٩٦٥ بين مجموعتها من الماركسيين ومجلة السلم والاشتراكية فى براغ، وهى مجلة الأحزاب الشيوعية العالمية. وكان معنى ذلك أن موسكو تقول لعبد الناصر إننا نتبنى مجلة " الطليعة"، ونعتبرها مجلة "صديقة"، ونوعا من همزة الوصل بيننا. كل هذا يؤكد أن عملية الحل قد تمت بمباركة السوفييت.

انعدام الديموقراطية

وبالتالي جاز لنا القول، إذا كانت نظريتى صحيحة، إن هناك عملية قد تمت بطريقة غير ديموقراطية، عملية قررت مصير الحركة الشيوعية، دون إشراك كادر الحركة الشيوعية أنفسهم، عملية قدمت لهم على أنها قرار ذاتي.. وأنا شخصيا لم أحضر مؤتمر حل الحزب، ولا أستطيع أن أحكم على تفاصيله، ولكن أعتقد أنه كان قراراً علوياً. وهكذا تكرر، للمرة الثانية (بعد قرار وحدة إسكرا وح.م. فى ١٩٤٧)، صدور قرار علوى يمس مصير الشيوعيين فى الصميم بطرق غير ديموقراطية.

إن المنطق القائل بأننى أكون أنا "التيار الثورى"، التيار السليم، هو منطق معيب ومنطق أناس هم فى حالة طاعة ولا يستقلون بتفكيرهم ونضالهم. إن النضال لا بد أن يعنى استقلالية الموقف، ووضوح الرؤية، وليس أن يوظف المرء نفسه لدى قيادات تجند، ليعمل لحسابها ومن أجلها. وهذه قاعدة أعم تنسحب على مجتمعاتنا. نجد أمامنا هرما كبيرا هو حزب الحكومة وتحيط به أهرامات صغيرة، وهى، فى أحوال كثيرة، مماثلة للكبيرة، أو صورة مصغرة لها، حتى فى بنيتها الداخلية، وأن الشخص الغيور على استقلا له لا موقع له.

ففى التنظيمات الشيوعية، لم يكن مسموحاً لأحد بالاستقلالية عن التنظيم أبداً ، إلا فى حالات خاصة، نادرة، أنتجتها فى بعض الظروف موازين قوى معينة، وهى دائما ظاهرة مؤقتة فقط، وليس لها ثبات ولا أصالة . فإن الأصالة فقط لرؤوس الأهرامات!

ومن ثم لا توجد ديمقراطية. وعندما تمت الوحدة عام ١٩٥٨ ، كان المقياس لتقدير وزن المنظمات المختلفة، هو المقياس العددى ،لأنه تقرر أن يكون التمثيل فى اللجنة المركزية بحسب نسبة عدد الأعضاء. فكيف يتم التحقق من هذه النسب؟ هذه كانت مشكلة فى ظل السرية. فتقرر إجراء عمليات تفتيش على العضوية فى القواعد. وفى التفتيش حدث أن نفس الأعضاء يتقدمون أكثر من مرة متنكرين مرة فى صورة عمال، وأخرى فى صورة فلاحين، إلى غير ذلك من الأحابيل. وهى نوعية من الأحابيل لم تكن قطعا مقصورة على الشيوعيين وحدهم.

وعندما جاءت هزيمة ١٩٦٧ ، ونهض جيل تال من الشباب المناضل، نظر إلى الجيل السابق على أنه قد استسلم لعبد الناصر ويتحمل مسئولية فى الهزيمة. فى نفس الوقت، لم يحظ هذا الجيل بأى تقدير من قبل عبد الناصر. فحتى لطفى الخولى الذى تولى رئاسة تحرير الطليعة قد تعمد الاتحاد الاشتراكى إسقاطه فى انتخابات الهيئة العليا للاتحاد الاشتراكى عام ١٩٦٨ ، بل حبسه عبد الناصر قبل وفاته، وظل محبوسا هو وزوجته فى عملية تآمرية صغيرة حتى رحل عبد الناصر.

أسباب الطابع الانقسامى للحركة

إن الذى يوحد هو الممارسة حيال جماهير خارجية، ذلك أن الممارسة تنشئ التزاما إزاء هذه الجماهير. ويصبح المرء غير حر فى إحداث انقسامات، وفى تلبية نزعات فردية. إن النضال

ينشئ توزيعا للعمل، ويحمّل الزملاء مهاما وتكليفات واجبة التنفيذ. إن هناك طرفا خارجيا يحاسب، ويراقب، وذا مصلحة فى الإنجاز. إنه يلزم بالوحدة. وفى التجارب التى عشناها، لم يكن الأمر كذلك فى أحوال كثيرة، بل سادت حالات ثرثرة، وتنظير، وحفلات.

وهذا هو سبب الانقسامات، لأنها انطلقت من تلبية رغبات أفراد ولم تكن تلبى مقتضيات حركة اجتماعية موضوعية صاعدة من أدنى. إن الانقسامات تتفشى فى جو غابت عنه ضوابط حاكمة، أو حركة جماهيرية ملزمة.

ثم من أسباب الانقسامات ظاهرة جديرة بالتأمل، ذلك أن أغلبنا ينتمى إلى أكثر من طبقة. فإن الآلية المجردة كما شخصها وعرفها كارل ماركس عن فكرة "الصراع الطبقى" هى عبارة عن نموذج مثالى حيث يكون العامل ١٠٠٪ عاملا، والرأسمالى ١٠٠٪ رأسماليا. وفى حقيقة الأمر، فإن المجتمع ليس هكذا. إن هذا تبسيط بغية تفهم الآليات. لكن واقع المجتمع أن كل إنسان ينتمى إلى أكثر من طبقة فى آن واحد، ودون أن يدرك ذلك فى أغلب الأحوال.

فأنا أتحرك محكوماً بعدد من المواقف الطبقية التى كثيرا ما تكون متعارضة فى نفس الوقت. فينتهى الأمر بأنه إذا كنت أنا أجسد أكثر من طبقة، فمن الممكن أن تكون المصالح متضاربة داخلى، وبدلا من أن يكون الصراع الطبقى بينى وبين غيرى، يمكن أن يكون بينى وبين نفسى! بهذه الصفة يتمثل الصراع الطبقى فى صورة صراع نفسى، بمعنى أن الفصل المطلق بين الصراع النفسى والصراع الطبقى هو ضرب من ضروب التبسيط المخل.

بالنسبة للزملاء الذى من المهم الحصول على شهاداتهم

أنا أزعم أننى من الناس المتحررين أكثر من غيرى فى النظرة إلى الماضى نظرة نقدية. وأعنى بذلك أن كثيرين ما زال لديهم الإحساس بأنهم يخونون شيئا إذ ما صارحوا الناس بأشياء دقيقة تعنيهم. والمسألة فى الحقيقة ليست بسيطة، وليست هى ترضية أو مجاملة لأناس بالذات. ويشعر المرء أحيانا أنه يأخذ مواقف، ويعرف أنه يغضب أناسا أعزاء. ولا يريد أن يغضبهم، ولكن هناك حاجة للمصارحة والشفافية.

ويعتبر نبيل الهلالى، فى تقديرى، أكثر الناس احتراماً فى الحركة الشيوعية على وجه الإطلاق. فلديه حس راق جداً واستقامة يندر أن يرى المرء مثلها. ثم أرى أهمية أخذ شهادة

إسماعيل صبري عبدالله، وأبوسيف يوسف، وكمال عبد الحليم، ومحمود أمين العالم، وعبد العظيم أنيس، وشحاته هارون، وإبراهيم فتحي، فإن كل هؤلاء، على تنوعهم، بوسعهم تقديم شهادتهم بالغة الأهمية. وللأسف هناك أيضا شهادات كان ينبغي جمعها من آخرين رحلوا.

وباعتبار أن هذه شهادات في النهاية، وليست تبنيا لرأي، لذلك أرى أنه من المفيد أن ينظر إلى رؤى الناس، مفصولا عما كيف ينبغي تقييم هذه الشهادات، حتى من جانب أطراف أصبحت معادية.

وقد قدمت شهادات لأكثر من باحث خارجي، أتذكر منهم باحثة يسارية أمريكية في مجموعة MERIP أخذت مني شهادة لرسالة دكتوراه كانت تعدها وقتذاك في هارفرد. ولم تشمل شهادتي كثيرا مما أوردته هنا. كان ذلك منذ حوالى ١٥ سنة، في ظروف مختلفة نوعيا. ثم هناك جويل بنين أثناء إعداده لكتابه. وأنا ما زلت أريد أن أعدّ كتابا عن مذكراتي. وما زلت عاجزا عن تنفيذ هذا المشروع، لأسباب قد تكون طاغية ولكن ليست قطعا مبررة.

قائمة بالأعضاء المؤسسين

أحمد نبيل الهلالى
إسماعيل عبد الحكيم
بشير السباعى
خالد حمزة
داود عزيز
رمسيس لبيب
سعد الطويل
سمير أمين
سيد العشماوى
سيد عبد الوهاب ندا
شريف حتاتة
شكرى عازر
صلاح العمروسى
طاهر البدرى
طه سعد عثمان

عبد الخالق الشهاوى
فاطمة زكى
فتح الله محروس
فخرى لبيب
فوزى حبشى
مبارك عبده فضل
محمد الجندى
محمد فخرى
محمد قناوى
محمد مستجير مصطفى
محمود أمين العالم
محمود العطار
مصطفى طيبة
نبيل صبحى
نجاتى عبد المجيد